المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
اهداء
يا من تفتح صفحات هذا الكتاب، أهدي إليك رحلةً إيمانية بين ظلال سورة فاطر.
لقد صِيغت هذه الكلمات لتكون جسراً تعبر به من ضيق التعلق بالأسباب إلى سعة اليقين بالمسبب، ومن عجز البشر إلى قدرة الخالق الذي يفتح برحمته ما لا يمسكه أحد.
أهديك هذا الجهد، لعله يكون ساعة "يقظة" تتبعها حياةٌ غامرة بالنور، وبداية لترميم ما انكسر في النفس بروح الشكر والاستبصار، حتى ترى آيات الله في الكون وفي نفسك وكأنك تبصرها لأول مرة.
تقبل خالص ودي ..ودعواتي لك بفتح لا ينقطع.
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش

بسم الله الرحمن الرحيم
تعد هذه البطاقة التعريفية تلخيصاً شاملاً لكتاب** "المفاهيم القرآنية من سورة فاطر"**، مستوحاة من المنهجية التحليلية والتربوية العميقة التي طرحها الكتاب:
.1** محتوى الكتاب وجوهره والفكرة الرئيسية**
** * المحتوى: **رحلة تدبرية تحليلية شاملة لسورة فاطر، تبدأ من الاستهلال بالحمد وتمر بآيات الخلق والرزق، وصولاً إلى سنن الله في الكون والتاريخ.
** * الجواهر: **يركز الكتاب على تحويل النص القرآني من مجرد "تلاوة" إلى "منهج حياة" وبناء منظومة حضارية.
** * الفكرة الرئيسية: **الانتقال بالقلب من "الغفلة" إلى "اليقظة" عبر استحضار عظمة الخالق) الفاطر (وتفعيل مفاهيم التوحيد، العزة، والمسؤولية الفردية في واقع الحياة.
.2** أهداف المؤلف وأغراضه**
** * علاج القلب الغافل: **تقديم علاج ناجع للقلب الذي انشغل بالأسباب ونسي مسببها.
** * بناء العقلية السننية: **تعليم القارئ كيفية استنباط قوانين النهوض والسقوط للأمم من خلال "كتاب الله المنظور") الكون والتاريخ.(
** * تحقيق التوازن النفسي: **ربط المؤمن بخالقه لتجاوز أزمات العصر مثل القلق الوجودي، اليأس، و المقارنات المؤذية عبر مواقع التواصل.
.3** الأسلوب المتبع في تحليل المفردات والدروس**
** * التحليل اللغوي والبلاغي: **يبدأ بتفكيك المفردة) مثل كلمة "فاطر" أو "يفتح" (لغوياً وبيان أثرها النفسي والكوني.
** * الرسائل والدروس: **لا يكتفي بالشرح، بل يستخرج "رسائل تربوية ونفسية وفكرية" تخاطب الكيان الإنساني المعاصر.
** * دوره في إيصال الفكرة: **يستخدم أسلوب الربط المحكم بين الآيات) السياق(، مما يجعل القارئ يدرك تسلسل المعاني الإيمانية وتكاملها.
.4** بما يمتاز أسلوب المؤلف في عرضه ومنهجه**
** * المنهج الاستقرائي: **يحث على النظر في الواقع والتاريخ للتحقق من السنن الإلهية.
** * العرض التفاعلي: **يوجه أسئلة مباشرة للقارئ) مثل "جردة حساب للقلب والجوارح" (تجعله شريكاً في عملية التدبر.
** * الواقعية: **إسقاط المعاني القرآنية على تفاصيل الحياة اليومية) مثل أمثال الطالب، التاجر، و المريض.(
.5** ما يمتاز به هذا الكتاب عن بقية التفاسير**
** * التفعيل العملي: **بينما تركز التفاسير التقليدية على شرح المعنى، يركز هذا الكتاب على "كيف نعيش الآيات؟" ويضع أركاناً لتفعيلها في بناء الإنسان والحضارة.
** * التركيز الموضوعي: **يغوص في "المفاهيم" كمنظومة متكاملة بدلاً من التفسير التجزيئي للمفردات.
** * اللغة المعاصرة: **يخاطب الإنسان الحديث بلغة تلامس قلقه المعاصر وتطلعاته.
.6** الهيكل التنظيمي ومفاهيمه**
** * تقسيم مقطعي: **الكتاب مقسم إلى مقاطع) المقطع الأول، الثاني، إلخ(، وكل مقطع يتناول مجموعة من الآيات المترابطة.
** * محاور التحليل: **تتبع كل آية محاور ثابتة:) لمسات بيانية، رسائل تربوية، أمثلة تقريبية، تفعيل عملي، خلاصة.(
** * المفاهيم الكبرى:) **الحمد، الفطر والإبداع، الرحمة والفتح، العزة، الفقر إلى الله، سنن التغيير.(
.7** الجمهور المستهدف**
** * المتدبرون والباحثون عن اليقين: **من يريد تعميق صلته بالقرآن بفهم عقلاني وقلبي.
** * الدعاة والمصلحون: **من يحتاجون إلى نبراس هداية في مواجهة الصد والتكذيب.
** * الإنسان المعاصر: **كل من يعاني من ضغوط الحياة المادية ويبحث عن السكينة والعزة الحقة.
.8** لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟**
* لأنه ينقلك من "ضيق الأسباب" إلى "سعة المسبب".
* لأنه يعيد لك توازنك النفسي ويطرد اليأس من حياتك.
* لأنه يعلمك كيف تقرأ الواقع بعين القرآن وتفهم "لماذا تجري الأمور كما تجري؟".
.9** ثمار قراءة هذا الكتاب**
** * اليقين المطلق: **استقرار الإيمان بقدرة الله وحكمته في العطاء والمنع.
** * التحرر النفسي: **التخلص من عبودية الماديات والمقارنات والتعلق بالنتائج.
** * الروح الرسالية: **التحول إلى عنصر فاعل ومنظم ومبدع في المجتمع.
###** خاتمة**

يختتم الكتاب برؤية جامعة تجعل من سورة فاطر "دستوراً يومياً"؛ فالمؤمن الذي يعيش مع "الفاطر" يعيش في كنف رحمة واسعة وحلم عظيم، مما يجعله يسير في الحياة بروح الشكر والاستغفار، مستعداً لمهمة الاستخلاف الكبرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

يتقدم مؤلف هذا الكتاب بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ القدير/ * منير عبده عثمان الصلوي ، الذي كان لجهوده المخلصة ودعمه الكريم الأثر البارز في إخراج هذا العمل بهذا الشكل المتميز.

لقد منحنا الأستاذ منير من وقته وخبرته ما تجاوز حدود المراجعة العابرة؛ حيث تفضل بالمراجعة و التدقيق الشامل لمحتوى الكتاب** لغوياً وفنياً وموضوعياً**، واضعاً لمساته العلمية الدقيقة التي أسهمت في ضبط المفاهيم، وسلامة العبارة، وتماسك المنهج، وضمان خروج المادة العلمية في أبهى صورها.

فجزاه الله عنا خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله، وجعل هذا الجهد في ميزان حسناته، ونفع به وبكم.

المحامي احمد عبد الرزاق مربوش

بسم الله الرحمن الرحيم
تعتبر سورة فاطر من السور المكية العظيمة التي تفتح آفاق العقل والقلب على ملكوت السماوات والأ
رض، وفيما يلي بطاقة تعريفية شاملة للسورة بناءً على السياق القرآني والتحليلي:
.1** البيانات الأساسية للسورة**
** * عدد الآيات: 45 **آية.
** * مكان النزول: **مكية) نزلت قبل الهجرة.(
** * ترتيبها في المصحف: **السورة رقم) 35 تقع في الجزء الثاني والعشرين.(
** * ترتيبها من حيث النزول: **نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم.
.2** الأجواء التي نزلت فيها السورة وعلاقتها بموضوعها**
نزلت السورة في مكة في وقت كان فيه الصراع بين التوحيد والشرك في أوج شدته، حيث واجه النبي ﷺ تكذيباً وإعراضاً.
** * علاقة الجو بالموضوع: **جاءت السورة لتثبيت المؤمنين وتذكيرهم بأن "العزة لله جميعا"، وأن هذا الكون له "فاطر" يدبر أمره، فلا ينبغي القلق من كيد المشركين أو قلة العدد؛ لأن مقاليد الأمور بيد الخالق الذي يزيد في الخلق ما يشاء.
.3** علاقة افتتاحية "فاطر" بخاتمة "سبأ"**
هناك تناسق عجيب بين السورتين) وهما من سور "الحمد"(:
** * خاتمة سبأ: **انتهت بذكر حال الكفار في الآخرة والحسرة التي أصابتهم) وحيل بينهم وبين ما يشتهون(، وتحدثت عن ارتيابهم وشكهم.
** * افتتاحية فاطر: **جاءت لتبدأ بالحمد والثناء على الله "فاطر" كل شيء، وكأنها تقول: إن طريق النجاة من ذلك المصير المذكور في آخر سبأ هو الاعتراف بعظمة الفاطر والاستسلام لتدبيره وقدرته التي لا يعجزها شيء.
.4** علاقة افتتاحية السورة بخاتمتها**
** * الافتتاحية: **بدأت بإثبات القدرة المطلقة لله في الخلق) جاعل الملائكة رسلا ً ..يزيد في الخلق ما يشاء ..على كل شيء قدير.(
** * الخاتمة: **انتهت بإثبات القدرة الإلهية في المحاسبة والتقدير) وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا.(
** * الرابط: **بدأت بالقدرة على "الإيجاد" وانتهت بالقدرة على "الإفناء والإحاطة"، ليدرك الإنسان أنه محاط بملكه وقدرته سبحانه من البداية إلى النهاية.
.5** فضائل السورة وخصائصها**
* هي إحدى السور الخمس التي بدأت بـ** "الحمد لله") **الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر.(
* تسمى سورة "الملائكة" لذكر الملائكة وأجنحتهم في أولها.
* تمتاز بجزالة الألفاظ وقوة الحجة الكونية والمنطقية في مخاطبة العقل البشري.
.6** ما انفردت به السورة**
* انفردت بتسمية الله عز وجل بـ** "الفاطر" **في مطلعها، وهو اسم يوحي بالإبداع والابتداء على غير مثال سابق.
* انفردت بذكر تفاصيل أجنحة الملائكة) مثنى وثلاث ورباع.(
* ذكرت تقسيم الأمة الوراثة للكتاب إلى ثلاثة أصناف) ظالم لنفسه، مقتصد، سابق بالخيرات.(
.7** أهم المواضيع التي تتحدث عنها السورة**
** .1 توحيد الألوهية والربوبية: **من خلال استعراض آيات الله في الكون) الرياح، البحار، الليل و النهار، الشمس والقمر.(
** .2 قضية البعث والنشور: **التأكيد على أن إحياء الموتى يسير على الله كما يحيي الأرض الهامدة بالمطر.
** .3 التحذير من الشيطان:) **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا.(
** .4 بيان افتقار الخلق وغنى الخالق:) **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.(
** .5 سنة المدافعة والتغيير: **بيان أن الأمم السابقة هلكت بسبب كفرها وسنة الله لا تتبدل.
.8** مقاصد السورة**
** * المقصد الأسمى: **إثبات الانفراد بالخلق والتدبير لله وحده، مما يستوجب إفراده بالعبادة.
** * تحطيم الغرور البشري: **تذكير الإنسان بأصله وفقره وحاجته الدائمة لرحمة الله وفتحه) ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها.(
** * بناء النفس المؤمنة: **تربية المؤمن على العزة بالله واليقين بوعوده، والتحرر من الخوف من غير الله.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الاول
اولا
تفسير وتحليل الايه الاولى من سوره فاطر
أيها المتدبر لكلام الله، يا من فتحت قلبك لتستقبل أنوار الوحي، ويا من هيأت عقلك لتغوص في بحار معانيه، أقبل بهدوء وتأمل، ودع روحك تحلق في رحاب هذه الآية العظيمة، آيةٌ هي مفتاح سورة كاملة، وإعلانٌ مدوٍّ عن عظمة الخالق وجمال صنعه.

هيا بنا نعيش معًا رحلة تدبرية في قول الله تعالى:

﴿الحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر:[1
***وقفة مع ظلال السورة: من غفلة سبأ إلى يقظة فاطر

تأمّل معي المشهد الختامي لسورة سبأ، حيث يقف الكافرون والمشركون في موقف الفزع الأكبر وقد أدركهم العذاب، ولات ساعة مندم! لقد عاشوا في غفلةٍ طويلةٍ عن آيات الله المبثوثة في الكون، فأعرضوا وكذبوا، حتى إذا وقع بهم الهلاك وقذفوا في النار، صرخوا بلا جدوى .هذا المشهد المهيب، المليء بالحسرة والندم، يترك في القلب هزة ورجفة، ويجعله يتساءل: ما السبيل للنجاة؟ كيف أتجنب هذا المصير؟

هنا، تأتي سورة فاطر لتمسح على هذا القلب الواجف، فتبدأ بنداءٍ علويّ جليل: "الحَمْدُ لِلهِ" .إنه نداء يوقظك من غفلتك، يدعوك لتخرج من ضيق ذاتك وحيرتك إلى رحابة الكون وعظمة خالقه .وكأن الله سبحانه يقول لك: لقد انشغلتَ بالأسباب والنتائج، وغفلتَ عن مسببها ومبدعها .المشكلة لم تكن في قلة الأدلة والآيات، بل في غفلة القلب وانصرافه .فما عليك إلا أن تفتح عينيك وقلبك، لتتصل بمصدر الوجود وواهب النعم .هذه السورة المكية هي بمثابة إعلان عظيم عن التوحيد والرسالة، وعلاج ناجع للقلب الغافل.
المحور الأول:-
دلالة افتتاح السورة بالحمد لله فاطر السماوات والأرض

لنقف أولًا عند هذه الجملة النورانية التي زلزلت قلوب العارفين: "الحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ".
لماذا بدأ الله السورة بالحمد قبل ذكر أفعاله؟ ولماذا اختار اسمه "فاطر" بالذات ليكون أول وصف يذكر بعد الحمد؟

لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان:

· ﴿الحَمْدُ لِلهِ﴾: استهلال يملأ النفس هيبة:
الابتداء بهذا الاستهلال ليس مجرد افتتاحية عابرة، بل هو إيذان بأن كل ما سيأتي في هذه السورة هو مظهر من مظاهر استحقاقه سبحانه للحمد والثناء .إنها جملة اسمية تفيد الثبات والدوام، فالحمد لله ليس فعلًا عابرًا نقوم به، بل هو حالة دائمة ووصفٌ لائق بجلاله ."أل" في "الحمد" للا ستغراق، أي أن كل حمدٍ وثناء، من أي حامدٍ، وفي أي زمانٍ ومكان، هو لله وحده مستحقه .إنها دعوة لنا لنكون في حالة دائمة من التوجه لله والثناء عليه.
· ﴿فَاطِرِ﴾: كلمة واحدة ترسم مشهد الخلق الأول:
تأمل هذه الكلمة الساحرة "فاطر" .أصلها اللغوي من "الفَطْر" وهو الشقّ .قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني: أنا ابتدأتها".
فالمعنى العميق هنا: أن الله تعالى شق العدم وأخرج منه الوجود على غير مثالٍ سابق، وأبدعه على هيئة تترشح للقيام بوظائفها.
· صورة فنية بديعة: التعبير بـ "فاطر" يرسم في خيالك صورة كونية عظيمة: ظلام العدم الدامس، ثم إرادة الله التي تشقه ليخرج منها النور والوجود، فتظهر السماوات والأرض بهذا النظام البديع .إنها إشارة إلى أن الكون ليس وليد الصدفة العمياء، بل هو صنيعة قادر حكيم خبير.

الربط بين الحمد وفاطر: رسائل تربوية ونفسية:

لماذا اقترن الحمد هنا بصفة "فاطر" بالذات؟ السر يكمن في أن التأمل في بديع صنع الله هو أقصر طريق لامتلاء القلب بالحمد.

· علاج القلق الوجودي: عندما تستشعر أن هذا الكون الفسيح له "فاطر" أوجده بعناية وحكمة، فإن ذلك يزيل عنك القلق الوجودي .فأنت لست نبتًا شيطانيًا في كون مهمل، بل أنت مخلوق لخالق عظيم ، مدبر لأمرك، مقدر لأرزاقك .هذه المعرفة تمنح القلب طمأنينة لا توصف.
· دعوة للانتقال من ضيق الذات إلى سعة الفاطر: إن الالتفات إلى النفس والعجز يورث الهم والضيق، أما الالتفات إلى "فاطر" السماوات والأرض وقدرته المطلقة فيورث السعة والثقة .إنها دعوة لتجديد الثقة باللّٰه الذي لا يحده قانون، والتحلي بالحمد الذي يفتح مغاليق الرحمة.
· الآيات في متناولك: هذه الافتتاحية تخبرك أنك لست بحاجة لأن تكون عالم فلك أو فيزياء لترى عظمة الخالق .يكفيك مشهد واحد في نفسك، أو في زهرة تنظر إليها، أو في شروق وغروب الشمس . إنها شاهدة بلسان حالها على عظمة "فاطرها" وتفرده بالألوهية .والمطلوب منك هو أن تنتقل من "الا عتياد" إلى "الاستبصار"، فترى النعمة فتعرف المنعم، فتحمده وتشكره.

خلاصة: هذه الافتتاحية ليست مجرد خبر، بل هي تربية للنفس وتوجيه للعقل .إنها تنقلك من غفلة العادة إلى يقظة العبادة، ومن ضيق الأسباب إلى سعة المسبب .إنها تجعلك تعيش في حالة دائمة من التأمل والامتنان، فترى المنعم في كل نعمة، وتحوله من مجرد معرفة عقلية إلى تجربة قلبية حية.
المحور الثاني:
دلالة "جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة" وتصحيح المفاهيم

بعد أن استقر في قلبك الإيمان بـ "فاطر" السماوات والأرض، تأتي الصورة الثانية لتزيدك يقينًا وتصحيحًا للمفاهيم:
"جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ".

لمسات بيانية وبلاغية تكشف الحقيقة:

· وصف دقيق لأدوات المهمة: وصف الملائكة بأنهم "رسل" ثم وصفهم بأنهم "أولي أجنحة" هو من دقة التعبير القرآني .فكونهم رسلًا يقتضي سرعة الوصول إلى حيث يؤمرون، والأجنحة هي وسيلة هذه السرعة التي تناسب مهامهم الجليلة في تبليغ الوحي وتدبير الأمر.
· بلاغة العدد: "مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ":
· ذكر هذه الأعداد على صيغة "مثنى وثلاث ورباع" دون غيرها فيه إشارة إلى التفاوت والتنوع في القدرات والوظائف التي خلقهم الله لها .فمنهم من له جناحان، ومنهم ثلاثة، ومنهم أربعة.
· صيغة "مثنى وثلاث ورباع" أفصح وأبلغ من قول "اثنين وثلاثة وأربعة"، فهي تدل على التكرار و التوزيع، أي أن منهم من يطير بجناحين اثنين، ومنهم بثلاثة ثلاثة، ومنهم بأربعة أربعة.

تصحيح عقائد الكفار وبناء عقيدة سليمة:

جاء هذا الوصف في وقت كان كفار قريش يعتقدون فيه أن الملائكة "بنات الله"، وهو اعتقاد فاسد لا يليق بجلال الله.

· هدم الاعتقاد الباطل: وصف الملائكة بأنهم "رسل" وأنهم "أولي أجنحة" هو إعلان صريح بأنهم مخلوقون وعبيد مأمورون، وليسوا آلهة أو أبناء لله .هم رسل ينفذون أوامره القدرية والشرعية، في كمال طاعة وانقياد.
· بناء التصور الصحيح: هذا الوصف يبني في قلب المؤمن وعقله التصور الصحيح لعالم الغيب .الملا ئكة هم جنود الله المسخرون لتدبير شؤون الكون بأمره، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان .هذا التصور يزرع في النفس:
· الطمأنينة والثقة: الإيمان بأن الكون تسيره ملائكة مأمورة من قبل الله الحكيم يزرع في القلب طمأنينة بأن الأمور لا تسير عبثًا، بل بحكمة وإتقان وتدبير إلهي محكم.
· التحرر من الأسباب المادية: التفاوت في أجنحة الملائكة وقدراتهم هو تجسيد لمعنى "يزيد في الخلق ما يشاء" .إنه يدعوك ألا ترتهن للأسباب المادية المحدودة التي تراها، بل تتيقن أن قدرة الله لا يحدها قانون بشري .فكما أنه قادر على أن يزيد في أجنحة مخلوقاته الغيبية، فهو قادر على أن يزيد في قوتك ورزقك ويفرج كربك .إنه درس في الخروج من ضيق الأسباب إلى سعة المسبب.
المحور الثالث:
دلالة "يزيد في الخلق ما يشاء" وأثرها في حياتنا

ثم تأتي الجملة القرآنية لتفتح أمامك آفاقًا أرحب: "يَزِيدُ فِي الخَلقِ مَا يَشَاءُ".
هذه الجملة القصيرة تحمل في طياتها كنوزًا من المعاني والدلالات التي تغير نظرتك للحياة.

لمسات بيانية وبلاغية ودلالاتها العميقة:

· الإطلاق بعد التقييد: بعد أن خصّ الملائكة بذكر أجنحتهم المتفاوتة، جاءت هذه الجملة لتقرر مبدأ عامًا شاملا ً: قدرته سبحانه مطلقة في الزيادة في أي شيء من خلقه، سواء كان في الملائكة أو غيرهم، في الأشكال أو الأصوات أو العقول أو الصفات .إنه انتقال بديع من الخاص إلى العام، ليؤكد أن قدرته ليست محدودة بمجال معين.
· جملة فعلية تفيد التجدد: "يزيد" فعل مضارع، وهو يفيد الاستمرار والتجدد .فقدرة الله على الزيادة والخلق ليست حدثًا وقع في الماضي وانتهى، بل هو فعل دائم ومستمر، فهو كل يوم في شأن، يخلق ويزيد ويبدع.

رسائل تربوية ونفسية وفكرية تهز الكيان:

· التحرر من الأغلال المادية: نحن نعيش محكومين بقوانين وأسباب محددة: المرض يحتاج دواء، الفقر يحتاج مالا ً .لكن جملة "يزيد في الخلق ما يشاء" تفجر ينبوع الأمل في النفس، وتخبرك بأن قدرة الله لا سقف لها .إنها مفتاح التحرر من ضيق الأسباب إلى سعة المسبب.
· دليل قاطع على البعث: إذا كان الله قادرًا على أن يزيد في الخلق ما يشاء، وأن يخلق ويبدع في ا لأشكال والصفات، أليس القادر على هذا الابتداء والزيادة قادرًا على الإعادة والبعث بعد الموت؟ إنها حجة عقلية بليغة على أن البعث ليس مستحيلا ً، بل هو في غاية السهولة على من بيده ملكوت كل شيء.
· دعوة للإبداع والتطوير) الاستعداد للتغيير(: هذه الآية ليست مجرد إخبار عن قدرة الله، بل هي إلهام للمسلم بأن يكون في حالة تطور دائم .فكما أن الله يزيد في خلقه ما يشاء، فعليك أنت أيضًا أن تطلب الزيادة في العلم والعمل والإنتاج .الآية تربي فيك روح الابتكار والإبداع وتطوير الذات، وتدفعك لتكون خليفةً لله في أرضه، تعمرها وتطورها.
· تربية على الرضا والتسليم: وفي المقابل، تغرس فيك هذه الآية روح الرضا والتسليم .فأنت تؤمن أن الله يختار لخلقه ما فيه الحكمة والخير .فما أعطاك من زيادة فهو خير، وما لم يعطكه فله في ذلك حكمة .هذا الإيمان يبعث الطمأنينة في نفسك، ويدفع عنك القلق والحسد.
المحور الرابع:
دلالة "إن الله على كل شيء قدير" قمة اليقين

ثم تختم الآية بهذا الإعلان المدوي الذي يهز أركان الشك واليأس في النفس: "إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

لمسات بيانية وبلاغية ترسخ المعنى:

· تأكيد بعد تأكيد: مجيء الجملة مؤكدة بـ "إنّ" بعد ما سبق من إخبار عن قدرته في "فاطر" و "جاعل" و"يزيد"، هو توكيد على توكيد، وترسيخ لمعنى القدرة المطلقة في قلب السامع.
· قاعدة كلية جامعة: عبارة "على كل شيء" هي أبلغ عبارة في الدلالة على عموم القدرة وشمولها .فلا يخرج عن قدرته شيء، لا في السماوات ولا في الأرض، لا في الدنيا ولا في الآخرة.
· خبر دائم: "قدير" هي صيغة مبالغة على وزن "فعيل"، وهي تفيد الثبوت والدوام، فقدرته ليست عارضة، بل هي صفة لازمة له سبحانه.

رسائل نفسية وعقلية تبني الشخصية المؤمنة:

· طرد اليأس وجلب الأمل: عندما يستقر في قلبك أن الله على كل شيء قدير، فإن اليأس يتبدد من حياتك .فأنت تعلم أن ما أغلق في وجهك من أبواب الأسباب الأرضية ليس نهاية المطاف، فباب "القدير" لا يغلق أبدًا .إنها زرع للأمل والتفاؤل في أحلك الظروف.
· دعوة لتفعيل الطاقة في إطار العبودية: هذه الآية لا تدعوك للكسل والاتكال، بل تدعوك إلى تفعيل كل طاقتك .فأنت تؤمن أن "القدير" هو من أمرك بالسعي والعمل، وهو من سيجعل لسعيك ثمرة .أنت تعمل بكل ما أوتيت من قوة، وقلبك معلق بالله "القدير" الذي بيده النتائج.
· تعديل بوصلة الثقة: الآية تربي فيك اليقين بأن الله قادر على تغيير حالك إلى الأفضل، وقادر على نصرتك ونصر الحق، مهما بدت الأسباب المادية ضعيفة .الثقة المطلقة تكون بقدرة الله وحده، لا بعددك ولا بعدتك .إنها تربية على "أن تنصر الله فينصرك".
الأمر الثاني تفعيل الآية في حياتنا: بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

بعد هذا الغوص في معاني الآية، يبقى السؤال الأهم: كيف ننزل هذه المعاني إلى أرض الواقع؟ كيف نبني بها أنفسنا ومجتمعاتنا وحضارتنا؟

هذه الآية ليست مجرد كلمات للتلاوة، بل هي دستور للبناء والتنمية .إنها تؤسس لمنظومة حضارية متكاملة، تقوم على أركان خمسة أساسية، مستنبطة من ألفاظ الآية الكريمة:

1.﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ - الإبداع والابتكار:
· المفهوم: الإيمان بأن الله "فاطر" السماوات والأرض أي مبدعهما على غير مثال سابق.
· التفعيل العملي: هذا يلهم المسلم أن يتبنى منهج الإبداع والابتكار في كل مجالات الحياة .أن يتجاوز الأنماط التقليدية المستهلكة، وأن يفكر في حلول جديدة للمشكلات، وأن يسعى لاكتشاف سنن الله في الكون وتسخيرها لبناء الحضارة، من الطب إلى الهندسة إلى الزراعة.
2.﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ - التنظيم والرسالية:
· المفهوم: جعل الله الملائكة رسلا ً ينفذون أوامره، وكل منهم له مهمة ووظيفة.
· التفعيل العملي: هذا يعلمنا أهمية التنظيم وتوزيع المهام .المجتمع القوي هو الذي يعمل فيه كل فرد في مجال تخصصه وإبداعه، ويؤدي دوره بأمانة وإتقان، مستشعرًا أنه "رسول" في مهمة عمارة الأ رض والقيام بواجب الاستخلاف .هذا هو جوهر الرسالية في العمل.
3.﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ - السرعة والإنجاز واستخدام أفضل الوسائل:
· المفهوم: الملائكة لديهم أجنحة تمكنهم من أداء مهامهم بسرعة وفاعلية.
· التفعيل العملي: هذا يرمز إلى أهمية استخدام أفضل وأحدث الوسائل والإمكانيات المتاحة لتحقيق الإنجازات .الأجنحة هي رمز للسرعة والتكنولوجيا .المؤمن مطالب بأن يطور أدواته ومعارفه ليواكب العصر ويبني حضارة قوية، مستخدمًا كل ما سخره الله له من علم وقوة.
4.﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ - التطوير المستمر والنمو المتزايد:
· المفهوم: الله قادر على الزيادة في خلقه، والتطوير صفة إلهية.
· التفعيل العملي: هذا يؤسس لثقافة التطوير المستمر والتحسين الدائم
.أنت مدعو لأن لا تركن للجمود، بل تسعى دائمًا نحو الأفضل .العلم في تطور دائم، والمهارات بحاجة إلى صقل، والحضارة بحاجة إلى تجديد .هذه الآية تدفعك لتكون في حالة نمو دائم، تسأل الله الزيادة في العلم والعمل.
5.﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - الثقة بالقدرة الإلهية والعمل الدؤوب:
· المفهوم: اليقين المطلق بقدرة الله الشاملة.
· التفعيل العملي: هذا الركن هو روح المنظومة كلها .إنه يغرس فيك التفاؤل والثقة، ويدفعك للعمل الدؤوب لتجاوز العقبات .أنت لا تخشى الفشل لأنك تعلم أن "القدير" معك، وقادر على تذليل الصعاب .إنها تربية على العمل الجاد مع التوكل على الله، فتبذل قصارى جهدك وتوقن أن الله متم نوره ولو كره الكافرون.
**خلاصة الرحلة: دعوة للتحليق في رحاب الفاطر

أخي المتدبر، أختي المتأملة:
لقد بدأت هذه الرحلة من غفلة سبأ، ثم انطلقنا معًا في رحلة تدبر الآية الأولى من سورة فاطر .رأينا كيف أن الافتتاح بـ "الحمد لله فاطر السماوات والأرض" هو نداء للقلب ليستيقظ من سباته ويتصل بمصدر الوجود .وتأملنا معنى "فاطر" الذي يشق العدم ليخرج الوجود، فشعرنا بطمأنينة من هو في كنف خالق مدبر.

ثم رأينا كيف أن وصف الملائكة بـ "رسل أولي أجنحة" يصحح عقائدنا، ويحررنا من الأسباب المادية المحدودة، لنؤمن بأن الكون تديره قدرة حكيمة .ثم جاءت آية "يزيد في الخلق ما يشاء" لتفجر فينا ينابيع الأمل والإبداع، وتدفعنا لطلب الزيادة والتطوير في كل شأننا .وأخيرًا، ختمت الآية بإعلان "إن الله على كل شيء قدير" الذي يملأ القلب يقينًا وعزيمة، ويطرد اليأس، ويدفعنا للعمل الدؤوب.

هذه الآية ليست مجرد آية، بل هي منهج حياة .هي دعوة لك أن تكون مبدعًا) فاطر(، رساليًا في عملك) جاعل الملائكة رسلا(، سريعًا وفعالا ً في إنجازك) أولي أجنحة(، دائم التطور) يزيد في الخلق(، ومتوكلًا على الله واثقًا بقدرته) إن الله على كل شيء قدير.(

فهل أنت مستعد لتعيش هذه الآية واقعًا في حياتك، لتبني بها نفسك، وتسهم في بناء مجتمعك وحضارة أمتك؟

هيا بنا نحلق في رحاب "الفاطر" ونتحلى بالحمد، ونعمل لنكون أهلا ً لهذا الاستخلاف العظيم.

ثانيا
أخي السائر إلى الله، يا من ذاقت روحه حلاوة القرب في رحاب الآية الأولى، ويا من اطمأن قلبه وهو يسمع نداء "الحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ"، تعالَ نستكمل معًا الرحلة. لقد رسخنا في قلوبنا أن الكون له "فاطر" أوجده من العدم، وله "مدبر" يرسل الملائكة بأجنحتها لتنفيذ أمره، وله "قدرة مطلقة" لا يحُدها قانون ولا يعجزها شيء.

لكن السؤال الذي يثور في النفس بعد هذا اليقين العظيم هو: ماذا عني أنا؟ أنا الإنسان الضعيف، المحدود القدرة، المتقلب بين الرجاء والخوف، كيف تنعكس هذه القدرة الإلهية المطلقة على حياتي اليومية؟ كيف أتعامل مع أبواب الرزق المغلقة؟ وكيف أستقبل أبواب الرحمة المفتوحة؟

من هنا تأتي الآية الثانية لتكون بمثابة الإجابة الشافية، والبلسم الشافي، والدستور الواضح. إنها تنقلنا من التأمل في قدرة الله في الآفاق والملائكة إلى التأمل في فعله المباشر في حياتنا نحن البشر.

هيا بنا نتدبر معًا قول الله تعالى:

﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاطر:[2

الرابط بين الآيتين: من الإبداع المطلق إلى العطاء المطلق

تأمل معي هذا الانتقال البديع في السياق القرآني:

· في الآية الأولى كان الحديث عن "فاطر السماوات والأرض" أي الإبداع والخلق والإيجاد.
· وفي الآية الثانية يأتي الحديث عن "ما يفتح الله للناس من رحمة" أي العطاء والمنح والرزق.

والرابط بينهما في غاية الوضوح والقوة: إن الذي فطر السماوات والأرض بقدرته هو الذي يفتح لك أبواب رحمته بقدرته. إنه لا يعجز عن الخلق والإبداع، أفيعجز عن العطاء والمنح؟ كلا والله! إنها رسالة طمأنينة مباشرة للقلب البشري الذي يضطرب خوفًا من المستقبل وغموض الأرزاق.

تفصيل دلالات الآية وألفاظها: رحلة في معاني العطاء والمنع

لنقف مع كل لفظة في هذه الآية الكريمة وقفة متأمل، لنستخرج دررها وكنوزها.

﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ﴾:

· اختيار كلمة "يفتح": لم يقل "ما يعطِ" أو "ما يرزق"، بل قال "يفتح" .والفتح في اللغة هو إزالة الحاجز والموانع .ففي كلمة "يفتح" صورة حسية رائعة تشعرك بأن أبواب الرحمة والرزق كانت موجودة، ولكن كان ثمة حجاب أو غطاء، فجاء أمر الله برفعه وإزاحته .إنه شعور الانفراج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر، والنور بعد الظلمة.
· ﴿لِلنَّاسِ﴾: هنا تكمن البشارة العظمى! لم يقل "للمؤمنين" أو "للمتقين" فقط، بل قال "للناس" جميعًا . إنها رحمة عامة تشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر، في هذه الدنيا .إنه إعلان بأن باب فضله مفتوح للجميع، فلا تحقرن نفسك ولا تقنط من رحمته، فأنت من "الناس" الذين وعدهم بالفتح.

﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾:

· نكرة تفيد العموم والشمول: تأتي كلمة "رحمة" نكرة في سياق الشرط، وهذا من أبلغ الأساليب العربية لإفادة العموم والشمول .أي: أي رحمة كانت، سواء كانت:
· رحمة مادية: كالمطر الذي يحيي الأرض بعد موتها، والرزق من مال وطعام وشراب وصحة وعافية وولد صالح.
· رحمة معنوية: كالعلم النافع، والهداية للإيمان، وانشراح الصدر، والطمأنينة، والمحبة بين الناس، والأ من في الأوطان.

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾:

· توكيد القدرة ونفي العجز: "ممسك" اسم فاعل يفيد أنه لا يوجد أحد كائنًا من كان، لا ملك مقرب و

لا نبي مرسل ولا سلطان جبار، يستطيع أن يمنع أو يحبس هذه الرحمة إذا أراد الله فتحها .إنها قوة إلهية لا يقف في وجهها شيء.

.{وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}:

. العدل والحكمة في المنع: هذا هو الشق الثاني من المعادلة .فكما أن رحمته إذا فُتحت لا يستطيع أحد حبسها، فكذلك إذا أمسكها بحكمته فلا يستطيع أحد أن يرسلها.
. لطيفة بيانية في .{مِنْ بَعْدِهِ}: تعني أن إمساكه سبحانه هو "الإمساك الأول والأخير"، فليس لأحد أن يرسل شيئًا بعد أن أمسكه الله .فهي تفيد التأبيد والقطع بأن لا سبيل لأحد لفك ما أغلقه الله.

.{وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}:

. الختام المناسب: هذا هو الختام الذي يريح القلب والعقل معًا.
. العزيز: أي الغالب القوي الذي لا يُغلب، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه .هو القادر على الفتح وعلى الإمساك بقدرته النافذة.
. الحكيم: أي الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يفتح رحمة إلا لحكمة بالغة يعلمها، ولا يمسكها إلا لحكمة بالغة أيضًا .حتى المنع هو عين العطاء، لأنه من حكيم خبير.

أمثلة تقريبية تلامس حياتك اليومية

حتى لا تبقى هذه الدلالات في إطار التنظير، دعنا ننزل بها إلى واقعك الذي تعيشه كل يوم، بأمثلة تراها وتسمعها وتلمسها:

. مثال الطالب والمذاكرة: أنت طالب تجتهد وتذاكر ليل نهار استعدادًا للامتحان .المذاكرة هي السعي والأخذ بالأسباب .لكن تيسير الامتحان، وفتح الفهم على قلبك، وجعل الأسئلة فيما تعرفه، هذا كله "فتح من رحمة الله" .ولو اجتمع أهل الأرض كلهم ليجعلوك ترسب في مادة فتحها الله عليك، "فلا ممسك لها" .وإن أمسك الله عنك الفهم في مسألة أو سبب لك نسيانًا لحكمة يعلمها، "فلا مرسل له من بعده" .هذا لا يعني ترك المذاكرة، بل المذاكرة هي جوارحك تعمل، والفتح من الله وحده.
. مثال المريض والشفاء: أنت مريض تذهب لأمهر الأطباء وتأخذ بأحدث الأدوية .الطبيب والدواء هما الأسباب .لكن الشفاء نفسه هو "رحمة من الله يفتحها" .كم من مريض يئس الأطباء من شفائه، فإذا برحمة الله تنزل عليه فيبرأ، فلا يقف في وجهها تشخيص طبي ولا تحليل مخبري، "فلا ممسك لها" . وكم من مريض بسيط معه أفضل الأطباء، لكن الشفاء لم يحصل لأجل أراده الله، "وما يمسك فلا مرسل له".
. مثال التاجر والرزق: أنت تاجر تفتح متجرك، تحسن عرض البضاعة، تتقن التعامل مع الزبائن .هذا هو سعيك .لكن "فتح" باب الرزق وإقبال الناس عليك هو "فتح من رحمة الله" .قد ترى تاجرًا بسيطًا في مكان غير مميز، والناس يتسابقون إليه، فهذه رحمة مفتوحة له لا يملك أحد إغلاقها .وآخر في موقع استراتيجي وبضاعة ممتازة، لكن الرزق ضيق عليه، فهذا إمساك من الله لحكمة.
. مثال المطر: هذا أوضح مثال .المطر هو "رحمة" .عندما يحتبس ويشتد القحط، ويقوم الناس بالصلا ة والاستسقاء، فهم يتوجهون إلى "فاتح الرحمة" .فإذا أذن الله بإنزال الغيث، نزل المطر فأحيا الأرض، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تحبسه أو ترده، "فلا ممسك لها" .وإن أمسكه الله، فكل تقنيات البشر من استمطار صناعي لا تستطيع أن تنزل قطرة واحدة، "فلا مرسل له من بعده".

لمسات بيانية وبلاغية تخاطب الوجدان

. أسلوب الشرط) ما يفتح ...وما يمسك(...: هذا الأسلوب في القرآن الكريم يفيد تحقيق الأمر وتقريره . إنه يؤكد في ذهن السامع أن هذه حقيقة ثابتة لا تتغير، كأنها قانون كوني وسنة إلهية ماضية.
. المقابلة بين "يفتح" و"يمسك": هذه المقابلة البلاغية الرائعة تبرز المعنى وتوضحه .فالفتح يقابله الإ مساك، والمنع يقابله الإرسال .وهذا يزرع في القلب حالة من التوازن والطمأنينة، فهو يوقن أن الأمر بيد الله في الحالين، في السراء والضراء، في العطاء والمنع.
. تنكير "رحمة" وتعريف "الناس": جمعت الآية بين تنكير الرحمة لتفيد العموم والشمول لكل خير، وتعريف الناس بـ "أل" الجنسية ليشمل جميع أفراد البشر .فاجتمع عموم الرحمة وعموم البشر، فلم يبق أحد خارج دائرة الفضل، ولم يبق خير خارج دائرة الفتح.

رسائل تربوية ونفسية وفكرية

· الرسالة التربوية: التوازن بين السعي والتوكل.
الآية تربي فيك معادلة دقيقة: أنت مطالب ببذل الأسباب، لكن قلبك يجب أن يكون معلقًا "بفاتح ا لأسباب" لا بنتائج الأسباب .هذه التربية تحررك من عبودية الأسباب، وتنقلك إلى حرية العبودية لله وحده .إنها تقول لك: اسعَ واجتهد، لكن لا تركن لسعيك، بل اركن لمن بيده ملكوت كل شيء.
· الرسالة النفسية: طرد القلق والخوف من المستقبل.
القلق بشأن الرزق والغد هو من أكثر ما يعكر صفو النفس البشرية .هذه الآية هي أعظم علاج لهذا القلق .أنت تؤمن أن رزقك بيد الله، وأن ما كتبه لك من رحمة لن يحبسه عنك أحد، وما لم يكتبه لك لن تناله بشدة حرصك .هذا الإيمان يمنحك سكينة وطمأنينة لا توصف .إنها دعوة للتحرر من رق المستقبل المجهول إلى كنف الله المعلوم.
· الرسالة الفكرية والعقلية: إدراك سنن الله في الكون.
الآية تدعوك إلى تأمل نواميس الكون .أن ترى كيف تجري الأمور بقدرة الله وحده .أن تعلم أن اكتشافات العلم ما هي إلا كشف لبعض سنن الله في خلقه، لكنها لا تخرج عن قدرته .الطبيب لا يخلق الشفاء، بل يستعمل الأسباب التي خلقها الله .العالم لا يخلق مادة، بل يكتشف قانونًا وضعه "العزيز الحكيم" .هذا الفكر يجعل نظرتك للكون نظرة المؤمن الذي يرى قدرة الله في كل شيء.

تفعيل الآية في حياتنا العملية والواقع المعاصر

بعد أن استقرت هذه المعاني في قلبك وعقلك، يبقى السؤال العملي: كيف نعيش هذه الآية في عالمنا المعاصر المليء بالتحديات والأسباب المادية الجبارة؟

أولًا: في مواجهة الأزمات الاقتصادية وضغوط المعيشة:
نحن نعيش في عصر الماديات، حيث يحاول العالم إيهامنا بأن الرزق بيد البنوك والمؤسسات و الوظائف. هنا يأتي دور الآية لتضبط بوصلتك. أنت تعمل وتتقن وتسعى، هذا هو واجبك كخليفة في ا لأرض. ولكنك في الوقت نفسه لا ترتهن نفسيًا لهذه الوظيفة أو تلك التجارة. عندما تغلق في وجهك أبواب الرزق الأرضية، لا تيأس ولا تنهار نفسيًا، بل تذكر "أن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها". هذا يعطيك قوة نفسية هائلة لتستمر في السعي، ويريح قلبك من الخوف من غدر الزمان وتقلبات السوق. إنها حرية نفسية في زمن الاستعباد الاقتصادي.

ثانيًا: في التعامل مع الصحة والمرض في عصر التكنولوجيا الطبية:
نحن نعيش في زمن يقال فيه إن الطب بلغ ذروته. لكن الآية تعلمنا الأدب مع الله في هذه النعمة. نعم، نلجأ لأفضل الأطباء والمستشفيات (وهذا من الأخذ بالأسباب المأمور به شرعًا)، لكن قلوبنا تبقى معلقة بالشافي وحده. وعندما يعجز الطب، ويقف الأطباء عاجزين، لا نسقط في هاوية اليأس، بل نزداد يقينًا بأن "ما يمسك فلا مرسل له من بعده" هي الحقيقة الكبرى، وأن الشافي هو الله. هذا لا يعني ترك الدواء، بل يعني استعمال الدواء بقلب متوكل، لا بقلب متكل.

ثالثًا: في عصر مواقع التواصل والمقارنات المؤذية:
من أكبر أمراض العصر الحديث "مرض المقارنة". تنظر إلى حياة الآخرين المعروضة على الشاشات، فترى ما فُتح عليهم من "رحمة" من مال أو جمال أو سفر، فتمتلئ نفسك حسرة وحسدًا. هذه الآية هي شفاؤك. عندما ترى نعمة عند غيرك، قل بلسان قلبك: "هذا فتح من رحمة الله، فلا ممسك لها، الله أعطاه وليس لأحد أن يمنعه. ولله في ذلك حكمة، ولي في إمساك ما لم يعطني إياه حكمة". هذا التحول في النظرة يحميك من الحسد والقلق، ويجعلك ترضى بقسمة الله لك، وتنظر إلى نعمه المفتوحة عليك أنت.

رابعًا: في السعي للإصلاح وتغيير المجتمعات:
عندما تريد أن تكون عنصر إصلاح في مجتمعك، وتواجه عقبات وتحديات جسيمة، وتشعر بأن الجهود لا تثمر، تذكر هذه الآية. استمر في سعيك وأداء واجبك، لكن تيقن أن "فتح" القلوب وقبول الناس للحق هو "فتح من رحمة الله". إنه ليس رهينًا بحنكتك وحدها أو قوة حجتك. هذا الإيمان يجعلك لا تكلّ ولا تيأس من طول الطريق، بل تستمر في العمل وتوكل النتائج على "الفتاح" سبحانه. فهو القادر أن يفتح لك من رحمته ما لا تبلغه جهودك.

خلاصة: كيف تجعل هذه الآية رفيقة دربك؟

اجعل هذه الآية دستورًا يوميًا لك:

· إذا أصبحت ورأيت نعمة متجددة) صحة، أمن، عافية، ماء بارد، طعام طيب(، فقل في سرك: "هذه

رحمة مفتوحة من الله لي، فلله الحمد".
· إذا أمسيت وفكرت في أمر غد والمستقبل، فقل: "ما يفتح الله لي من رحمة غدًا فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له، فأنا في أمان".
· إذا سعيت لأمر وبذلت فيه جهدك ثم لم يتم، فقل: "لله الحكمة البالغة في إمساكه، وما أمسك فلا مرسل له، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم".
· إذا رأيت نعمة عند غيرك، فقل: "الحمد لله الذي فتح عليه، وهو القادر أن يفتح عليّ".

بهذه الطريقة تتحول الآية من مجرد كلمات تُتلى إلى طاقة إيمانية تدفعك للعمل، وبلسم شافٍ يطمئن قلبك، ونور بصيرة ترى به حكمة الله في كل شيء. إنها تنقلك من خانة "الانفعال مع الأحداث" إلى خانة "الاطمئنان لرب الأحداث".

فهل لك أن تجعل من هذه الآية رفيقة دربك، ومصباح طريقك، في زمن كثرت فيه الأسباب وتاهت فيه القلوب؟

ثالثا.

يا من ذاقت روحه حلاوة الاتصال بالفاطر، ويا من اطمأن قلبه وهو يسمع وعد الحق: "مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا"، لقد انتهينا من رحلة اليقين بأن أبواب الرزق والرحمة بيد الله وحده يفتحها ويمسكها. لكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: كيف نستجيب لهذا العطاء الإلهي المتدفق؟ ما هو واجبنا نحو هذه النعم التي تترى علينا ليل نهار؟

هنا تأتي الآية الثالثة لتكون بمثابة النداء المباشر، والخطاب الصريح الذي يهز الضمير الإنساني. إنها ليست مجرد إخبار عن قدرة الله وعطائه، بل هي توجيه عملي للقلب والعقل والجوارح. بعد أن علمنا في الآيتين الأوليين أن الله هو الفاطر، وأن الله هو الفاتح الممسك، تأتي هذه الآية لتقول لنا: وماذا أنتم فاعلون إزاء هذه الحقيقة؟ كيف تتعاملون مع هذا الإله العظيم؟

إنها آية تصحح المسار، وتوقظ الفطرة، وتزرع الشكر في أرض القلوب. هيا بنا نتدبر معًا قول الله تعالى:

·{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}[فاطر:3]

الرابط المحكم بين الآيات: من معرفة الفاطر إلى ذكر النعمة

تأمل معي هذه السلسلة الإيمانية المترابطة في أول سورة فاطر:

1.الآية الأولى: عرّفتنا على الله بـ "فاطر السماوات والأرض"، أي خالقهما ومبدعهما .وأكدت لنا أن بيده التصرف في الملائكة والخلق بقدرته المطلقة.
2.الآية الثانية: أخبرتنا أن هذا الفاطر القادر هو الذي "يفتح" للناس رحمته و "يمسكها" بحكمته، فلا راد لفضله ولا معقب لحكمه.
3.الآية الثالثة: بعد هذا البيان الشافي، تتوجه إلينا بالنداء المباشر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ" .وكأنها تقول: ما دمتم قد عرفتم أن الله هو الفاطر المبدع، وأنه هو الفاتح الممسك لرحمة، فلماذا الغفلة؟ لماذا لا تتذكرون نعمه التي تغمركم؟

إنها دعوة للانتقال من المعرفة النظرية إلى الاستجابة العملية المتمثلة في الشكر والذكر. الانتقال من "تعرف" إلى "تشكر".

تفصيل دلالات الآية وألفاظها: نداء للفطرة الإنسانية

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية الكريمة، لنرى كيف تخاطب أعماقنا:

·{يَا أَيُّهَا النَّاسُ}:

· نداء عام شامل: هذا النداء ليس خاصًا بالمؤمنين وحدهم، بل هو لكل الناس .لماذا؟ لأن النعم التي سيأتي الحديث عنها هي نعم عامة يشترك فيها الجميع: المؤمن والكافر، البر والفاجر .إنه نداء للفطرة الإنسانية السليمة التي لا تملك إلا أن تقر بوجود خالق رازق .إنه خطاب يوقظ الإنسانية الغافلة في كل زمان ومكان.

· دلالة النداء: النداء بـ "يا" فيه معنى التنبيه والإيقاظ من الغفلة .كأنه صوت منادٍ يهتف بك: انتبه! توقف! فكر!

·{اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ}:

· الأمر بالذكر: "اذكروا" فعل أمر، وهو تكليف وعبادة .والذكر هنا ليس مجرد التلفظ باللسان، بل هو ذكر بالقلب والجنان والجوارح.
· ذكر القلب: استحضار عظمة المنعم واستشعار فضله.
· ذكر اللسان: الثناء على الله وشكره.
· ذكر الجوارح: استخدام النعمة في طاعة المنعم وليس في معصيته.
· إفراد "نعمة" وجمعها:
· هنا قال: "نِعْمَتَ اللهِ" بالإفراد، وفي مواضع أخرى قال: "وَإِن تعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تحْصُوهَا"] النحل: [18بصيغة الإفراد أيضًا، بينما قال في آيات أخرى: "وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً"] لقمان: [20 بصيغة الجمع .والسر في الإفراد هنا أنه يشير إلى أصل النعمة وجنسها، وهو الإيجاد والخلق والرزق . فكل النعم ترجع إلى هذا الأصل الواحد .إنها إشارة إلى أن تذكر هذه النعمة الواحدة الكبرى يكفيك لتعرف المنعم، فكيف إذا نظرت إلى تفاصيل النعم وتعددها!

·{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}:

· استفهام إنكاري تقريري: هذا الاستفهام ليس لطلب الجواب، لأن الجواب معلوم بالفطرة والعقل: لا يوجد! إنه استفهام لتقرير الحجة وإلزام الخصم .كأنه يقول: أيها الإنسان، هل تدّعي أن هناك خالقًا غير الله يرزقك؟ أجب بإنصاف.
· الربط بين الخلق والرزق: إن الذي خلقك هو الذي يرزقك .فالخلق يقتضي الرزق .فالله لما خلق الخلق تكفل بأرزاقهم .وهذا دليل على كمال قدرته ورحمته.
· ·{مِّنَ السَّمَاءِ}: أي المطر الذي به حياة كل شيء، والأنوار والعلامات التي يهتدي بها.
· ·{وَالأَرْضِ}: أي النبات والمعادن والكنوز والأنهار والثمار، وكل ما يخرج من الأرض من خيرات.
· صورة حسية بديعة: الآية ترسم أمام عينيك مشهدًا حيًا لأسباب رزقك: انظر فوقك إلى السماء التي تمطر خيرًا، وانظر تحتك إلى الأرض التي تنبت خيرًا .أنت بين السماء والأرض، ترزق منهما بلا حول منك ولا قوة .إنه مشهد يملأ القلب يقينًا بأن الرازق هو الله وحده.

·{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}:

· النتيجة المنطقية الحتمية: هذه هي خلاصة الأدلة والبراهين .ما دام لا يوجد خالق غير الله، ولا يوجد رازق غير الله، إذن لا إله إلا هو .لا يستحق العبادة والذل والخضوع إلا هو .إنها كلمة التوحيد التي هي مفتاح الجنة وخلاصة دعوة الرسل.

·{فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}:

· سؤال توبيخ وتعجيب: "أنّى" بمعنى كيف؟ "تؤفكون" أي تصرفون وتقلبون عن الحق .بعد كل هذه الأ دلة الواضحة والبينات الساطعة، كيف تصرف عقولكم وقلوبكم عن الإيمان بالله وحده؟ كيف تتركون عبادة الخالق الرازق إلى عبادة مخلوق لا يخلق ولا يرزق؟ إنه سؤال يهز الضمير ويدفع للتفكر و المراجعة.

أمثلة تقريبية تقرب الصورة وتلامس الوجدان

حتى نعيش معنى الآية بوضوح، دعنا نضرب أمثلة من حياتنا اليومية:

· مثال الجائع وقطعة الخبز:
تخيل أنك في صحراء قاحلة، جائع عطشان، وفجأة تجد قطعة خبز طازجة وكأس ماء بارد .هل ستسأل: من أين جاء هذا؟ إن فطرتك ستدفعك مباشرة للبحث عن المنعم وشكره .هذه القطعة من الخبز، هذا هو أنت في كل لحظة من حياتك .أنت تأكل وتشرب وتتنفس، فهل تسألت: من أنبت حبة القمح؟ من أنزل الماء من السماء؟ من هيأ هذه النعم؟ إنها نعمة الله عليك، فاذكرها.
· مثال الغريق وحبل النجاة:
تخيل نفسك تغرق في بحر لجي، ولا منقذ لك .وفجأة، يُلقى إليك حبل نجاة، فتتشبث به وتنجو . هل ستقول: الحمد للحبل!؟ أم ستبحث ببصرك عن اليد التي ألقت الحبل؟ هذا الحبل هو نعم الله

الظاهرة والباطنة .كثيرون يفرحون بالنعمة) الحبل (وينسون المنعم) اليد التي ألقته .(الآية تدعوك أن ترى يد المنعم في كل نعمة.
· مثال المريض والشفاء:
أصابك مرض عضال، وعجز الأطباء .ثم فجأة، يحصل الشفاء .من الذي شفاك؟ هل هو الدواء وحده ؟ الدواء مجرد سبب، لكن الشافي الحقيقي هو الله .تذكر نعمة الشفاء، واذكر المنعم الذي أجرى الشفاء على يد الطبيب أو الدواء .هذا هو الذكر المطلوب.

لمسات بيانية وبلاغية تهز الأعماق

· العدول عن الغيبة إلى الخطاب:
في الآيتين الأوليين كان الحديث عن الله بضمير الغائب: "الحمد لله"، "فاطر السماوات"، "جاعل الملا ئكة"، "ما يفتح الله" .وفي هذه الآية، يتحول الخطاب إلى ضمير المخاطب: "اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ" . هذا الانتقال من أسلوب الإخبار إلى أسلوب الخطاب المباشر فيه قوة في التأثير وإيقاظ للقلب الغافل . كأن المعلم بعد أن شرح الدرس، التفت إلى تلاميذه قائلا ً: والآن، ماذا فهمتم؟ ماذا ستفعلون؟
· الربط بين الخلق والرزق في أسلوب الشرط:
قوله: "هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم"، وصف "غير الله" بأنه "خالق" وجعله فاعلا ً للرزق "يرزقكم" . هذا أبلغ من أن يقال: هل من رازق غير الله؟ لأن الخلق هو أساس الرزق، فالخالق هو الذي أوجدك من عدم، وهو الأولى أن يرزقك .فإذا انتفى وجود خالق غير الله، انتفى وجود رازق غيره بالضرورة.
· سجع الآية وإيقاعها الموسيقي:
تأمل ختام الآيات الثلاث:
· الآية الأولى: "إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".
· الآية الثانية: "وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ".
· الآية الثالثة: "فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ".
هذا التناغم الصوتي في الفواصل يترك في الأذن جرسًا موسيقيًا عذبًا، ويساعد على تثبيت المعاني في الذاكرة والوجدان .كما أن التنقل بين تقرير القدرة، ثم الحكمة، ثم تعجيب القلب من الصرف عن الحق، هو انتقال بديع يحرك النفس وينقلها من مقام إلى مقام.

رسائل تربوية ونفسية وفكرية تزكي النفس

· الرسالة التربوية: زرع بذور الشكر في أرض القلب.
الآية تربي فيك عبادة عظيمة هي عبادة "ذكر النعمة" .هذا الذكر ليس مجرد كلمات تقال في الصباح والمساء، بل هو:
· تربية على مراقبة النعم: أن تلتفت إلى ما حولك، فترى النعم التي تعيشها كل لحظة) نعمة البصر، السمع، العقل، الصحة، الأمن، الطعام، الشراب، المسكن.(
· تربية على ربط النعمة بالمنعم: أن لا ترى النعمة وحدها، بل ترى يد الله التي أعطتك إياها.
· تربية على الشكر العملي: أن تستخدم هذه النعم في طاعة الله .فشكر نعمة البصر غضه عن الحرام، وشكر نعمة السمع إصغاؤه للحق، وشكر نعمة المال إنفاقه في الخير.
· الرسالة النفسية: علاج النسيان والغفلة التي تورث القلق.
كثير من القلق والاضطراب النفسي سببه النسيان: نسيان نعم الله علينا، ونسيان أنه هو الرازق . عندما يغفل الإنسان عن النعم التي تحيط به، يشعر بالحرمان والنقص، فيبدأ في المقارنة والحسد و القلق .هذه الآية هي جلسة علاج نفسي راقية: "تذكرا!" .تذكر النعم التي أنت فيها لتشعر بالغنى والرضا ، فتزول عنك وساوس الحرمان والقلق .إنها تملأ قلبك طمأنينة ورضا.
· الرسالة الفكرية والعقلية: إعمال العقل في الاستدلال على وجود الله ووحدانيته.
الآية تدعو إلى إعمال العقل والمنطق .إنها تقول لك: فكرا من خلقك؟ من يرزقك؟ إذا كنت تقر بأن الخالق الرازق هو الله، فلماذا لا تخلص له العبادة؟ إنها توقظ في الإنسان ملكة الاستدلال والنظر، وترتقي به من الإيمان التقليدي إلى الإيمان المبني على البرهان والعقل ."هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ" سؤال يحرك العقل ويدفعه للبحث عن إجابة، والإجابة حتمًا ستكون: لا إله إلا هو.

تفعيل الآية في حياتنا العملية والواقع المعاصر

كيف نجعل من هذه الآية واقعًا معاشًا في خضم حياتنا المعاصرة المليئة بالماديات والملهيات؟

أولًا: في عصر "نسيان النعمة" واعتياد الرفاهية.
نحن نعيش في زمن توفرت فيه النعم بشكل هائل. الماء يجري بنقرة زر، والطعام يحضر بأمر هاتف،

والبيوت مكيفة في الحر والبرد. هذا الترف الشديد والاعتياد على النعم جعل الكثيرين ينسون أصل النعمة ومنعمها، بل قد يتذمرون إذا تأخر الماء قليلا ً أو انقطع التيار الكهربائي. هنا يأتي دور الآية لتربينا على "ذكر النعمة".

· تطبيق عملي: قبل أن تشرب كأس الماء البارد، توقف لحظة .تذكر قول الله: "أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الذي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ"] الواقعة:68 - .[69قل: "الحمد لله الذي سقاني هذا الماء وجعله عذبًا فراتًا" .بهذه الوقفة القصيرة تحول فعلًا عاديًا إلى عبادة.

ثانيًا: في مواجهة الإلحاد الحديث وتقديس العلم المادي.
يحاول الخطاب الإلحادي المعاصر أن يقنعنا بأن الكون وُجد بالصدفة، وأن الحياة تطورت عشوائيًا، وأنه لا حاجة لوجود خالق. هذه الآية تقدم حجة فطرية عقلية بسيطة وعميقة في الوقت نفسه. عندما يقول لك ملحد: لا دليل على وجود الله، قل له: انظر إلى السماء والأرض. من الذي ينزل المطر ؟ من الذي ينبت الزرع؟ من الذي يرزق الإنسان والحيوان؟ هل تستطيع الصدفة أن تفعل ذلك بنظام دائم ومتقن؟ "هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ"؟ إنها دعوة للعودة إلى الفطرة السليمة التي لم تلوثها الفلسفات المادية.

ثالثًا: في عالم الاستهلاك والمقارنات الاجتماعية.
تروج وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي لثقافة الاستهلاك والمقارنة. ننظر إلى ما في أيدي الآخرين من نعم، فنشعر بالحرمان وننسى نعمنا التي تملأ حياتنا. الآية تعلمنا أن نوجه بصرنا إلى "نعمة الله علينا" نحن شخصيًا.

· تطبيق عملي: في نهاية كل يوم، قبل النوم، جلسة قصيرة مع نفسك .أغمض عينيك وتذكر ثلاث نعم أنعم الله بها عليك في هذا اليوم .قد تكون نعمة لقاء صديق، أو نعمة وجبة لذيذة، أو نعمة الصحة، أو حتى نعمة أن الله سترك وعافاك .هذا التمرين اليومي يملأ قلبك بالرضا والغنى، ويحميك من سموم الحسد والمقارنة.

رابعًا: تحويل النعم إلى مشاريع خير وعمران.
ذكر النعمة لا يعني الجمود عند الشكر باللسان فقط، بل يعني استثمارها في طاعة الله وعمارة الأرض.

· إذا رزقك الله العلم، فاذكر نعمته بنشره وتعليمه للناس.
· إذا رزقك الله المال، فاذكر نعمته بالصدقة والإنفاق في وجوه الخير.
· إذا رزقك الله الصحة والوقت، فاذكر نعمته بخدمة الناس وقضاء حوائجهم.
· إذا رزقك الله منصبًا أو نفوذًا، فاذكر نعمته بإحقاق الحق ونصرة المظلوم.
هذا هو الشكر العملي الذي يعمر الأرض ويرتقي بالمجتمع .إنه تحويل لطاقة الشكر إلى طاقة بناء وحضارة.

خلاصة: كيف تجعل هذه الآية منهج حياة؟

لتكن هذه الآية مفتاح يومك ومنتهاه:

· في صلاتك: استحضر وأنت تقرأ الفاتحة "الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ" أن هذا الحمد هو على كل هذه النعم التي تذكرتها.
· في أذكار الصباح والمساء: أضف إلى أذكارك: "اللهم ما أصبح) أمسى (بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر".
· في تعاملك مع الآخرين: إذا رأيت إنسانًا في ضيق، فذكره بنعم الله عليه .إذا رأيت إنسانًا تائهًا، فادعه إلى التفكر في آيات الله في الكون .كن داعيًا إلى "ذكر النعمة".

يا أيها الإنسان:
إنك محاط بنعم الله من كل جانب. السماء تمطر لك رزقًا، والأرض تنبت لك رزقًا، والله يحفظك ويرعاك. فلا تغفل! اذكر نعمة الله عليك، اذكرها بقلبك ولسانك وجوارحك. وانظر حولك، هل من خالق غير الله يرزقك؟ لا. إذن، فلا إله إلا هو. فأنى تؤفكون؟! فكيف تصرف عقولكم وقلوبكم عن هذا الإله العظيم الذي يغمركم بنعمه؟

اجعل ذكر النعمة وقودًا لحياة ملؤها الشكر والرضا والعمل الصالح. فبذلك تتحقق العبودية الحقة، وتفوز بخيري الدنيا والآخرة..

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الثاني
اولا.

أيها السائر في درب الحق، يا من أنهكته غربة المبدأ، ويا من أوجعته سهام التكذيب، ويا من تساءل في لحظة صمت: لماذا يُقابل الخير بالصدود، ويُجازى الصدق بالجحود؟ تعالَ نستظل معًا بظل آية كريمة نزلت بردًا وسلامًا على قلب النبي ﷺ، وهي لكل داعية ومصلح من بعده نبراس هداية وشفاء.

لقد عشنا مع الآيات الأولى من سورة فاطر رحلةً من التأمل في قدرة "الفاطر"، ويقينًا بأن "ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها"، ثم جاء النداء بذكر النعمة .والآن، وبعد أن تتفتح بصيرة القلب على عظمة الله وفضله، تأتي الآية الرابعة لتُعدّك لمواجهة حتمية: مواجهة الصد والتكذيب .إنها آية لا تخبرك عن العدو، بل تعلمك كيف تتعامل معه، وكيف تحمي قلبك من سمومه.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى، ونجعله يلامس شغاف قلوبنا:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فاطر:[4

السياق القرآني:الانتقال من ذكر النعمة إلى سنة المكذبين

تأمل معي هذا الترتيب المحكم:

1.الآية(1) : تعريف بالله "الفاطر" صاحب القدرة المطلقة.
2.الآية(2) : بيان أن بيده "فتح الرحمة" و"إمساكها".
3.الآية(3) : نداء للناس "اذكروا نعمة الله عليكم"، وهو دعوة لاستقبال هذه الرحمة بالشكر.

الآن، ماذا لو قوبل هذا النداء بالصد والإعراض؟ ماذا لو كُذِّب الداعي إلى الله بعد أن أقام الحجة بآيات الفاطر ونعمه الظاهرة؟ هنا يأتي الجواب في الآية الرابعة: لا تحزن، ولا تتعجب، فهذه سنة ماضية.

وكأن السياق يقول: يا محمد، أنت تدعوهم إلى "الفاطر" و"الفاتح الرحمة"، وتذكرهم بنعمه، فإذا كذبوك، فتذكر أن هذه هي سنة الله في الصراع بين الحق والباطل .لست بدعًا من الرسل، فقبلك سار ركب ا لأنبياء على هذا الدرب الشائك، فاصبر كما صبروا.
الأمر الأول تفصيل دلالات الآية: درس في الصبر واليقين

لنغص في معاني هذه الكلمات القليلة التي تحمل في طياتها عالماً من التربية والسلوى:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾:

· أداة الشرط "إن": تفيد الاحتمال والشك، وهي هنا للتعليق والإعلام بأن هذا الأمر واقع لا محالة .ف التكذيب هو طبيعة الطريق لمن يحمل رسالة الحق.
· الفعل "يكذبوك": التكذيب ليس مجرد عدم تصديق، بل هو رفض عناد وجحود بعد وضوح الحجة . إنه أذى نفسي عميق يوجه إلى الداعية، يمس ذاته ورسالته.

﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾:

· الفاء "فقد": تفيد التعليل والتسبيب .كأنه يقول: لا تحزن لتكذيبهم، فالسبب أن هذه سنة الله في الأ ولين والآخرين، ولست وحدك في هذا الميدان.
· بناء الفعل للمجهول "كُذِّبَتْ": فيه إشارة لطيفة إلى أن الرسل لم يُكذبوا لضعف حجتهم، بل كُذِّبوا من قبل مكذبين معاندين .الذنب ليس في الرسالة ولا في المرسل، بل في نفوس استحكمت فيها الغفلة والكبر.
· لفظ "رُسُلٌ": لم يقل "أنبياء" فقط، بل "رسل" .والرسل هم الذين يحملون رسالة ويُؤمرون بتبليغها . ففيه إشارة إلى أنك يا محمد، بحملك لهذه الرسالة الثقيلة، أنت على طريق الرسل، فاصبر على ما صبروا عليه أولو العزم.
· "مِن قَبْلِكَ": تفتح لك نافذة على تاريخ الصراع الطويل .إنه يربطك بقافلة النور الممتدة عبر التاريخ: نوح، هود، صالح، إبراهيم، موسى، عيسى، وغيرهم .شعورك بالوحدة سيزول حين تدرك أنك لست

وحيدًا، بل أنت امتداد لهذا الركب المبارك.

{وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}:

· "وَإِلَى اللهِ": تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والقصر .أي: إلى الله وحده لا إلى غيره، ترجع الأ مور.
· "تُرْجَعُ الأُمُورُ": فعل مضارع مبني للمجهول .كل الأمور، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، في هذه الحياة، مصيرها ومآلها وعاقبتها ترجع إلى الله.
· دلالة عظيمة: هذه الجملة هي الترياق الشافي لقلب الداعية .إنها تنقل تفكيره من ردود فعل الناس العاجلة إلى حكم الله الآجل .إنها تقول له: لا تشغل بالك بالنتائج الفورية، فأنت تؤدي الأمانة، والله هو الذي سيتولى الحكم النهائي يوم القيامة .هناك ستُوزن الأعمال، وتفصل الخصوم، ويُنتقم للمظلوم من الظالم.

الأمر الثاني أمثلة تقريبية تشرح الصدر وتثبت الفؤاد

لنجعل هذه المعاني أقرب إلى الواقع بمشاهد حسية:

· مثال المزارع والبذرة:
أنت كمزارع تحرث أرضك، وتنقي بذرك، وتغرسه بعناية، ثم تسقيه .هذا هو واجبك .لكن هل تنبت البذرة في اليوم التالي؟ لا .قد تمر أيام وأسابيع، وقد تتعرض الزرعة للرياح والأمطار .المزارع العاقل لا ييأس ولا يقتلع البذرة لأنه لم ير الثمرة فورًا، بل يواصل سقيه ورعايته، واثقًا بأن العاقبة بيد الله .
هكذا أنت أيها الداعية .كلمتك الطيبة كالبذرة، قد لا ترى ثمرتها اليوم أو غدًا، لكن واجبك أن تسقيها بالصبر والدعاء، وترد أمر ثمرتها إلى الله: "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ".
· مثال الطبيب في غرفة الطوارئ:
يأتي طبيب إلى مريض في حالة خطرة، فيبذل كل ما في وسعه من علم وجهد لإنقاذه .قد ينجح فيشفى المريض، وقد يفشل فيموت .هل معنى فشل الطبيب أن علمه كان خاطئًا أو أن جهده كان ناقصًا؟ لا .واجبه هو بذل الأسباب، وأما النتيجة فبيد الله وحده .الطبيب الحكيم لا يتركه الفشل محبطًا قانطًا، بل يعود ليبذل الجهد مع مريض آخر، لأنه يعلم أن الأمور ترجع إلى الله .وكذلك أنت أيها المصلح، واجبك أن تدعو وتبلغ، والهداية بيد الله.

رسائل تربوية ونفسية وفكرية: شفاء للقلب المكلوم

هذه الآية هي بمثابة جلسة علاج نفسي راقية، تقدم لك إجابات على أسئلة وجودية مؤرقة:

· السؤال: كيف أتعامل مع فشل محاولات الإصلاح؟ هل عيب فيّ أم في رسالتي؟
· الجواب من الآية: "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ".
· الرسالة التربوية: التكذيب ليس دليلا ً على بطلان ما تدعو إليه، بل هو دليل على أنك على طريق الأنبياء .إنها قاعدة ذهبية في التربية الدعوية: لا تقيّم عملك بنتائجه الفورية، بل بمدى إخلا صك فيه وموافقته للحق .هذا يعيد تعريف النجاح الحقيقي: النجاح هو أن تؤدي ما عليك، لا أن ترى ثمرة ما غرست.
· السؤال: أشعر بالوحدة والغربة بسبب تمسكي بالحق، فكيف أثبت؟
· الجواب من الآية: "فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ".
· الرسالة النفسية: شعورك بالوحدة هو شعور طبيعي، لكن العلاج هو أن تنظر إلى رفقة الطريق . أنت لست وحدك .هناك قافلة عظيمة من الرسل سارت على هذا الدرب قبلك .نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وإبراهيم الذي أُلقي في النار، وموسى الذي قال عنه فرعون: "إن هذا لساحر عليم" .إنهم أسوة وقدوة لك .هذا الاستحضار يملأ قلبك بالأنس والقوة، فتشعر أنك تنتمي إلى صفوة الخلق، فلا تستوحش قلة السالكين.
· السؤال: كيف أحمي تقديري لذاتي من سهام النقد والتكذيب؟
· الجواب من الآية: "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ".
· الرسالة الفكرية: هذه الجملة تعلمك درسًا عظيمًا: لا تضع تقديرك الذاتي في أيدي الناس .الناس متقلبون، اليوم يمدحون وغدًا يذمون .إذا جعلت رضاهم هدفك، أصبحت عبدًا لهم .لكن إذا جعلت رضا الله هدفك، ورددت الأمر كله إليه، تحررت من عبودية الخلق .الآية تقول لك: اتقن عملك لله، ف المجازي الحقيقي هو الله .إنها دعوة لتحرير الذات من أسر آراء الناس.
· السؤال: أخاف من المستقبل، وأقلق من المجهول، فماذا أفعل؟

· الجواب من الآية: "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ".
· الرسالة الإيمانية: الخوف من المستقبل سببه تعلق القلب بالأسباب والنتائج .لكن هذه الآية هي تفويض كامل لله .أنت تخطط، تسعى، تبذل الجهد، لكنك تكل النتيجة والعاقبة إلى الله .هذا التفويض يمنحك راحة نفسية عظيمة، فأنت تعلم أن مدبر الأمور هو الحكيم الخبير الذي لا يريد بك إلا الخير . فاسترح قلبًا، فكل أمورك، من أمل ورزق ومشاكل، مرجعها إلى الله.

تفعيل الآية في حياتنا العملية: دستور للداعية المعاصر

كيف ننزل هذه المعاني إلى واقعنا اليومي، ونحن نواجه تحديات العصر من تشكيك، وتكذيب للحق، وحملات تشويه؟

أولًا: في ميدان الدعوة على وسائل التواصل الاجتماعي.
أنت تكتب منشورًا تدعو فيه إلى خير، فتنهال عليك التعليقات الساخرة والمكذبة .بدلا ً من أن تدخل في دوامة من الغضب والإحباط، تذكر هذه الآية .قل لنفسك: "هذه سنة الله .لست وحدي .قبل أن يكذبوا تعليقي، كذّب الرسل من قبلي .واجبي هو البيان والإبلاغ، وأما حسابهم فعند الله." هذه الوقفة تحميك من الإنهاك النفسي، وتجعلك تواصل طريقك بصدر رحب.

ثانيًا: في بيئة العمل أو الدراسة التي تستهزئ بالقيم.
قد تشعر بالغربة بين زملائك لأنك تلتزم بقيم دينك في الصدق والأمانة والعفة .يسخرون منك ويصفونك بالرجعية .هنا يأتي دور الآية لتثبتك .أنت لست وحدك، فهذا يوسف عليه السلام عاش غريبًا في قصر العزيز، وهذا موسى عاش غريبًا في قصر فرعون .تذكر أن "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ"، وسيرى الجميع عاقبة الصدق وعاقبة الكذب .هذا يعطيك قوة للاستمرار دون تذمر.

ثالثًا: عند محاولة إصلاح ذات البين أو نصح قريب عاص.
قد تبذل جهدًا كبيرًا في الإصلاح بين متخاصمين، أو في نصح صديق أو قريب، ثم تفشل جهودك .لا تجزع ولا تقل: "لقد ضاع تعبي" .تذكر أن "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ" .أنت قد أديت واجب النصح والأمر بالمعروف، وهذا هو المطلوب منك .أما تغيير القلوب فبيد الله وحده .هذا المنظور يجعلك لا تكلّ ولا تيأس، ويحول دون شعورك بالإحباط والمرارة.

عرض النفس على الآية: جردة حساب للقلب

هيا بنا الآن نعرض أنفسنا على هذه الآية، فهي بمثابة مرآة لنفوسنا، لنرى أين نحن من هذه التوجيهات الربانية:

· هل أنا سريع الإحباط؟ إذا واجهت صعوبة في مشروع خير، أو قوبلت بالنقد، هل أتوقف وأشعر بـ الفشل؟ الآية تعلمني أن الصعوبات جزء من الرحلة، وأن من هم أفضل مني واجهوا أشد منها .فلماذا أحبط؟
· هل أتأثر كثيرًا بكلام الناس؟ إذا أثنى عليّ أحد شعرت بأني ملكت الدنيا، وإذا ذمني أحد شعرت بأن الدنيا أغلقت في وجهي؟ الآية تعلمني أن ميزان التقدير ليس عند الناس، بل عند الله الذي ترجع إليه الأمور .فلماذا أجعل سعادتي رهينة بألسنة الخلق؟
· هل أعمل بإخلاص لله أم أنتظر الشكر من الناس؟ إذا قمت بعمل خير لشخص، هل أنتظر منه كلمة شكر أو مقابل؟ الآية توجهني لأتقن العمل لله، لأن المجازي الحقيقي هو الله .فلماذا أرهق نفسي بانتظار جزاء البشر ونسيت جزاء رب البشر؟
· هل يملؤني الخوف من المستقبل؟ هل أقلق من الرزق والغد والمصير؟ الآية تمنحني تفويضًا كاملا ً، فأنا أسعى وقلبي مطمئن أن العاقبة بيد الله .فلماذا أقلق والمستقبل بيد أرحم الراحمين؟

خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية رفيقتك في كل محنة تواجهك في طريق الحق:

· عندما تُكذّب: تذكر أنك في ركب الأنبياء، فاصبر كما صبروا.
· عندما تشعر بالوحدة: تذكر قافلة الرسل الكرام، فأنت تسير في طريقهم.
· عندما تغلبك الهموم: قل: "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ"، فهي ترياق الهموم.

إنها آية تعيد تعريف النجاح، وتحررك من سجن آراء الناس، وتغرس في قلبك طمأنينة لا تنفد .إنها لا

تخبرك فقط عن سنة الصراع، بل تعطيك أدوات الصبر والثبات في هذا الصراع .تتعلم منها أن العبرة بالنهاية التي بيد الله، لا بالبداية التي قد يتحكم فيها أهل الباطل.

فامضِ أيها الداعية، أيها المصلح، أيها المتمسك بالحق، على بركة الله .واجعل يقينك في قوله: "وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ" سلاحًا يقطع اليأس، ونورًا يبدد ظلمات الحيرة، وبلسمًا يشفي جراح التكذيب.

ثانيا

أيها المؤمن الحيي القلب، ويا من سمعت نداء الآيات الأولى، فاستقر في قلبك يقين بأن الله "فاطر" السماوات والأرض، وأنه "فاتح" أبواب الرحمة، وأن واجبك أن "تذكر" نعمته، وأن تصبر على "تكذيب" المكذبين، لأنه سنة الله في رسله. لقد كنتَ في رحلة تربية إيمانية متدرجة، أخذت بيدك من آفاق الكون الفسيحة إلى أعماق نفسك المطمئنة.

والآن، ونحن في قلب هذه السورة المكية، ينزل بك الوحي إلى ساحة المعركة الحقيقية. معركة ليست بالسيف والسنان، بل معركة القلب والعقل. إنه يكشف لك عن عدو خفيّ ماكر، وهمّ كبير، ومصيرين لا ثالث لهما. إنها آيات تنزل الغطاء عن الوهم، وتضع يدك على مفتاح النجاة. إنها تحذير وتبشير، تخويف وتطمين، في آن واحد.

هيا بنا نعيش مع هذه الآيات الثلاث، آية آية، لنجعلها زادًا لقلوبنا في زمن الغرور والفتن.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ(7) ﴾[فاطر:5 -7]

الرابط المحكم بين الآيات: من التكذيب إلى الغرور ثم المآل

تأمل معي هذا البناء المنطقي المتين الذي يبني عليه القرآن عقيدة المسلم وسلوكه:

1.الآية(4) : أخبرتنا أن التكذيب سنة ماضية في الرسل، وأن العاقبة إلى الله .هذه الآية كانت تسلية للنبي ﷺ وتثبيتًا.
2.الآية(5) : تنتقل إلى سبب هذا التكذيب والعناد، وهو الغرور بالدنيا وتزيين الشيطان .فلماذا يكذب الكفار بالحق؟ لأنهم اغتروا بالحياة الدنيا الفانية، واستمعوا لعدوهم الشيطان الذي وعدهم بالأماني الكاذبة.
3.الآية(6) : تكشف هوية هذا العدو وتحذر منه صراحة: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ"، وتأمر باتخاذ الموقف الصحيح تجاهه.
4.الآية(7) : ترسم النتيجة الحتمية والمصير النهائي لفريقين: من اتبعوا الشيطان وكذبوا بوعد الله، ومن آمنوا واتقوا.

إنها سلسلة مترابطة: وعد الله حق ← لا تغتروا بالدنيا ← الشيطان هو الغرور ← اعدوه ← مصير أتباعه النار ← مصير المؤمنين الجنة. إنها قصة الحياة الدنيا باختصار، ومعركتها الكبرى.

تفصيل دلالات الآية الخامسة: النداء الأخير للفطرة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾

· نداء عام جديد: تكرر النداء بـ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" في هذه السورة للمرة الثانية) بعد الآية .(3 وهذا يدل على أهمية ما سيأتي بعده .إنه نداء لكل البشر، لأن ما سيدور حوله الحديث هو مصيرهم المشترك.
· ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾: ما هو هذا الوعد؟ وعد الله يشمل كل ما وعد به في كتبه وعلى ألسنة رسله: البعث بعد الموت، الحساب، الجنة والنار، نصر المؤمنين، وهزيمة الكافرين.
· توكيد بـ "إنّ": لتأكيد هذه الحقيقة الغائبة عن أذهان الغافلين.
· وصفه بـ "حَقٌّ": أي ثابت لا يتخلف، واقع لا محالة .ليس ظنًا ولا أمنية، بل هو الحق اليقيني.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾

· الفاء للتفريع: ما دام وعد الله حقًا ويقينًا، فالنتيجة المباشرة هي: لا تغتروا بالحياة الدنيا.
· النهي بـ "لا" والنون الثقيلة "تَغُرَّنَّكُمْ": نهي مؤكد ومغلظ .إنه تحذير شديد من الاغترار والانخداع

بزخرف الدنيا وزينتها الفانية.
· ما هو الغرور بالدنيا؟ هو أن تشغلك الدنيا عن الآخرة، وأن تظنها دائمة باقية، وأن تجعلها أكبر همك ومبلغ علمك، فتنسى أو تتناسى وعد الله الحق.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾

· نهي مؤكد آخر: بعد النهي عن الاغترار بالدنيا، يأتي النهي عن الاغترار بالله .ما الفرق؟
· الاغترار بالدنيا هو أن تنخدع بزينتها.
· الاغترار بالله هو أن تنخدع بحلم الله وستره وإمهاله لك، فتظن أن الله غافل أو راضٍ عن معاصيك .وهو أن يزين لك الشيطان المعاصي ويمنيك بالتوبة غدًا، أو يهون عليك الذنوب بحجة أن الله غفور رحيم.
· لفظة "الغَرُور": صيغة مبالغة من "الغارّ" .وهي من أسماء الشيطان .فهو كثير الغرور والخداع .إنه يغريك ويخدعك، ويزين لك الباطل، ويمنيك الأماني الكاذبة، حتى يوقعك في الهلاك.

مثال تقريبي لآية 5:
تخيل أنك في رحلة بحرية طويلة، وأنت تعلم أن السفينة ستصل حتمًا إلى ميناء معين (وعد الله حق). في أثناء الرحلة، تجد جزيرة جميلة مليئة بالورود والثمار (الحياة الدنيا)، ويدعوك أحدهم (الغرور/الشيطان) للنزول إليها والبقاء فيها، ويزين لك أنها أفضل من الميناء، وأن الميناء بعيد، وربما لا تصل إليه. إذا نزلت واغتررت بالجزيرة، فقد تفوتك السفينة وتضل الطريق وتهلك. هذه الآية تقول لك: لا تغتر بالجزيرة الخضراء، فالوعد بالميناء العظيم حق، فابق على متن السفينة.

تفصيل دلالات الآية السادسة: كشف العدو وتحديد الموقف

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾

· بيان العلة والسبب: هذه الجملة بمثابة تعليل للنهي السابق .لماذا لا ينبغي أن يغركم الغرور؟ لأن الشيطان لكم عدو.
· توكيد العداوة بـ "إنّ" واللام في "لكم": إنها عداوة مؤكدة، ثابتة، ومتجهة إليكم شخصيًا .إنها ليست مجرد عداوة تاريخية، بل هي عداوة مستمرة وحاضرة.
· وصفه بـ "عَدُوٌّ": العدو هو الذي يضمر لك الشر، ويسعى لإلحاق الضرر بك بكل وسيلة .إنها تسمية صريحة ومباشرة، توقظ المؤمن من غفلته عن هذا العدو الخفي.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾

· الفاء للنتيجة المباشرة: ما دام قد تقرر أنه عدو لكم، فالواجب العقلي والشرعي هو أن تتخذوه أنتم أيضًا عدوًا .إنه أمر بالمعاملة بالمثل.
· الأمر "اتخذوه": "اتخاذ" الشيء يعني جعله هيئة وصفة دائمة .ليس المطلوب مجرد عداوة عابرة، بل أن تجعل من عداوته منهج حياة.
· كيف تتخذ الشيطان عدوًا؟
1. العداوة القلبية: بغضه واحتقاره واليقين بأنه يريد لك الشر.
2. العداوة العقلية: معرفة مداخله وطرق خداعه، ومخالفته في كل ما يأمر به.
3. العداوة العملية: مجاهدته بالاستعاذة بالله منه، وعدم اتباع خطواته، وفعل عكس ما يوسوس به.

﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

· كشف النية الحقيقية: هنا تتجلى حقيقة الشيطان الكارثية .إنه لا يدعو من يتبعه من "حزبه" وأوليائه إلى خير أبدًا.
· أسلوب القصر "إنما": يفيد أن غاية دعوته وهدفها الوحيد هو الإضرار بهم وإدخالهم النار .ليس له هدف آخر .فهو لا يريد لهم ملكًا ولا مالًا ولا رفعة، بل يريد لهم العذاب الأبدي.
· "أصحاب السعير": "أصحاب" تدل على الملازمة والدوام .و"السعير" هي النار الملتهبة المستعرة .إنه يريدهم رفقاء دائمين في نار مستعرة .يا له من قائد خائن!

مثال تقريبي لآية 6:
تخيل أن لك صديقًا يظهر لك الود والمحبة، ولكنك علمت يقينًا أنه يسعى لتخريب بيتك، وإفساد

أهلك، وسرقة مالك، بل ويسعى لقتلك في النهاية. كيف سيكون موقفك منه؟ حتمًا ستجعله ألد أعدائك، وستحذر منه كل أهلك، وستكون على حذر دائم من مكره. الشيطان هو هذا الصديق الخائن بعينه، بل هو أشد خيانة. فهل من الحكمة أن تثق به أو تتبع خطواته؟

تفصيل دلالات الآية السابعة: المآل والمصير

بعد التحذير من الغرور وبيان عداوة الشيطان، تأتي الآية السابعة لترسم خارطة النهاية، وتقسم الناس إلى فريقين لا ثالث لهما، بناءً على موقفهم من وعد الله ومن عدوهم الشيطان.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

· الفريق الأول: هم الذين كفروا، أي جحدوا بوعد الله، واغتروا بالحياة الدنيا، واتبعوا خطوات الشيطان الغرور.
· مصيرهم: "عَذَابٌ شَدِيدٌ" .وصف العذاب بالشديد يدل على فظاعته وألمه الدائم .إنهم قد خسروا أنفسهم حين استجابوا لدعوة عدوهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

· الفريق الثاني: هم الذين آمنوا بقلوبهم، فصدقوا بوعد الله، واتخذوا الشيطان عدوًا .ولم يكتفوا بالإيمان القلبي، بل أتبعوه بـ "عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"، وهو الدليل العملي على صحة إيمانهم.
· مصيرهم: وعدهم الله بأمرين:
1. مَّغْفِرَةٌ: ستر للذنوب وتجاوز عن السيئات .فالمغفرة تبدأ قبل الأجر، لأنها تزيل العقبات) الذنوب (التي تحول دون الوصول إلى الأجر.
2. أَجْرٌ كَبِيرٌ: وهو الجنة وما فيها من نعيم مقيم .ووصفه بالكبير يدل على عظمته وسعته، وهو مقابل للعذاب الشديد.

مثال تقريبي لآية 7:
كطالبين في مدرسة، يدرس كل منهما لامتحان مصيري (وعد الله حق: البعث والحساب). أحدهما اغتر بالله واللعب (الحياة الدنيا) واستمع لصديق سوء يمنيه بالنجاح دون تعب (الغرور/الشيطان). والآخر آمن بأهمية الامتحان فاجتهد وذاكر (آمن وعمل صالحًا). في نهاية العام، الأول يفشل ويعاقب (عذاب شديد)، والثاني ينجح ويكافأ (مغفرة وأجر كبير). الآية تخبرك بهذه النتيجة مسبقًا لتنبهك وتوقظك.

لمسات بيانية وبلاغية تهز الأعماق

· النداء المكرر "يَا أَيُّهَا النَّاسُ": يدل على أهمية الموضوع وشموليته .الجميع معني بهذا التحذير، لا أحد مستثنى.
· أسلوب التحذير والإنذار في الآيات الثلاث: جاءت الأفعال بصيغة النهي المؤكد "لَا تَغُرَّنَّكُمُ" و"لَا يَغُرَّنَّكُم"، مما يعطي قوة في الخطاب وإيقاظًا للغافل.
· المقابلة التامة في الآية السابعة:
· "الذين كفروا" في مقابل "الذين آمنوا".
· "عذاب شديد" في مقابل "أجر كبير".
هذه المقابلة توضح الفرق الهائل بين الفريقين، وتجعل الصورة جلية لا لبس فيها، فتدفع السامع لاختيار موقعه بنفسه.
· سر التعبير بـ "مغفرة وأجر كبير": تقديم المغفرة على الأجر يدل على عظيم رحمة الله، فهو يمحو الذنب أولا ً قبل أن يعطي الثواب، ليكون العطاء كاملا ً لا تنغصه تبعة.

رسائل تربوية ونفسية وفكرية تزكي النفس

· الرسالة الفكرية: فهم معركة الحياة الحقيقية.
الآيات تؤسس لعقيدة واضحة: أن الحياة الدنيا هي دار ابتلاء ومعركة بين الإنسان والشيطان .أنت في ساحة حرب، وعدوك لا ينام عن غوايتك .هذه النظرة الفكرية تجعلك دائمًا في حالة يقظة وحذر، وتفسر لك أسباب كثير من الصراعات الداخلية والنفسية .إنها تجيب على سؤال: لماذا أجد صعوبة في فعل الخير وسهولة في فعل الشر؟ لأن عدوًا يزين لك هذا ويثبطك عن ذاك.
· الرسالة التربوية: تربية اليقين بوعد الله واليوم الآخر.
تكرر الأمر "اذكروا" في الآية3 ، وهنا يأتي التحذير "لا تغرنكم" .إنها تربية مستمرة على أن يكون

ميزان الآخرة هو الحاكم على كل تصرفاتك .إذا تزينت لك الدنيا بمعصية، فقارنها بوعد الله الحق . هذه التربية تجعلك لا تبيع الباقي بالفاني، وتصنع منك إنسانًا ذا مبدأ ثابت.
· الرسالة النفسية: التحرر من سلطة الشيطان بالوعي.
كثير من الناس يعيشون تحت تأثير وساوس الشيطان وهم لا يشعرون .يشعرون بالضيق والقلق وا لاكتئاب، وقد يكون مصدره وساوس شيطانية .هذه الآية تمنحك وعيًا نفسيًا عظيمًا .إنها تكشف لك العدو، وتقول لك: لست ضعيفًا بالضرورة، بل هناك عدو يهاجمك .ومجرد معرفة العدو وكشف خطته هو نصف المعركة .إنها تدعوك للاستعاذة بالله، وتفويض الأمر له، مما يمنحك قوة نفسية هائلة.

تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نعيشها في زمن الغرور؟

كيف ننزل هذه التوجيهات الربانية إلى واقعنا المعاصر المليء بمظاهر الغرور وزينة الدنيا؟

أولًا: في مواجهة إغراءات الاستهلاك والماديات (لا تغرنكم الحياة الدنيا).
نحن نعيش في عصر الإعلانات التجارية التي تجعلك تشعر دائمًا بالنقص، فتشترى ما لا تحتاج لتُعجب أناسًا لا يهمك أمرهم. هذه الآية تقول لك: "توقف!". لا تدع هذه المظاهر الفانية تغرك عن هدفك الأسمى. أنت لست بحاجة لأحدث هاتف أو أفخم سيارة لتكون سعيدًا. سعادتك في اتصالك بربك ويقينك بوعده. هذه الآية تعطيك حصانة نفسية ضد وباء الاستهلاك المفرط.

ثانيًا: في التعامل مع الفتن الفكرية والشهوات (ولا يغرنكم بالله الغرور).
اليوم، يُروج للشذوذ والإلحاد والانحلال الأخلاقي تحت شعارات براقة مثل "الحرية الشخصية" و "التطور". البعض يغتر بحلم الله فيظن أن الله غفل عن هذه الأفعال. الآية تحذرك: لا تغتر بالشعارات البراقة، فالشيطان يزينها لك، ولا تغتر بحلم الله، فإن أخذه أليم شديد. تذكر أن "وَعْدَ اللهِ حَقٌّ"، فلا تبع دينك وأخلاقك بثمن بخس من متاع الدنيا.

ثالثًا: في حماية الأسرة والأبناء (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا).
يجب أن تكون عداوة الشيطان درسًا تلقنه لأبنائك منذ الصغر. علمهم أن هناك عدوًا خفيًا يريد إفسادهم وإضلالهم. علمهم الاستعاذة بالله، وذكرهم بقصة آدم وحواء مع إبليس. اجعلهم ينظرون إلى المعصية على أنها هزيمة من العدو، فيأنفوا من ذلك. هذا يبني فيهم وعيًا ذاتيًا ورقابة داخلية قوية.

رابعًا: في التخطيط للمستقبل والعمل للآخرة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات).
هذه الآية تعلمنا التوازن. الإيمان بالله ووعده لا يعني ترك العمل للدنيا، بل يعني جعل العمل للدنيا وسيلة للآخرة. أنت تدرس، تعمل، تتاجر، تزرع، لكن نيتك هي إعمار الأرض وخدمة الناس طلبًا لمرضاة الله، وتذكر دائمًا أن هناك "أجرًا كبيرًا" ينتظرك، فيكون ذلك دافعًا لك لإتقان عملك. أنت تعمل للدنيا بجسدك، وللآخرة بقلبك.
خلاصة: كيف نجعل هذه الآيات نورًا لحياتنا؟

هذه الآيات الثلاث هي بمثابة بوصلة إيمانية كاملة:

· الآية (5) توجه البوصلة: تجعل وجهتك هي "وعد الله الحق"، وتحذرك من مشتتات الطريق) الدنيا (ومخادعيه) الشيطان.(
· الآية (6) تحدد العدو: تكشف هويته وهدفه، وتأمرك باتخاذ موقف حازم منه.
· الآية (7) توضح المصير: ترسم لك خريطة النهاية ليبقى اختيارك مبنيًا على بصيرة.

اجعل هذه الآيات زادك اليومي:

· إذا شعرت بلهث وراء الدنيا، فقل: "إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ".
· إذا وسوس لك الشيطان بمعصية، فقل: "إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ"، واستعذ بالله منه.
· إذا شعرت بالفتور عن العمل الصالح، تذكر: "لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ".

أيها المؤمن:
إنك في معركة، وعدوك ذئب ماكر لا يهدأ. فلا تكن فريسة سهلة. يقظتك هي سلاحك، واتصالك ب الله هو حصنك، وعملك الصالح هو زادك في رحلتك إلى دار القرار. فكن من حزب الله المفلحين، ولا تكن من حزب الشيطان الخاسرين.
ثالثا
أيها القلب الحريص على هداية الناس، ويا من أنهكته الحسرات على من ضلّ عن السبيل، ويا من

تساءل في نفسه: لماذا يرى الباطل حقًا، ويرى القبيح حسنًا، ثم يصرّ على ضلاله؟ تعالَ بقلبك المرهق، وبروحك المتعبة، لنجلس معًا في رحاب آية كريمة نزلت لتمسح عنك غبار الحزن، ولتضمد جراح الأسى، ولتعيد لك توازنك النفسي في طريق الدعوة والإصلاح.

بعد تلك الرحلة الإيمانية التي بدأناها مع "فاطر السماوات"، ومررنا فيها على "فتح الرحمة"، و"ذكر النعمة"، و"سنة التكذيب"، و"التحذير من الغرور والشيطان"، تأتي هذه الآية لتكون بمثابة بلسم الشفاء لقلب الداعية، وطوق النجاة من بحر الحسرات. إنها آية تحافظ على طاقتك، وتصون همتك، وتوجه بوصلة اهتمامك نحو ما ينفع ويفيد.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى، لنجعله قبسًا من نور يضيء لنا دروب الدعوة والتربية والإصلاح:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8]

الرابط المحكم بين الآيات: من كشف العدو إلى بيان حال أتباعه

تأمل معي هذا التسلسل المنطقي العجيب في بناء السورة:

1. الآيات (5-6): حذرتك من الغرور بالدنيا، وكشفت لك هوية عدوك الشيطان، وأمرتك أن تتخذه عدوًا.
2. الآية (7): بينت لك مصير من اتبع الشيطان (عذاب شديد) ومصير من عصاه وآمن (مغفرة وأجر كبير).
3. الآية (8): الآن، وقد عرفت كل هذه الحقائق، قد يثور في نفسك سؤال محير: كيف يتبعون الشيطان وهم يرون مصيرهم؟ كيف يختارون الضلال على الهدى؟ كيف يصرون على الباطل بعد وضوح الحق؟

تأتي هذه الآية لتجيبك عن هذا السؤال، ولتكشف لك عن آلية الضلال في النفس البشرية، ولتقدم لك في الوقت نفسه وصفة علاجية نفسية تحميك من أن تستهلك طاقتك في الحزن على من ضل. إنها آية تعلمك فقه الأقدار و حكمة الابتلاء.

تفصيل دلالات الآية وألفاظها: تشريح لظاهرة الضلال وحفظ للطاقة

لنغص في بحر هذه الكلمات النورانية، لنستخرج من كل لفظة كنزًا من الفهم والتوجيه:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾

· الاستفهام الإنكاري "أَفَمَن": الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على محذوف تقديره: "أهذا كمن هداه الله؟ أفمن زُين له سوء عمله كمن اهتدى؟". إنه أسلوب مقارنة ضمني، وهو من أقوى أساليب التربية والتعليم في القرآن.
· "زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ": الفعل مبني للمجهول "زُيِّنَ" ليدل على أن هناك مُزينًا لهذا السوء، وهو الشيطان (الغرور) الذي حذرت منه الآية السابقة، والنفس الأمارة بالسوء، وقرناء السوء من الإنس. إنه تصوير دقيق لكيفية وقوع الإنسان في شراك الضلال: يأتيه الشيطان فيُجمِّل له القبيح، ويُحسّن له المنكر، حتى يفقده ميزان الحق والباطل.
· "فَرَآهُ حَسَنًا": هنا المأساة الحقيقية. لم يعد الأمر مجرد تزيين خارجي، بل تحول هذا التزيين إلى قناعة داخلية، إلى رؤية مشوهة تجعل صاحبها يرى الباطل حقًا، والقبيح جميلا ً. لقد انقلبت عنده الموازين، واختلطت عليه المفاهيم. إنه أشد أنواع الضلال، لأنه ضلال عن بصيرة وفهم، لا عن جهل بسيط.
· مثال تقريبي: كمريض فقد حاسة الذوق، فيأكل طعامًا فاسدًا نتن الرائحة، ومع ذلك يظنه لذيذًا طيبًا. لا ينفع معه تحذير ولا نصح، لأنه لا يشعر بالنتن الذي تشعر به أنت. هذا هو حال من زُين له سوء عمله.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾

· الفاء للتعليل: هذه الجملة تأتي بمثابة التعليل والتفسير لتلك الظاهرة المحيرة. لماذا وصل هذا الإنسان إلى هذه الحالة من انقلاب الموازين؟ لأن الأمر بيد الله، فهو يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ.

· شرح قاعدة الإضلال والهداية:
· هذه الآية لا تعني أن الله يظلم أحدًا بإضلاله، حاشاه سبحانه. بل معناها الدقيق الذي قرره أهل العلم: أن الله سبحانه لما علم من عبدٍ أنه اختار الضلال بملء إرادته، وأنه استحب العمى على الهدى، وأنه لم يبق فيه محل للهداية، فإن الله يختم على قلبه ويزيده ضلالا ً. إنها عقوبة عادلة من جنس العمل. فالهداية والضلال مرتبطان بمشيئة الله المبنية على حكمته وعدله وعلمه السابق بما ستؤول إليه أحوال العباد.
· الهدف التربوي من هذه الجملة: هي ليست دعوة للجبرية والكسل، بل هي رسالة طمأنينة للداعية. إنها تقول له: لا ترهق نفسك في التفكير فيمن ضل بعد أن أوضحت له الحق. الهداية ليست بيدك، بل بيد الله. لقد أديت واجبك، فخلّ بينهم وبين الله. هذا الفهم يحافظ على طاقة الداعية النفسية ويمنعه من الاحتراق الداخلي.

·﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾·

· الفاء للنتيجة: بعد بيان أن الهداية والضلال بيد الله، تأتي النتيجة المباشرة والموجهة للنبي ﷺ ولكل داعية من بعده: لا تذهب نفسك عليهم حسرات.
· النهي بصيغة "لَا تَذْهَبْ": إنه نهي عن استهلاك الذات وتدميرها حزنًا وأسىً على من كفر وضل. "نفسك" تعني ذاتك وروحك وطاقتك. "حسرات" جمع حسرة، وهي أشد الندم والحزن على ما فات.
· الصورة البلاغية المؤثرة: كأن الحسرات والأحزان هي وحش كاسر يريد أن يلتهم نفس الداعية ويذهب بها ويمحقها. والله بنهيه هذا، يطرد هذا الوحش عن قلب نبيه وعن قلوب المصلحين. إنها حماية إلهية للطاقات النفسية من أن تتبدد فيما لا طائل منه.
· الرسالة العميقة: إن الله يريد من الداعية أن يكون قويًا، متماسكًا، متفائلا ً، لا أن يكون كتلة من ا لأحزان والهموم. إن الحزن على من ضل، بعد أداء واجب البلاغ، هو طاقة مهدرة كان يمكن استثمارها في هداية آخرين، أو في تطوير الذات، أو في عمل صالح.

·﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾·

· التعليل النهائي والتسلية القصوى: لماذا لا ينبغي أن تحزن؟ لأن "اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ". الله يعلم ما يصنعونه من تكذيب وعناد وصدود. إنه يعلمه، وسيحاسبهم عليه. لقد اطلع الله على جهدك، واطلع على صنيعهم. فدع الأمر للعليم الخبير. إنها تفويض كامل، وتوكيد على أن العدالة الإلهية ستأخذ مجراها.

أهمية أسلوب المقارنة في التربية والتعليم

هذه الآية الكريمة تقدم لنا نموذجًا راقيًا لاستخدام أسلوب المقارنة في التربية والتعليم. إنها تقارن ضمنيًا بين فريقين:

· فريق: من زُين له سوء عمله فرآه حسنًا.
· فريق: من هداه الله فرأى الحق حقًا والباطل باطلا ً.

ما أهمية هذا الأسلوب التربوي؟

.1تحريك العقل: أسلوب المقارنة يدفع المتلقي إلى التفكير والموازنة .إنه لا يفرض عليه الإجابة، بل يدعوه ليكتشفها بنفسه .عندما تسمع: "أفمن كان على بينة من ربه كمن زُين له سوء عمله؟"، يتحرك عقلك للبحث عن الجواب، فيكون الاستقرار على الحق أعمق وأثبت.
.2توضيح الفروق: المقارنة تبرز الفروق الدقيقة بين الخيارين، وتجعل الصورة أكثر وضوحًا .إنها تريك وجهة نظر "الآخر" المنحرف، ثم تريك وجهة نظر "المهتدي"، لتقارن وتختار عن بصيرة.
.3بناء القناعة الذاتية: عندما يصل الإنسان إلى الحقيقة عن طريق المقارنة والتفكير، فإنه يمتلكها ويصبح أكثر دفاعًا عنها، لأنه لم يتلقها تلقينًا، بل توصل إليها عن اقتناع.
.4التربية على النقد والتمييز: هذا الأسلوب يربي في الإنسان ملكة النقد والتمييز بين الحسن والقبيح ، وبين الصواب والخطأ، فلا يصبح لقمة سائغة لكل فكر منحرف.

الحفاظ على الطاقات من الاستهلاك في الحزن والحسرات

هذه الآية هي إعلان صريح لحماية الطاقة النفسية. إنها تقدم لنا منهجًا ربانيًا في التعامل مع الفشل في الإصلاح وعدم استجابة الناس.

· الطاقة البشرية محدودة: لكل إنسان طاقة نفسية وعقلية وجسدية محدودة. هذه الطاقة هي وقود الحياة والإنجاز.
· الحزن يستهلك الطاقة: الحزن والأسى والحسرات هي من أكبر مستنزفات الطاقة. إنها تجعل الإنسان خاملا ً، كسولا ً، قليل الحيلة، ضيق الصدر.
· توجيه الطاقة نحو البناء: الله سبحانه وتعالى لا يريد لعباده المؤمنين أن يبددوا طاقاتهم في أحزان لا تجدي. إنه يريدهم أقوياء، متفائلين، مقبلين على الحياة والعمل والبناء. إنه يريدهم أن يركزوا طاقاتهم على ما ينفعهم وينفع الناس، لا على ما يضرهم ويؤلمهم.
· الفرق بين الحزن الطبيعي والحزن المهلك: ليس المذموم هو مطلق الحزن، فالحزن على الضالين رحمة بهم، والحزن على فشل محاولة إصلاح هو دليل رقة قلب. ولكن المذموم هو أن يتملكك الحزن حتى يستهلك ذاتك، ويعطلك عن أداء واجبات أخرى، ويصيبك بالإحباط واليأس.

تحويل القيم الواردة في الآية إلى واقع عملي ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

كيف يمكننا أن ننزل هذه المعاني القرآنية العظيمة إلى أرض الواقع، لتبني بنا إنسانًا قويًا، ومجتمعًا متماسكًا، وحضارة راسخة؟

أولا ً: بناء الإنسان المتوازن القوي نفسيًا

· فقه قبول سنة الابتلاء والاختلاف:
· القيمة من الآية: الإيمان بأن من الناس من سيزين له سوء عمله، وأن هذا واقع لا محالة.
· الواقع العملي: هذا الفقه يربي في الإنسان الواقعية وعدم الصدمة عند مواجهة الباطل وأهله. أنت تعلم مسبقًا أنك سترى منكرًا، وستواجه معارضًا، فلماذا تنهار عندما يحدث ذلك؟ هذا الاستعداد النفسي يجعلك أقوى في مواجهة التحديات.
· الحفاظ على الصحة النفسية وطاقة العمل:
· القيمة من الآية: "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ".
· الواقع العملي: هذا هو قانون الحفاظ على الطاقة. أنت كداعية، كمصلح، كمربٍّ، كمبدع، ستواجه من لا يقدر جهودك، ومن يرفض نصحك، ومن يحارب فكرتك. بدلا ً من أن تحترق حسرات عليهم، وفر طاقتك لشيء آخر:
· طور من نفسك ومن مهاراتك.
· اهتم بمن هم أكثر استجابة من غيرهم.
· استثمر طاقتك في مشاريع بناءة.
· خذ قسطًا من الراحة واستعد لمعركة جديدة. هذا هو الذكاء العاطفي والتربوي الذي تعلمه الآ ية.
· التوازن بين المسؤولية والنتائج:
· القيمة من الآية: "فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ".
· الواقع العملي: هذه القاعدة تحررك من وهم السيطرة. أنت مسؤول عن السعي، عن البيان، عن بذل الجهد. لكنك غير مسؤول عن النتائج. النتائج بيد الله. هذا الفهم يمنحك راحة نفسية عظيمة، ويجعلك تعمل بإخلاص وتتقن عملك، ثم تنام قرير العين، لأنك تعلم أن الأمر كله لله. هذه هي حرية المؤمن النفسية.

ثانيًا: بناء المجتمع المتماسك القائم على الحكمة

· فقه الأولويات وتوزيع الطاقات المجتمعية:
· عندما يدرك المجتمع أن ليس كل الناس سيهتدون، وأن منهم من زُين له سوء عمله، فإنه لا يصرف كل طاقته في جدال عقيم مع المعاندين والمكابرين. بل يوجه طاقته نحو:
· تربية النشء على القيم الصحيحة.
· تطوير المؤسسات التعليمية والدعوية.
· بناء اقتصاد قوي وبنية تحتية متينة.
· رعاية المواهب والطاقات الخلاقة.
· هذا التوزيع الذكي للطاقات هو ما يصنع حضارة، بدلا ً من أن يضيع المجتمع وقته وجهده في صراعات جانبية مستنزفة.
· ترسيخ ثقافة العذر والرحمة:
· عندما تفهم أن من يخالفك قد "زُين له سوء عمله"، فهذا لا يعني تبرير باطله أو قبوله، لكنه

يعني أن تنظر إليه نظرة رحمة وشفقة، لا نظرة حقد وكراهية عمياء. أنت ترى فيه إنسانًا ضلّ طريقه ، فأصبح لا يرى الحق كما تراه. هذه النظرة تجعلك تتعامل معه بحكمة ورفق، وتحاول إخراجه من ضلاله برفق، لا بعنف.

ثالثًا: بناء الحضارة الراسخة القائمة على العلم والعمل

· تحويل الطاقة من الحزن إلى الإبداع والعمران:
· الحضارة لا تبنى بالحسرات والدموع. الحضارة تبنى بالعقول المبدعة، والسواعد العاملة، والقلوب المطمئنة. هذه الآية تحرر الطاقات من سجن الأحزان، وتطلقها في فضاء الإبداع والعمل.
· تخيل شابًا فشل في إقناع صديقه بترك التدخين، فبدلا ً من أن يقضي أيامه حزينًا متحسرًا، يوجه طاقته لعمل تطوعي توعوي في مدرسة أو نادٍ رياضي. هذا هو الاستثمار الحضاري للطاقة.
· غرس اليقين بعدالة الله وحكمته في سير التاريخ:
· "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ". هذا الإيمان بأن الله عليم بكل صغيرة وكبيرة، وأنه سيجازي كل نفس بما كسبت، يمنح المؤمن صبرًا استراتيجيًا. إنه لا ينتظر النتائج الفورية، ولا يجزع لتأخر النصر. إنه يعمل ويزرع، وهو واثق أن الله سيحصد ما زرعه في الوقت المناسب. هذه النظرة الاستراتيجية الطويلة هي التي بنت الحضارات عبر التاريخ.

عرض النفس على الآية: هل أنا من الذين تذهب أنفسهم حسرات؟

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه المرآة القرآنية الصادقة:

· هل أجد نفسي غارقًا في أحزان لا تنتهي بسبب فشل مشروع خير أو بعد الناس عني؟ الآية تدعوني لأستيقظ وأحافظ على ما تبقى من طاقتي.
· هل أنظر إلى المنحرفين والعاصين نظرة غضب مدمرة أم نظرة شفقة ورحمة مع الرغبة في الإصلا ح؟ الآية تعلمني النظرة الثانية.
· هل أعلق سعادتي وشقائي على استجابة الناس لي؟ الآية تحررني من هذا القيد الثقيل، وتعلقني ب الله وحده.
· هل أركز على ما في يدي من واجبات، أم أتألم لما في أيدي غيري من خيارات؟ الآية توجهني للتركيز على واجبي.

خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية شعارك عندما تواجه العنت والتكذيب والصدود:

· تذكر دائمًا: من الناس من زُين له سوء عمله، فلا تتعجب من ضلالهم.
· ردد دائمًا: "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ"، فهي ترياق للهموم، ودرع للطاقة.
· استشعر دائمًا: "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"، فهي تفويض مريح، ويقين مطمئن.

أيها العامل في حقل الدعوة والإصلاح:
إن ربك الذي أرسلك، هو الذي يعلم طبيعة الطريق ووعورته. وهو الذي يعلم أنك ستواجه من زُين له سوء عمله. وهو الذي يعلم أن قلبك سيتألم. لذلك، هو يسبق ألمك برحمته، ويرسل إليك هذه الآية لتكون لك سكنًا وطمأنينة، ولتحافظ على طاقتك لمواصلة المسير.

فلا تلتفت كثيرًا إلى الوراء، ولا تحرق نفسك حسرات على من اختار غير طريقك. بل انظر إلى الأمام ، إلى من ينتظرك من القلوب المستعدة للهداية، وإلى المشاريع العظيمة التي تنتظر سواعدك وعقلك. فأنت في هذه الدنيا للعمل والبناء، والحساب والجزاء هناك عند الله العليم الحكيم.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الثالث
اولا
أيها المتأمل في آيات الله في الآفاق، ويا من فتح عينيه وبصيرته ليرى قدرة الله المبثوثة في الكون ، ويا من يبحث عن دليل مادي يلامس عقله ووجدانه ليزداد يقينًا بالبعث والنشور، تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنعيش مع مشهد حيّ نابض بالحركة والحياة، مشهد تراه كل يوم وتمر عليه مرور الكرام، لكن القرآن يفتح عينيك على أسراره وعجائبه ليكون لك برهانًا مرئيًا على قدرة الله المطلقة، ودليلا ً ماديًا على حقيقة البعث التي أنكرها المكذبون.

بعد أن خاطب الله نبيه ﷺ في الآية السابقة بأن لا تذهب نفسه حسرات على من زُين له سوء عمله ، تأتي هذه الآية لتعطينا منهجًا عمليًا في الدعوة إلى الله، وتفتح لنا نافذة عظيمة على كيفية مخاطبة العقل البشري واحترام إرادته .إنها لا تفرض الإيمان فرضًا، بل تدعو العقل للتأمل والتفكر، وتقدم له الأدلة الحسية القريبة من واقعه.

هيا بنا نتدبر هذا المشهد الكوني العظيم في قول الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ فاطر:[9]

**الرابط المحكم بين الآيات: من التحذير من الحسرات إلى الدعوة للتأمل في الآيات

تأمل معي هذا السياق القرآني البديع:

1.الآية(8) : خُتمت بقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"، وفيها تسلية للنبي ﷺ ودعوة له لعدم استهلاك طاقته في الحزن على المكذبين.
2.الآية(9) : تفتح بابًا جديدًا للتعامل مع هؤلاء المكذبين، ليس بالجدال العقيم، بل بدعوتهم للتأمل في آيات الله المرئية في الكون .وكأن الله يقول لنبيه: لا ترهق نفسك معهم بالحجج النظرية فقط، بل وجّه أنظارهم إلى هذا المشهد الكوني الذي يرونه بأعينهم كل يوم .إنه انتقال من الخطاب الغيبي)البعث (إلى الدليل الحسي) إحياء الأرض.(

إنها طريقة قرآنية فريدة في مخاطبة العقل البشري: ربط الغيب بالشهادة، وربط المعنوي بالحسي، وربط المستقبل بالحاضر.

**تفصيل دلالات الآية وألفاظها: مشهد حي من القدرة الإلهية

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية العظيمة، لنشاهد بأعين قلوبنا هذا المشهد المتكامل الذي يرسمه القرآن:

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾

· الافتتاح باسم الجلالة "وَاللَّهُ": إسناد الفعل مباشرة إلى الله سبحانه وتعالى .إنه إعلان عن توحيد الربوبية .هو وحده الذي يرسل الرياح، وليس للأصنام ولا للطبيعة ولا للصدفة يد في ذلك.
· الفعل "أَرْسَلَ": فيه معنى البعث والتوجيه لغرض محدد .الرياح ليست عشوائية، بل هي مرسلة بمهمة ، مأمورة بأمر .إنها جنود من جنود الله.
· لفظة "الرِّيَاحَ": جمع ريح .والجمع هنا يدل على التنوع والتعدد في وظائفها واتجاهاتها وقوتها .فهناك رياح الخير المبشرة، ورياح العذاب المدمرة .لكن السياق هنا لبيان الرحمة.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾

· الفاء للتعقيب المباشر: بمجرد أن ترسل الرياح، تبدأ مهمتها مباشرة: "تُثِيرُ سَحَابًا".
· "تُثِيرُ": فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار .إنها تصف حركة الرياح وهي تدفع السحاب وتحفزه وتجمعه .إنها صورة حسية بديعة لحركة الرياح وهي تهيج السحب وتجمعها من أطراف البحار و المحيطات.
· "سَحَابًا": نكرة .السحاب هو الغمام الذي يحمل الماء .والنكرة هنا تفيد التعظيم والإبهام، كأنه يقول: فتثير سحابًا عظيمًا مثقلا ً بالماء.

﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾

· الانتقال إلى ضمير العظمة "فَسُقْنَاهُ": بعد أن ذكر الرياح التي هي سبب في إثارة السحاب، أسند فعل السوق إليه سبحانه مباشرة بضمير العظمة "نا" .وهذا فيه إشارة إلى عناية الله الخاصة وتدبيره المباشر لهذا السحاب .فالرياح تثير وتجمع، لكن التوجيه الدقيق إلى الأرض الميتة المحتاجة هو من تدبير الله المباشر .إنها دقة التعبير القرآني التي تميز بين الأسباب) الرياح (والمسبب) الله.(
· "سُقْنَاهُ": السوق هو القيادة بلطف ورفق وتوجيه .إنه لا يسوقه سوقًا عنيفًا، بل يقوده قيادة رفيقة إلى حيث يشاء .إنها صورة للرحمة والعناية.
· "بَلَدٍ مَّيِّتٍ": "بلد" نكرة، أي أي بلد كانت، قاحلة، جرداء، هامدة، لا نبات فيها ولا حياة ."ميت" وصف للبلد، وهو وصف دقيق يعبر عن خلوها التام من مظاهر الحياة.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

· ضمير العظمة مرة أخرى "فَأَحْيَيْنَا": أسند الإحياء إليه سبحانه، فهو المحيي الحقيقي .الماء سبب، لكن واهب الحياة هو الله.
· "بِهِ": الضمير يعود على الماء الذي يحمله السحاب، وهو مفهوم من السياق .الماء هو سبب الحياة، كما قال تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ"] الأنبياء:.[30
· "الْأَرْضَ": بدل من "بلد ميت" أو إظهار في موضع الإضمار، وفيه إشارة إلى أن هذه هي سنة الله في كل أرض، وليست خاصة ببلد دون آخر.
· "بَعْدَ مَوْتِهَا": تأكيد على الحالة السابقة، لتبرز قدرة الله في قلب الحال من الموت إلى الحياة .هذا هو مفتاح الآية وبيت القصيد.

﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾

· كاف التشبيه "كَذَٰلِكَ": أي مثل هذا الإحياء العظيم الذي ترونه بأعينكم كل عام، والذي لا تستطيعون إنكاره، سيكون النشور.
· "النُّشُورُ": هو البعث من القبور، والخروج للحساب يوم القيامة .إنه ربط محكم بين المشهد الحسي)إحياء الأرض (والمشهد الغيبي) بعث الموتى .(إنها دعوة للعقل ليقيس الغائب على الشاهد.

**أهمية هذا الأسلوب في مخاطبة الآخرين وفي الدعوة

هذه الآية تقدم لنا منهجًا قرآنيًا كاملا ً في فن الدعوة ومخاطبة العقول:

.1مخاطبة الناس بما يعرفون:
· الله سبحانه وتعالى لم يخاطب المكذبين بالبعث بأدلة فلسفية معقدة، بل وجه أنظارهم إلى مشهد يرونه بأعينهم كل عام .المطر، والسحاب، وإحياء الأرض بعد موتها، هذه أمثلة قريبة من واقعهم، يعيشونها ويمارسونها.
· التطبيق الدعوي: عندما تدعو الآخرين، لا تستخدم لغة غريبة عنهم، ولا مصطلحات معقدة . استخدم أمثلة من حياتهم اليومية، ومن بيئتهم، ومن واقعهم .خاطبهم بما تعلقت به نفوسهم واعتادت عليه .هذا يجعل الخطاب مألوفًا غير مستوحش، و محببًا غير منفر.
.2احترام العقل والإرادة:
· القرآن لا يرغم أحدًا على الإيمان، بل يدعوه للتأمل والتفكر .إنه يقدم له الدليل المادي الحسي، ثم يترك له حرية الاقتناع والاستجابة .إنه يقول: هاكم الدليل أمام أعينكم، فانظروا وتفكروا واعقلوا . هذا هو تكريم العقل البشري واحترام إرادته.
· الآية تقول: من لم يقتنع بالإنذار بالقرآن، فليتأمل في آيات الله المرئية في الكون .إنها دعوة للا نتقال من الإيمان التقليدي إلى الإيمان المبني على البرهان والعلم.
.3استخدام أسلوب التشبيه وقياس الغائب على الشاهد:
· "كَذَٰلِكَ النُّشُورُ" هو أعظم مثال على قياس الغائب على الشاهد .البعث غيب، لكن إحياء الأرض بـ المطر مشهد حاضر .فإذا كنتم ترون بأعينكم كيف يحيي الله الأرض بعد موتها، فلماذا تستبعدون قدرته على إحياء الموتى؟ هذا القياس العقلي يجعل الإيمان بالبعث ضرورة عقلية، وليس مجرد تسليم قلبي.
***تدبرات في أعماق الآية: لمسات بيانية ورسائل إيمانية

لنغص أكثر في بحر هذه الآية، لنسبر أغوارها ونتدبر دقائقها:

· تدبر الفرق بين "أرسل الرياح" و"سقنا السحاب":
· "أَرْسَلَ الرِّيَاحَ" أسند الفعل إلى الله بصيغة الغائب، لأن الرياح تسير بأمره وتسبح في فضاء ملكه الواسع.
· "فَسُقْنَاهُ" استخدم ضمير العظمة "نا"، ليدل على مزيد عناية وتدبير خاص .فبعد أن تثير الرياح السحاب، يتولى الله سبحانه سوقه بنفسه إلى الأرض الميتة المحتاجة .إنها دقة العناية الإلهية في توزيع الرزق والمطر في أماكن محددة .إنها رسالة لكل قلب: إن الله يسوق رحمته إليك أنت بالذات في الوقت الذي يشاء.
· تدبر التشبيه "كَذَٰلِكَ النُّشُورُ":
· لماذا شبه الله النشور بإحياء الأرض بعد موتها؟ لأن إعادة الشيء إلى ما كان عليه أهون من إيجاده من العدم .فمن قدر على إحياء الأرض بعد موتها، وهي جماد، أليس بقادر على إحياء الإنسان بعد موته، وهو الذي خلقه أول مرة؟
· هذا التشبيه يبعث في قلب المؤمن طمأنينة عجيبة .أنت ترى بأم عينك مشهد الإحياء كل ربيع . فكما أنك لا تشك في عودة الحياة إلى الأرض، فكذلك لا تشك في أن الله سيبعثك ويحييك بعد موتك .إنه يقين بصري يتحول إلى يقين قلبي.
· تدبر دلالة سرعة الاستجابة:
· التعبير بـ "الفاء" المتتابعة: "أَرْسَلَ ...فَتُثِيرُ ...فَسُقْنَاهُ ...فَأَحْيَيْنَا..." يعكس سرعة الاستجابة الإلهية لحاجة البشر .فالأرض الميتة كانت تنتظر الغوث، والرياح أرسلت، والسحاب سيق، والإحياء تم .إنها رسالة تفاؤل وأمل بأن فرج الله قريب، وأن رحمته تدرك عباده بسرعة.
· تدبر إحياء القلوب الميتة:
· كما أن الماء يحيي الأرض الميتة، فإن القرآن والذكر والإيمان هو الماء الذي يحيي القلوب القاسية الميتة .فكما أن الأرض الميتة تحتاج إلى ماء المطر لتحيا وتنبت، فإن قلبك يحتاج إلى ماء الوحي ليحيا ويزكو ويؤتي ثماره.
· سؤال للقلب: هل قلبك هو "البلد الميت" الذي يحتاج إلى مطر الهداية؟ إن نعم .فتعرض لنفحات رحمة الله، وتلُ كتابه، وأكثر من ذكره، لتحيا حياتك الحقيقية.

**الإعجاز العلمي في الآية: دقة الوصف القرآني

هذه الآية من الآيات التي أبهرت العلماء المعاصرين بدقة وصفها العلمي، رغم أنها نزلت في زمن لم تكن فيه علوم الأرصاد والمناخ معروفة:

· "أَرْسَلَ الرِّيَاحَ": الرياح بأنواعها المختلفة) تجارية، قطبية، موسمية (هي المسؤولة عن تحريك الكتل الهوائية ونقل بخار الماء من المحيطات والبحار.
· "فَتُثِيرُ سَحَابًا": تصف عملية تكاثف بخار الماء وتجمعه على شكل سحب .فالرياح تثير السحاب أي تدفعه وتجمعه وتحركه.
· "فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ": هذه إشارة إلى أن حركة السحب وتوجيهها إلى مناطق محددة ليست عشوائية، بل تتم وفق قوانين دقيقة يتحكم فيها الله سبحانه وتعالى .فالسحب تساق آلاف الكيلومترات لتسقط أمطارها على أرض قاحلة محددة.
· عملية التلقيح: بعض المفسرين فسر "فتثير سحابًا" بأن الرياح تلقح السحاب، أي تجعله حاملا ً للماء، كما تلقح الذكر الأنثى .وهذا يتوافق مع العلم الحديث الذي اكتشف أن الرياح تحمل نويات التكاثف (Condensation Nuclei) مثل ذرات الغبار والأملاح البحرية، والتي يتجمع حولها بخار الماء ليتحول إلى قطرات مطر .وهذا مصداق قوله تعالى في آية أخرى: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ"] الحجر:.[22

كل هذه التفاصيل الدقيقة التي وردت في كلمات قليلة، تشهد بأن هذا القرآن هو كلام العليم الخبير الذي خلق الكون ويعلم قوانينه.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية من الآية

· الرسالة الفكرية: تأسيس الإيمان بالبعث على البرهان الحسي.
الآية تقدم دليلا ً ماديًا ملموسًا على قدرة الله على البعث .هذا يعزز الجانب العقلي في الإيمان، ويجعل المسلم لا يؤمن فقط بالقلب، بل بالعقل والبرهان أيضًا .إنها تربي عقلية المؤمن الباحث عن الحقيقة.
· الرسالة النفسية: زرع الطمأنينة والتفاؤل والثقة بالله.
· الطمأنينة: عندما تعلم أن الذي يرسل الرياح ويسوق السحاب ويحيي الأرض هو الذي بيده رزقك

وأمرك، تطمئن نفسك وتثق أن تدبيره لك خير من تدبيرك لنفسك.
· التفاؤل: كما أن الأرض الميتة يعقب موتها حياة، فكذلك الشدة يعقبها فرج، والضيق يعقبه سعة . لا تيأس من رحمة الله.
· الثقة بالرزق: من يرسل الرياح ويسوق السحاب ويسقط المطر في المكان المحدد، هو الرزاق ذو القوة المتين .فلماذا تخاف على رزقك؟ ثق بالله وفوض أمرك إليه.
· الرسالة التربوية: تعليم منهج الاستدلال بالكون على الخالق.
الآية تربي في المسلم عادة التفكر في ملكوت السماوات والأرض .إنها تدعوه ألا يمر على الظواهر الكونية مرور الكرام، بل يقف متأملا ً متدبرًا، فيرى في كل مشهد آية على قدرة الله ووحدانيته . هذه النظرة تحول حياته كلها إلى عبادة وتسبيح.

**تفعيل الآية في حياتنا العملية وبناء الحضارة

كيف نحول هذه القيم والمفاهيم إلى واقع عملي في حياتنا ومجتمعاتنا؟

أولا ً: في مجال الدعوة والتعليم:

· استخدام الوسائل التعليمية الحسية: علماء التربية يؤكدون على أهمية استخدام الوسائل الحسية في التعليم .هذه الآية تعلمنا أن نستخدم الطبيعة ككتاب مفتوح للدعوة إلى الله .اصطحب أبناءك أو طلا بك في رحلة إلى الطبيعة، وتأمل معهم مشهد المطر وإحياء الأرض، واربطه بقدرة الله وبالبعث .هذا يرسخ الإيمان في النفوس أكثر من ألف محاضرة نظرية.
· تبسيط الخطاب الديني: الخطاب الديني الناجح هو الذي يخاطب الناس بلغتهم، ويستخدم أمثلة من واقعهم .هذه الآية نموذج يحتذى في تبسيط أعقد القضايا العقدية) مثل البعث (وجعلها قريبة من الفهم.

ثانيًا: في مجال البحث العلمي والتقدم الحضاري:

· الآية تدعو إلى دراسة الظواهر الطبيعية: لفهم كيف يرسل الله الرياح، وكيف تثير السحاب، وكيف يتم سوقه، يحتاج الإنسان إلى علوم الأرصاد الجوية، والفيزياء، والكيمياء .هذا الفهم ليس ممنوعًا، بل هو مطلوب لفهم آيات الله في الكون .إنها دعوة ضمنية للبحث العلمي وتسخير هذه العلوم لخدمة البشرية، مثل الاستمطار الصناعي، والتنبؤ بالطقس، وإدارة الموارد المائية .هذا هو الاستخلاف الحضاري في الأرض.

ثالثًا: في حياتنا الشخصية وعلاج القلوب:

· علاج قسوة القلب والقلق:
· إذا شعرت بقسوة في قلبك، تذكر "البلد الميت" الذي أحياه الله بالماء .واعلم أن قلبك يمكن أن يحييه الله بماء الوحي والذكر .أكثر من تلاوة القرآن بتدبر، وأكثر من ذكر الله، وسترى حياة جديدة في قلبك.
· إذا شعرت بالقلق على رزقك أو مستقبلك، انظر إلى السحاب وهو يساق إلى البلد الميت .من ساقه؟ إنه الله .فهل يعجز الله أن يسوق إليك رزقك؟ ثق بالله واطمئن.

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية نبراسًا لك في كل حين:

· عندما ترى المطر يهطل: تذكر أنه مرسل من الله، مثار بريحه، مسوق بقدرته، ليحيي أرضًا ميتة . وتذكر معه: "كَذَٰلِكَ النُّشُورُ"، فازدد يقينًا بالبعث.
· عندما تشعر بقسوة قلبك: تذكر أنك مثل "البلد الميت" الذي يحتاج إلى ماء الهداية، فأقبل على القرآن والذكر.
· عندما تيأس من تغيير حالك أو حال مجتمعك: تذكر كيف يحيي الله الأرض بعد موتها، فثق بقدرته على إحياء القلوب وإصلاح الأمم.

أيها المتدبر:
إن ربك الذي يرسل الرياح ويسوق السحاب ويحيي الأرض، هو الذي يدعوك للتأمل في هذه الآيات . إنه يريد لك أن تزداد يقينًا، وأن يطمئن قلبك، وأن تعلم أنه على كل شيء قدير .فانظر حولك، وارفع

بصرك إلى السماء، وتأمل في آيات ربك، واجعل من هذه الآية مفتاحًا لقلبك، ليكون حيًا عامرًا بالإ يمان واليقين.
ثانيا
أيها الباحث عن العزة، ويا من أتعبته طرق المذلة وهو يظنها موصلة إلى الرفعة، ويا من أنهكته هموم المناصب والجاه والمال يطلب بها كرامة زائفة، تعالَ بقلبك المكدود، وبروحك الظامئة للكرامة الحقة، لنجلس معًا في رحاب آية كريمة نزلت لتكون قاعدة ذهبية و منهج حياة لمن أراد العزة الحقيقية و الرفعة الدائمة في الدنيا والآخرة.

بعد أن طاف بنا القرآن في رحلة الإيمان، من الإبداع في الخلق، إلى فتح أبواب الرحمة، إلى ذكر النعمة، إلى الصبر على التكذيب، إلى التحذير من الغرور، إلى حفظ الطاقة من الحسرات، إلى الاستدلا ل بالكون على البعث، ها نحن نصل إلى قمة الهرم الإيماني وإلى سر الكرامة الإنسانية .إنها الآية التي تضع النقاط على الحروف، وتكشف زيف المقاييس الأرضية، وتعلن بكل وضوح: "مَن كانَ يُرِيدُ العِزّةَ فَلِلّهِ العِزّةُ جَمِيعًا".

هيا بنا نتدبر هذه الآية العظيمة، لنجعلها دستورًا لحياتنا، ونبراسًا لطريقنا، وميزانًا نزن به أعمالنا وأقوالنا:

﴿مَن كانَ يُرِيدُ العِزّةَ فَلِلّهِ العِزّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[فاطر:10]
**الرابط المحكم بين الآيات: من مشهد الإحياء إلى معنى العزة الحقة

تأمل معي هذا الربط البديع في سياق السورة:

1.الآية(9) : عرضت مشهدًا كونيًا عظيمًا لإحياء الأرض بعد موتها، وربطته بالبعث والنشور، ليقرر عقيدة البعث بالأدلة الحسية.
2.الآية(10) : تأتي لتجيب عن سؤال يثور في نفس كل عاقل: ما هي قيمة الحياة الدنيا إذن؟ ولماذا نسعى؟ وأين تكون العزة الحقيقية؟

لقد رأينا في الآية السابقة أن الله هو المتصرف في الأكوان، المحيي المميت، فمن الطبيعي أن تكون العزة كلها له وحده .وكأن الآية تقول: ما دمتم قد عرفتم أن الله هو الفاطر، وهو الفاتح للرحمة، وهو الذي يحيي ويميت، فاعلموا أن العزة الحقيقية مصدرها هو، فلا تطلبوها من غيره.

**تفصيل دلالات الآية وألفاظها: قاعدة ذهبية للحياة الكريمة

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية، لنستخرج كنوزها ودررها:

﴿مَن كانَ يُرِيدُ العِزّةَ﴾

· أسلوب الشرط "مَن كانَ يُرِيدُ": هذا الأسلوب القرآني البديع يعلق الحكم على إرادة العزة .فكل إنسان بفطرته يريد العزة .لا أحد يريد الذل والهوان .السؤال الحقيقي هو: من أين تطلب هذه العزة؟ وما هي الوسيلة إليها؟
· مفهوم العزة: العزة في اللغة هي القوة والغلبة والمنعة .وهي حالة نفسية واجتماعية يشعر فيها الإ نسان بالكرامة والرفعة، وألا يكون ذليلا ً مهينًا .كل الناس يطلبونها، لكن أكثرهم يخطئون طريقها.

﴿فَلِلّهِ العِزّةُ جَمِيعًا﴾

· الفاء للجواب: أي إن كنت تريد العزة، فاعلم أن العزة ليست موزعة بين الناس، وليست مجزأة، بل هي لله جميعًا .هو وحده مالكها، وهو وحده واهبها.
· تقديم الجار والمجرور "فَلِلّهِ": يفيد الحصر والقصر .أي أن العزة لله وحده، لا لغيره .فكل من يظن أن بيده عزة، فهو واهم، لأن العزة كلها ملك لله.
· تأكيد الشمول "جَمِيعًا": لتأكيد أن جميع أنواع العزة وأشكالها، في الدنيا والآخرة، هي لله وحده .عزة القوة، عزة الغلبة، عزة الكرامة، عزة الرفعة، كلها ملكه سبحانه.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾

· تقديم الجار والمجرور "إِلَيْهِ": يفيد الحصر والاختصاص .فالكلم الطيب لا يصعد إلا إلى الله، ولا يقصد به إلا وجهه، ولا يقبله إلا هو.
· "يَصْعَدُ": الصعود هو الارتفاع إلى أعلى .وهو استعارة جميلة لرفع الأعمال إلى الله وقبولها .إنه يرسم صورة حسية لصعود الكلام الطيب إلى السماء، حيث ينظر الله إليه ويقبله.
· "الكَلِمُ الطَيِّبُ": ما هو الكلم الطيب؟ إنه كل قول حسن، وعلى رأسه وأساسه كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" .ويدخل فيه كل ذكر لله) تسبيح، تحميد، تهليل، تكبير(، وكل قول صدق، ونصيحة، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر، وكلمة طيبة تقال للناس.

﴿وَالعَمَلُ الصَالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

· ضمير النصب في "يَرْفَعُهُ": يعود على الكلم الطيب .أي أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب إلى الله.
· معنى الرفع هنا: يحتمل معنيين متكاملين:
1. العمل الصالح هو الذي يجعل الكلم الطيب مقبولا ً عند الله .فالإيمان باللسان لا يكفي، بل لا بد من تصديقه بالعمل .فمن قال لا إله إلا الله وعمل بمقتضاها، ارتفعت كلمته وقبلت.
2. العمل الصالح هو الذي يزيد في رفعة الكلم الطيب ودرجته عند الله .فكلما كان العمل أخلص وأكثر، ارتفعت منزلة صاحبه بكلامه الطيب.
· العلاقة بين القول والعمل: الآية تقرر قاعدة عظيمة: القول بلا عمل غير مقبول، والعمل هو الذي يثبت صدق القول .الكلم الطيب هو الشجرة، والعمل الصالح هو الماء الذي يسقيها والثمرة التي تنتجها.

﴿وَالذِينَ يَمْكُرُونَ السَيِّئَاتِ﴾

· في مقابل أهل الكلم الطيب والعمل الصالح: يأتي ذكر أهل المكر السيئ .والمكر هو الخديعة والا حتيال في إيصال الضرر للآخرين خفية .والمكر السيئ يشمل كل كيد ودسيسة وتدبير للإفساد في الأ رض، أو للصد عن سبيل الله، أو لإيذاء المؤمنين.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

· جزاؤهم العاجل في الآخرة: عذاب شديد بسبب مكرهم وكيدهم .إنه عدل الله الذي لا يظلم أحدًا.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

· جزاؤهم الآجل في الدنيا: "يبور" أي يفسد ويبطل ولا ينتج ثمرة، بل يعود وباله على صاحبه . فمكرهم السيئ لن يضر إلا أنفسهم، ولن يصلوا به إلى ما أرادوا من النيل من الحق وأهله.
· التعبير بـ "هُوَ يَبُورُ": فيه توكيد على بوار مكرهم وخيبته .إنه كالسوق الكاسدة التي لا ربح فيها، بل خسارة محضة.
**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الباحث عن وظيفة مرموقة:
تخيل شخصين يبحثان عن وظيفة .أحدهما يريدها للعزة والكرامة، فيكذب في سيرته الذاتية، ويتملق المسؤولين، ويسعى بالوساطة والمحسوبية .هذا يطلب العزة من غير الله، بمكر سيئ .والآخر يريدها ليخدم الناس ويأكل من كسب يده، فيتعلم ويتقن ويعد نفسه، ثم يتقدم للوظيفة بصدق واستقامة، واثقًا أن الرزق بيد الله .هذا يطلب العزة من مصدرها، بكلم طيب وعمل صالح .الأول قد ينال الوظيفة مؤقتًا، لكن مكره يبور، وقد يُفتضح أمره ويُطرد .والثاني إن لم ينلها، فقد نال عزة القناعة والصدق، وإن نالها نالها بكرامة وبركة.
· مثال الطالب الذي يريد التفوق:
طالب يريد عزة التفوق، فيغش في الامتحانات، ويسرق بحوث غيره .هذا مكر سيئ يبور، لأنه إن نجح فنجاحه وهمي، وعلمه مزيف .وطالب آخر يريد التفوق، فيجتهد ويذاكر ويسأل الله التوفيق، هذا كلم طيب) دعاء وذكر (وعمل صالح) اجتهاد .(هذا يطلب العزة من الله، فيوفقه الله ويرفع قدره بعلمه وأخلاقه.

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· أسلوب الشرط "مَن كانَ يُرِيدُ": يعلق الحكم بإرادة الإنسان، مما يشعره بالمسؤولية والحرية .فأنت حر

في إرادتك، لكن العزة ليست إلا في الطريق الذي رسمه الله.
· المقابلة بين صعود الكلم الطيب وبوار المكر السيئ: هذه المقابلة البلاغية ترسم مصيرين متضادين . فالكلم الطيب في صعود دائم إلى الله، والمكر السيئ في هبوط وانحدار وبوار .إنها صورة حسية تجعل المؤمن يختار طريقه ببصيرة.
· تقديم ما حقه التأخير: تقديم "إليه" و"فلله" لإفادة الاختصاص والحصر .إنه تأكيد على أن كل شيء مرده إلى الله وحده.
**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: بناء الإنسان العزيز بالله

هذه الآية هي مصنع الرجال و منبع الكرامة .إنها تقدم لنا منهجًا متكاملا ً لبناء شخصية قوية، عزيزة، مطمئنة.

· الرسالة الفكرية: تصحيح مفهوم العزة.
كثير من الناس يظن أن العزة في المال، أو المنصب، أو الجاه، أو السلطان، أو النسب والقبيلة . فتراه يلهث وراء هذه الأشياء، ويذل نفسه للبشر لينالها .هذه الآية تفجر هذا الوهم من أساسه .العزة الحقيقية ليست في هذه المظاهر الزائلة، بل هي في الانتساب إلى الله وطاعته ."مَن كانَ يُرِيدُ العِزّة فَلِلهِ العِزّة جَمِيعًا" .إذا أردت العزة، فاطلبها من مالكها .هذه الفكرة وحدها كفيلة بأن تحرر الإنسان من عبودية البشر ومن التعلق بالماديات .إنها تعلن أن العزة كلها لله، فمن أرادها فليستمدها منه بطاعته.
· الرسالة التربوية: القول والعمل وجهان لعملة واحدة.
الآية تربينا على أن الكلم الطيب وحده لا يكفي، بل لا بد من العمل الصالح الذي يرفعه ويصدقه . إنها تحارب النفاق والانفصام بين القول والفعل .وتدعونا إلى سلامة اللسان و طيب الكلام، وإلى إتقان العمل وإخلاصه.
· توجيه عملي: راقب لسانك .هل هو رطب بذكر الله، أم رطب بالغيبة والنميمة والشكوى؟ راقب عملك .هل هو صالح خالص لله، أم مشوب بالرياء والكسل؟ هذه المراقبة هي بداية الطريق إلى العزة.
· الرسالة النفسية: الطمأنينة والاستعلاء بالحق.
عندما تستقر في قلبك عقيدة أن العزة لله جميعًا، وأنه هو الذي يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، فإنك تصل إلى حالة من الطمأنينة النفسية العظيمة .لا يهمك بعد ذلك مدح الناس أو ذمهم، ولا يرهبك تهديدهم ولا وعيدهم .أنت تستمد عزتك من الله، فأنت أعز الناس ولو كنت فقيرًا أو ضعيفًا في أعين الناس .هذا هو الاستعلاء بالحق الذي يجعل المؤمن يمشي في الأرض هينًا ليئًا، ولكنه في قلبه كالجبل الراسخ لا تزعزعه العواصف.
** تفعيل الآية في حياتنا العملية: منهج حياة لطلب العزة

كيف نعيش هذه الآية ونجعلها واقعًا في حياتنا اليومية؟

أولا ً: في حياتنا الشخصية) سؤال النفس(:

· أين أبحث عن عزتي؟ قف مع نفسك واسألها بصدق: هل أنا ألهث وراء وظيفة لأجل المال والمنصب فقط، أم لأجل أن أكون عبدًا صالحًا أنفع الناس؟ هل أنا حريص على مديح فلان وعلان، أم حريص على رضا الله؟ هل أشعر بالنقص إذا لم أملك سيارة فارهة أو منزلا ً فخمًا؟ أين تكمن عزتي الحقيقية؟ الجواب الصحيح هو: عزتي في كوني عبدًا لله.
· ثانيًا: في علاقاتنا الاجتماعية) الكلم الطيب(:
· تعاهد لسانك: اجعل لسانك رطبًا بذكر الله في كل حين .أكثر من التسبيح والتحميد والتهليل . ردده في طريقك، في عملك، في بيتك.
· انتقاء الألفاظ: في تعاملك مع الناس، اختر أجمل الكلمات وأطيبها .الكلمة الطيبة صدقة .تجنب الغيبة والنميمة والسب واللعن، فإنها من مكر السيئات الذي يبور.
· الصدق في الحديث: كن صادقًا في كل ما تقول، فإن الصدق من أعظم الكلم الطيب.
· ثالثًا: في أعمالنا ووظائفنا) العمل الصالح(:
· الإخلاص: اجعل نيتك في كل عمل تقوم به هي مرضاة الله .أنت تعمل لترزق نفسك وأهلك، هذه نية حسنة .لكن الأسمى أن تنوي بعملك خدمة المسلمين، وعمارة الأرض، والاستعانة به على طاعة الله.
· الإتقان: أتقن عملك أيا كان .فالعمل المتقن هو من العمل الصالح الذي يرفع الكلم الطيب.
· أداء الفرائض: لا تظن أن العمل الصالح يقتصر على النوافل .أداء الصلوات الخمس في وقتها، وصيام رمضان، وإخراج الزكاة، هذه هي أعظم صور العمل الصالح الذي يرفعك عند الله.
· رابعًا: في مواجهة مكر الأعداء والحاقدين:
· لا تشغل بالك بهم: إذا علمت أن فلانًا يمكر بك، أو يدبر لك مكيدة، فلا ترهق نفسك بالحزن و

التفكير في الرد بالمثل .تذكر أن "مَكرُ أولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ" .فوض أمرك إلى الله، واشتغل بما ينفعك، وسترى كيف أن مكرهم سيرتد عليهم ويبور.
**عرض النفس على الآية: جردة حساب للقلب والجوارح

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه الآية الكريمة، لنرى أين نحن من معانيها:

· سؤال العزة: إذا عرض عليّ منصب أو مال فيه معصية لله، هل أقبل طمعًا في العزة الزائفة، أم أرفض طلبًا للعزة الحقة من الله؟
· سؤال الكلم الطيب: كم مرة في اليوم يلهج لساني بذكر الله؟ كم كلمة طيبة قلتها اليوم لأهلي أو زملائي؟ هل امتنعت اليوم عن غيبة أو نميمة؟
· سؤال العمل الصالح: هل أخلصت النية في عملي اليوم؟ هل أتقنته؟ هل أديت فرائضي كما ينبغي؟ هل لي عمل صالح أرجو أن يرفع كلمي الطيب إلى الله؟

خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية شعارك ودستورك:

· إذا أردت العزة: فاطلبها من الله بطاعته، لا من المخلوقين بمعصيته.
· إذا أردت الرفعة: فأكثر من الكلم الطيب، واتبعه بالعمل الصالح.
· إذا خفت مكر الماكرين: فاعلم أن مكرهم يبور، وتوكل على الله العزيز الحكيم.

أيها المؤمن:
إنك حين تستقر في قلبك هذه المعاني، فإنك تتحرر من رق الماديات، ومن عبودية البشر، ومن الخوف من المستقبل .تصبح عبدًا لله وحده، فيكرمك بعزته، ويرفعك بطاعته، ويكفيك مكر من مكر بك .إنها حياة العزة والكرامة التي وعد الله بها عباده المؤمنين .فكن منهم، واجعل من هذه الآية منهاج حياتك، تظفر بخيري الدنيا والآخرة.
ثالثا
أيها الإنسان، ويا من غفل عن حقيقة نفسه، ويا من استكبر في الأرض بغير الحق، ويا من نسي أول أمره وآخره، تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنجلس في محراب هذه الآية الكريمة التي تخاطب فيك العقل والوجدان معًا. إنها آية تأخذ بيدك من حال الغفلة والنسيان إلى حال اليقظة والعرفان، وتكشف لك حقيقة نفسك، وتذكرك بأصلك، وتوقظ فيك الشعور بعظمة خالقك وقدرته المطلقة.

في رحلتنا مع سورة فاطر، عشنا مع الفاطر، وفتح الرحمة، وذكر النعمة، وسنة التكذيب، والتحذير من الغرور، وحفظ الطاقة، والاستدلال بالكون على البعث، وقاعدة العزة. والآن تأتي هذه الآية لتضعنا أمام حقيقة وجودنا، وأمام مصدر ضعفنا وقوتنا، وأمام علم الله المحيط بنا.

إنها آية تجيب عن أسئلة وجودية كبرى: من أنا؟ من أين جئت؟ وإلى أين المصير؟ وهي في ذلك تخاطب العقل بالدليل المنطقي، وتخاطب الوجدان بالمشاعر الإنسانية العميقة.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فاطر:[11
**الرابط المحكم بين الآيات: من طلب العزة إلى معرفة حقيقة الذات

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب:

1.الآية(10) : أعلنت أن العزة لله جميعًا، وأن من يريدها فليطلبها من مصدرها بالإيمان والعمل الصالح .وقد يغتر الإنسان بنفسه، ويظن أن له حولا ً وقوة، وأن عزة منصبه أو ماله هي من كسب يده.
2.الآية(11) : تأتي لتذكره بحقيقته الأولى، وبأصله الضعيف الحقير .تقول له: لا تغتر بنفسك، ولا تنسَ أنك خُلقت من تراب، ثم من نطفة مهينة .فكيف تطلب العزة بمعصية الله، وكيف تتكبر على من خلقك من هذا الأصل؟ وكيف تظن أنك تستطيع الإفلات من عقابه وأنت في قبضته وعلمه منذ أول لحظة؟

إنها عملية تربية نفسية عميقة، تستخدم أسلوب التذكير بالأصل لكسر الكبر والغرور، وتغرس في النفس الخضوع والعبودية لله وحده.
**تفصيل دلالات الآية وألفاظها: رحلة الإنسان من العدم إلى الوجود

لنغص في بحر هذه الكلمات النورانية، لنشاهد بأعين قلوبنا هذه الرحلة العجيبة:

﴿وَاللهُ خَلَقَكم مِّن تُرَابٍ﴾

· الافتتاح باسم الجلالة "وَاللهُ": إسناد الخلق إليه سبحانه مباشرة .فهو الخالق وحده لا شريك له.
· "خَلَقَكم": خطاب مباشر لكل إنسان .إنه يقول لك: أنت أيها الإنسان، أنت المخاطب .تذكر أصلك.
· "مِّن تُرَابٍ": هذا هو الأصل الأول للإنسانية، وهو أصل أبينا آدم عليه السلام .والتراب هو ذلك الشيء الحقير الذي تدوسه الأقدام .ومع ذلك، فاللّه بقدرته صنع منه هذا الكائن البشري العظيم .إنها دعوة للتواضع وعدم الكبر .كيف يتكبر من أصله التراب؟

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾

· "ثُمَّ": للترتيب الزمني والانتقال من أصل الخلق الأول إلى أصل التناسل البشري.
· "نُّطْفَةٍ": هي الماء القليل، المَهين، الذي يخرج من بين الصلب والترائب .إنه أصل كل فرد من ذرية آدم .وهنا يذكرك اللّه بحقيقة أخرى: لقد كنت شيئًا لا يُذكر، ماءً مهينًا، فجعلك اللّه بشرًا سويًا .فكيف تتكبر وتنسى؟

﴿ثُمَّ جَعَلَكمْ أَزْوَاجًا﴾

· "ثُمَّ": انتقالة أخرى في أطوار الخلق والنماء.
· "جَعَلَكمْ أَزْوَاجًا": أي أصنافًا: ذكرًا وأنثى، أو رجالا ً ونساءً .وقيل: جعلكم متزاوجين، لكي تستمر الحياة بالتناسل .وهذه نعمة عظيمة تستوجب الشكر .فأنت أيها الإنسان، لم تختر جنسك، ولا شكلك، ولا هيئتك، بل اللّه هو الذي جعلك كذلك.

﴿وَمَا تحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾

· الانتقال إلى مشهد الحمل والولادة: بعد ذكر أصل الخلق، ينتقل إلى أخفى مراحل حياة الإنسان وأكثرها غموضًا: مرحلة الحمل والولادة.
· "وَمَا تحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ": أي ما تحمل أي أنثى من جنين في بطنها ."مِن" زائدة لتأكيد العموم والشمول.
· "وَلَا تضَعُ": أي ولا تلد هذا الحمل وتخرجه إلى الدنيا.
· "إِلَّا بِعِلْمِهِ": أي إلا واللّه عليم بذلك كله .يعلم وقت الحمل، ونوع الجنين، وصفاته، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد .لا يخفى عليه من ذلك شيء .إنه علم محيط دقيق بكل تفاصيل الخلق .فكيف تظن أنك تستطيع أن تخفي على اللّه شيئًا من عملك، وهو يعلمك قبل أن تخرج إلى الدنيا؟

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

· الانتقال إلى مشهد الأعمار والآجال: بعد أن بين علمه بأطوار الخلق والحمل والولادة، يبين أن الأ عمار والآجال كلها بيده وعلمه.
· "وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ": أي ما يمد في عمر أي إنسان فيطول عمره ."معمر" هو من طال عمره.
· "وَلَا يُنقصُ مِنْ عُمُرِهِ": أي ولا ينقص من عمر إنسان آخر .والضمير في "عمره" يعود على "معمر"، وقيل يعود على الإنسان بشكل عام.
· "إِلَّا فِي كِتَابٍ": أي إلا وهو مسجل ومدون في كتاب عند اللّه، وهو اللوح المحفوظ .فالأعمار مقدرة، والزيادة والنقصان فيها إن وقع فبإذن اللّه وعلمه السابق.

· الرسالة العميقة: عمرك أيها الإنسان، ليس بيدك، ولا بيد الأطباء، ولا بيد أي مخلوق .إنه بيد اللّه وحده، وهو مكتوب عنده .فلماذا تحرص على الدنيا وكأنك مخلد فيها؟ ولماذا تخاف الموت وهو آتٍ لا محالة في الوقت الذي حدده اللّه؟

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾

· التعقيب على كل ما سبق: خلقكم من تراب، ثم من نطفة، ثم جعلكم أزواجًا، وعلمه بالحمل والولادة

والأعمار ...كل ذلك يسير على الله سهل.
· "إنّ": للتوكيد.
· "يَسِيرٌ": أي سهل لا يحتاج إلى جهد أو تعب .فالله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون.
· الهدف من هذا التعقيب: تعظيم قدرة الله في قلب المؤمن .فمن كان هذا شأنه في الخلق والإيجاد، أليس قادرًا على البعث والحساب؟ أليس قادرًا على إحصاء أعمالك ومجازاتك عليها؟ بلى، إنه على كل شيء قدير.

**أهمية أسلوب مخاطبة العقل والوجدان في التربية والتعليم

هذه الآية الكريمة تقدم لنا نموذجًا راقيًا لكيفية مخاطبة الإنسان لتعريفه بحقيقة نفسه وبعظمة خالقه. كيف ذلك؟

.1مخاطبة العقل بالتسلسل المنطقي:
· الآية تسير في خطوات منطقية متدرجة: تراب ← نطفة ← أزواج ← حمل وولادة ← أعمار وآجال ← كتاب مسطور.
· هذا التسلسل يجعل العقل يتابع رحلة الخلق خطوة بخطوة، ويصل بنفسه إلى النتيجة: أن هناك خالقًا حكيمًا عليمًا قديرًا .إنها طريقة استقرائية في عرض الأدلة، تشرك العقل في عملية التفكير والا ستنتاج.
.2مخاطبة الوجدان بالتذكير بالأصل المهين:
· الآية تلامس مشاعر الإنسان ووجدانه عندما تذكره بأن أصله تراب و نطفة .هذا التذكير يهز كيان المتكبر، ويدفع الغافل إلى التواضع والخشوع .إنها صدمة وجدانية إيجابية توقظ القلب من سبات الغرور.
.3أهمية هذا الأسلوب في التربية:
· المربي الناجح لا يكتفي بإلقاء المعلومات على العقول فقط، بل يحرص على إيصالها إلى القلوب . فالمعرفة إذا استقرت في العقل وحده كانت عرضة للنسيان، أما إذا استقرت في القلب مع العقل فإنها تصبح قناعة راسخة وسلوكًا دائمًا.
· هذه الآية تعلمنا أن نذكر المتربين والمتعلمين بحقيقة أنفسهم، وأن نربطهم بأصلهم، ليكتسبوا خلق التواضع، وليزدادوا شكرًا لله على نعمة الخلق والإيجاد.

**تدبرات في أعماق الآية: أنت في قبضة الله وعلمه

لنتدبر معًا بعض المعاني العميقة التي تزخر بها هذه الآية:

· "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ": هذه الجملة وحدها كافية لتملأ القلب هيبة وخشية .أنت أيها الإنسان، حتى وأنت جنين في بطن أمك، في ظلمات ثلاث، كنت في علم الله وتحت نظره .لم تكن نكرة منسية، بل كنت معلومًا عنده بكل تفاصيلك .فكيف بعد ذلك تنساه وتعصيه؟ كيف تستحي من الناس ولا تستحي من الله الذي يعلم سرك ونجواك؟
· "وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ": هذه الجملة تزرع في النفس الرضا والتسليم . فأنت تعلم أن عمرك مكتوب، ورزقك مكتوب .فلماذا تقلق على المستقبل؟ ولماذا تخاف من الموت؟ إنها دعوة إلى الاطمئنان والعيش في حدود اليوم، مع السعي والعمل للآخرة .إنها تحررك من وهم التحكم في عمرك، وتدفعك إلى استثمار كل لحظة من هذا العمر فيما يرضي الله.
· رسالة إلى المتكبر: أيها الإنسان، تذكر أصلك: تراب .وتذكر مرحلة ضعفك: نطفة .وتذكر أنك في كتاب، وأن أعمالك مسجلة .فعلامَ التكبر؟ وعلامَ الغرور؟ إنك لن تستطيع الإفلات من عقاب الله، فأنت في قبضته وعلمه منذ كنت ترابًا، وستعود إليه ليحاسبك على ما عملت.

*"الإعجاز العلمي في الآية: دقة الوصف القرآني

هذه الآية من الآيات التي سبقت العلم الحديث في وصف أطوار الخلق:

· خلق الإنسان من تراب: العلم الحديث يؤكد أن جسم الإنسان مكون من نفس العناصر الموجودة في التراب) كربون، هيدروجين، أوكسجين، نيتروجين، كالسيوم، فوسفور ...إلخ.(
· ثم من نطفة: وهو ما يعبر عنه علميًا بالخلية المخصبة (Zygote) الناتجة عن التقاء نطفة الرجل)الحيوان المنوي (وبويضة المرأة.
· ثم جعلكم أزواجًا: أي ذكرًا وأنثى .وهذا التحديد يتم في مرحلة مبكرة جدًا من الحمل، وهو ما كشفه العلم الحديث عن دور الكروموسومات في تحديد الجنس.

· وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه: يشير إلى دقة التقدير في مدة الحمل وتطور الجنين، وهو ما يتوافق مع علم الأجنة الحديث الذي يؤكد أن كل مرحلة من مراحل الحمل تجري وفق نظام دقيق ومقدر.

كل هذه التفاصيل التي وردت في كتاب الله منذ أكثر من 1400 عام، تؤكد أن هذا القرآن هو كلام الخالق العليم الذي خلق الإنسان ويعلم ما في الأرحام.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية من الآية

· الرسالة الفكرية: غرس عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.
الآية تؤكد أن كل شيء يجري بعلم الله وكتابته .هذا يعزز في المسلم عقيدة الإيمان بالقضاء و القدر خيره وشره .فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .وهذا يمنحه ثباتًا نفسيًا في مواجهة تقلبات الحياة.
· الرسالة التربوية: تربية الإنسان على التواضع وكسر الكبر.
تذكير الإنسان بأصله من تراب ومن نطفة هو أعظم درس في التواضع .فمن عرف حقيقة نفسه لم يتكبر على أحد، ولم يغتر بماله أو جاهه .هذه التربية ضرورية لبناء مجتمع متماسك متآلف، خالٍ من الفوارق الطبقية المذلة.
· الرسالة النفسية: زرع الطمأنينة والرضا في القلب.
عندما يعلم الإنسان أن عمره ورزقه وكل شأنه مكتوب عند الله، فإنه يطمئن ويرضى .لا يقلق من المستقبل، ولا يجزع من المصائب، لأنه يعلم أنها من تقدير العليم الحكيم .إنها وصفة قرآنية لعلاج القلق والتوتر النفسي الذي يعاني منه كثير من الناس اليوم.
** تفعيل الآية في حياتنا العملية: كيف نعيشها؟

كيف ننزل هذه المعاني العظيمة إلى أرض الواقع؟

· في تربية الأبناء: عندما تريد أن تعلم ابنك التواضع، لا تقل له فقط "تواضع"، بل ذكره بهذه الآية . قل له: أتدري ما هو أصلك؟ أصلك من تراب، ثم من نطفة .فعلامَ التكبر على زملائك؟ هذا الأسلوب يخاطب عقله ووجدانه معًا، فيثبت فيه خلق التواضع.
· في التعامل مع ضغوط الحياة: عندما تشعر بالقلق على رزقك أو على مستقبل أولادك، تذكر قوله تعالى: "وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ" .فإذا كان الله يعلم بالجنين في بطن أمه ويرزقه ويدبر أمره، أفلا يدبر أمرك أنت؟ ثق بالله واطمئن.
· في مقاومة الكبر والغرور: كلما شعرت بشيء من الكبر أو الإعجاب بالنفس، فقل لنفسك: تذكري أصلك .أنت من تراب، وستعودين إلى التراب .تذكري أنك كنت نطفة مهينة .هذا يردع النفس عن الغرور.

**عرض النفس على الآية: أسئلة للقلب والعقل

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه المرآة القرآنية الصادقة:

· سؤال الأصل: هل أشعر في قرارة نفسي بالتواضع لله ولخلقه، أم أن الكبر يتسلل إلى قلبي بسبب مال أو جاه أو علم؟
· سؤال العلم الإلهي: هل أستشعر أن الله يعلم سري ونجواي، ويعلم ما في نفسي، فيمنعني ذلك عن المعاصي في الخلوات؟
· سؤال الأجل: هل أنا مستعد للقاء الله؟ هل استثمرت عمري فيما يرضيه، أم أضعته في اللهو و الغفلة؟

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية مفتاحًا لمعرفة نفسك ومعرفة ربك:

· إذا تكبرت: فقل: أصلي من تراب.
· إذا اغتررت: فقل: كنت نطفة مهينة.
· إذا خفت من المستقبل: فقل: عمري وأجلي في كتاب عند الله.
· إذا هممت بمعصية: فقل: الله عليم بحالي، وهو مطلع عليّ.

أيها الإنسان:
إن ربك الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلا ً (أو امرأة)، هو الذي يدعوك لتعرفه، ولتشكره، ولتعبده. إنه يريد لك أن تعيش حياة العزة بالتواضع، و حياة الطمأنينة باليقين، و حياة الا ستقامة بمراقبته. فلا تنسَ حقيقتك، ولا تغفل عن خالقك، واعمل لآخرتك قبل أن ينتهي أجلك المكتوب.

رابعا

أيها المتأمل في آيات الله في الآفاق والأنفس، ويا من يسير في الأرض وينظر إلى الجبال والبحار، ويا من يأكل من طيبات ما رزقه الله، تعالَ بقلبك وعقلك معًا، لنجلس في محراب هذه الآية الكريمة التي تأخذ بيدك إلى أعماق البحار، وتفتح عينيك على آيات الإبداع والتنوع، وتعلمك كيف تنظر إلى النعم نظرة عقل واعٍ و قلب شاكر.

في رحلتنا مع سورة فاطر، عشنا مع الفاطر الذي خلق السماوات والأرض، وعلمنا أن العزة لله جميعًا، وتذكرنا أصلنا من تراب ونطفة. والآن تأتي هذه الآية لتكمل بناء الشخصية المسلمة المتوازنة: شخصية تؤمن بالله، و تسعى للرزق، و تستفيد من موارد الطبيعة، و تمتن للنعم، و تقدر قيمة التنوع، و تتعامل مع الخيارات الإيمانية، و تتربى على الشكر.

إنها آية تخاطب العقل والوجدان معًا، فتولد القناعة العقلية من خلال النظر إلى آيات الله في الكون، وتولد الحب للخالق من خلال رؤية جماله وإحسانه ورعايته.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فاطر:[12

*الرابط المحكم بين الآيات: من أصل الخلق إلى آيات الرزق والإحسان

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع:

1.الآية(11) : ذكرتنا بحقيقة أصلنا: من تراب، ثم من نطفة .إنها دعوة للتواضع والاعتراف بالضعف.
2.الآية(12) : تنقلنا من أصل الخلق إلى استمرار الحياة ونعم الرزق .فبعد أن خلقنا الله من أصل ضعيف، ها هو يفيض علينا من نعمه في البر والبحر، ليكمل رعايته لنا .إنها رسالة تقول: أنتم الضعفاء ، وأنا القوي الرزاق .فاشكروني على ما أنعمت به عليكم، واستخدموا هذه النعم في طاعتي.

وكأن السياق يقول: أيها الإنسان، تذكر ضعفك وفقيرك إلى الله، ثم انظر كيف يغمرك الله بنعمه في البحار والأنهار. فهل يليق بك بعد ذلك أن تكفر أو تجحد؟

**تفصيل دلالات الآية وألفاظها: مشهد من الإبداع والتنوع والرحمة

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية العظيمة، لنشاهد بأعين قلوبنا هذا المشهد المتكامل:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾

· أسلوب النفي "وَمَا يَسْتَوِي": إنه نفي قاطع لأي تساوٍ بين البحرين المختلفين .وهذا الأسلوب يدفع العقل للتساؤل: لماذا لا يستويان؟ وما هو الفرق بينهما؟
· "الْبَحْرَانِ": المقصود بهما: البحر العذب) الأنهار والبحيرات العذبة (والبحر المالح) المحيطات والبحار المالحة .(وقد يكون المقصود نوعي المياه بشكل عام، أو بحرين متجاورين أحدهما عذب والآخر ملح، كما في مصبات الأنهار.
· أسلوب المقارنة التربوي: هذه بداية بأسلوب المقارنة الذي يثير الفضول ويحفز العقل على البحث عن أوجه الاختلاف والشبه.

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾

· وصف البحر الأول) العذب(: بأربعة أوصاف متكاملة:
1. "عَذْبٌ": أي حلو الطعم، لذيذ.
2. "فُرَاتٌ": أي شديد العذوبة، يكسر العطش، وهو من الماء الذي يروي.

3. "سَائِغٌ شَرَابُهُ": أي سهل المرور في الحلق، لا غصة فيه، يستسيغه الشارب ويلتذ به.
· دقة الوصف: هذه الأوصاف الثلاثة مترابطة .فالماء قد يكون عذبًا لكنه ليس فراتًا، وقد يكون فراتًا لكنه ليس سائغًا .أما ماء الأنهار والبحيرات العذبة فغالبًا ما يجمع هذه الصفات الثلاث، وهو من أعظم نعم الله على الإنسان.

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾

· وصف البحر الثاني) المالح(: بوصفين متضادين للوصفين السابقين:
1. "مِلْحٌ": أي شديد الملوحة.
2. "أُجَاجٌ": أي شديد المرارة والحرقة، لا يستساغ شربه.
· الحكمة من تقديم العذب على المالح:
· بلاغيًا: تقديم الأهم والأنفع للإنسان، فالماء العذب هو أساس حياته.
· تربويًا: البدء بذكر النعمة الظاهرة) الماء العذب (يهيئ النفس لاستقبال ما يأتي بعدها من منافع البحر المالح، فلا يقتصر النظر على ظاهر الملوحة، بل يتعداه إلى ما فيه من خيرات.
· نفسيًا: تقديم الحسن الجميل على ما دونه يبعث في النفس الراحة والامتنان أولا ً، قبل الانتقال إلى ما هو أقل استساغة.

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾

· "وَمِن كُلٍّ": من كل من البحرين، العذب والمالح .هذا هو موطن الشبه والمنفعة المشتركة رغم الاختلا ف في الطعم.
· "تَأْكُلُونَ": فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار .إنها نعمة متجددة دائمة.
· "لَحْمًا طَرِيًّا": هو السمك .ووصفه بـ "طريًا" ليدل على أنه طازج، شهي، سهل الهضم، لا يحتاج إلى عناء في حفظه أو طهيه .إنه طعام فاخر يخرجه الله من الماء المالح والعذب على حد سواء.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾

· "وَتَسْتَخْرِجُونَ": فعل فيه معنى البحث والجهد والصناعة .فالإنسان لا يجد الحلية على الشاطئ جاهزة، بل يحتاج إلى استخراجها من قاع البحر .وهذه دعوة إلى العمل والاجتهاد للاستفادة من موارد الطبيعة.
· "حِلْيَةً": هي اللؤلؤ والمرجان .وهو مما يتميز به البحر المالح غالبًا.
· "تَلْبَسُونَهَا": تلبسونها للزينة .وفي هذا إشارة إلى أن الإسلام لا يحرم الزينة والتجمل، بل هو من نعم الله التي يجب أن تشكر.
· التوازن بين الضروريات والكماليات: الآية تذكر "اللحم الطري" وهو غذاء ضروري، ثم تذكر "الحلية" وهي من الكماليات .وهذا يعلمنا أن الله يرزق عباده ما يحتاجونه من ضروريات الحياة، ويزيدهم من فضله من الكماليات والمباهج.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾

· "وَتَرَى": فعل مضارع يدل على استمرار المشهد .إنها دعوة للتأمل البصري .أنت ترى هذا المشهد بأم عينك، فتفكر فيه.
· "الْفُلْكَ": السفن والبواخر، مفرد وجمع.
· "فِيهِ": في البحر، سواء العذب أو المالح.
· "مَوَاخِرَ": من "المخر" وهو شق الماء وجريان السفينة فيه بصدرها، فيخرج منها صوت وتموج الماء عن جانبيها .إنها صورة حسية متحركة للسفن وهي تشق عباب الماء بقوة وعظمة.
· رسالة خفية: هذه السفن التي تراها تجري في البحر، من الذي سخر لها الماء لتحمله؟ ومن الذي ألهم الإنسان صنعها؟ ومن الذي يحفظها من الأمواج والعواصف؟ إنه الله.

﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾

· "لِتَبْتَغُوا": لام التعليل .أي أن تسخير الفلك وجريانها في البحر غايته وحكمته أن تطلبوا أنتم أيها البشر من فضل الله.
· "مِن فَضْلِهِ": فضل الله واسع يشمل: التجارة ونقل البضائع، وصيد الأسماك، واستخراج الثروات من قاع البحر، والسفر وطلب العلم، والجهاد في سبيل الله .إنها دعوة إلى السعي والعمل والتنمية.

.{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

· "وَلَعَلَّكُمْ": للترجي، أي من أجل أن تشكروا.
· "تَشْكُرُونَ": الشكر هو الغاية العظمى من كل هذه النعم .الشكر بالقلب) الاعتراف بالنعمة للمنعم(، و الشكر باللسان) الثناء على الله(، والشكر بالجوارح) استخدام النعمة في طاعة الله.(
· الختام المناسب: بعد كل هذا البيان لنعم الله في البحار، يأتي الحث على الشكر، ليربط بين رؤية النعم و الاعتراف بالمنعم .وهذا هو الرابط القلبي الذي تزرعه الآية.

**أهمية أسلوب مخاطبة العقل والوجدان في الآية

هذه الآية نموذج رائع لكيفية المزج بين خطاب العقل وخطاب الوجدان في التربية والتعليم:

.1مخاطبة العقل:
· تبدأ الآية بالمقارنة العقلية: "وما يستوي البحران" .هذا يثير تساؤلا ً في عقل السامع: لماذا لا يستويان؟ فيبدأ في تحليل الأوصاف: هذا عذب وهذا ملح.
· ثم تنتقل إلى ذكر المنافع المشتركة: "ومن كل تأكلون ...وتستخرجون" .فالعقل يدرك أن الله جعل في المتناقضات منافع مشتركة، وهذا دليل على حكمة الخالق.
· ثم تذكر سبب التسخير: "لتبتغوا من فضله" .فالعقل يدرك أن هذه النعم لم تخلق عبثًا، بل لغاية عظيمة، وهي سعي الإنسان وعمله.
· هذه الخطوات المنطقية المتسلسلة تولد قناعة عقلية راسخة بأن لهذا الكون خالقًا حكيمًا مدبرًا.
.2مخاطبة الوجدان) القلب(:
· وصف الماء العذب بأنه "سائغ شرابه" يثير في النفس اللذة والتذكر لمتعة شرب الماء البارد العذب.
· وصف اللحم بأنه "طريًا" يثير الشهية والامتنان لهذا الطعام اللذيذ.
· ذكر "حلية تلبسونها" يلامس حب الجمال والزينة في النفس البشرية.
· مشهد "الفلك مواخر" يثير الإعجاب والرهبة من قدرة الله التي سخرت البحر لهذه السفن الضخمة.
· هذا الجانب الوجداني يولد في القلب حبًا للخالق، لأنه يرى جمال صنعه و إحسانه و رعايته لعباده.

الدلالة التربوية لهذا الأسلوب:
المربي الناجح والداعية المؤثر هو من يخاطب الذهن والقلب معًا. فالعقل يقنع، والقلب يحب. وإذا اجتمع الاقتناع العقلي مع الحب القلبي، أثمر ذلك سلوكًا دائمًا و عبادة خالصة. هذه الآية تعلمنا أن نعرض آيات الله في الكون بهذا الأسلوب المزدوج، فنجعل الناس يرون بأعينهم آيات الله، ويشعرون بقلوبهم بنعم الله، فيزدادوا إيمانًا وشكرًا.

**تدبرات في أعماق الآية: بناء الشخصية المسلمة المتوازنة

لنتدبر كيف تساهم هذه الآية في بناء جوانب متعددة من الشخصية المسلمة:

.1الشخصية الإيمانية) تعزيز الإيمان بالله(:
· التأمل في اختلاف البحار مع وحدة المنافع يرسخ الإيمان بقدرة الله و حكمته و وحدانيته . فمن غيره قادر على هذا التنوع البديع؟
· رؤية الفلك مواخر تذكرنا بقصة نوح عليه السلام، وبأن النجاة بيد الله وحده.
.2الشخصية العملية) السعي للرزق والاستفادة من موارد الطبيعة(:
· "لتأكلوا" و "تستخرجوا" و "لتبتغوا" كلها أفعال تدعو إلى العمل والحركة.
· الآية تربي في المسلم ثقافة استغلال الموارد الطبيعية) البحر، الأسماك، اللؤلؤ، النقل البحري (لتحقيق التنمية والاكتفاء.
· هذا يبني شخصية منتجة لا متواكلة، مستخلفة في الأرض تعمرها وتطورها.
.3الشخصية البيئية) حب البيئة وتقدير التنوع(:
· الآية تلفت النظر إلى جمال الطبيعة وتنوعها) عذب/ملح، لحم/حلية، فلك/ماء .(هذا يغرس في النفس حب البيئة وعدم تلويثها أو الإضرار بها.
· إنها تربي ثقافة المحافظة على الموارد، لأنها نعم من الله يجب شكرها وعدم تبديدها.
.4الشخصية التكنولوجية) تطوير وسائل الاستفادة(:

· "وتستخرجون حلية" و "الفلك" يشيران إلى الصناعة والتكنولوجيا .فاستخراج اللؤلؤ يحتاج إلى مهارة وأدوات، وصناعة السفن تحتاج إلى علم وهندسة.
· الآية تدفع المسلم إلى تطوير العلوم والتقنيات التي تمكنه من الاستفادة المثلى من خيرات الله في البر والبحر.
.5الشخصية الشاكرة) التربية على الشكر والامتنان(:
· الآية تختم بـ "ولعلكم تشكرون" .هذا هو الهدف الأسمى.
· المسلم يتربى على أن يرى كل نعمة ويتذكر المنعم بها، فيشكره بقلبه ولسانه وجوارحه.
· هذه الشخصية الشاكرة تعيش في سعادة ورضا دائمين، لأنها ترى الخير في كل شيء.
.6الشخصية المميزة) كيف تختلف قلوب الناس كما اختلفت البحار؟(:
· كما أن البحرين لا يستويان في الطعم والصفات، فكذلك قلوب الناس لا تستوي في قبول الحق والإيمان.
· هذا يفسر لنا لماذا يستجيب بعض الناس للحق ويرفضه آخرون .إنها سنة من سنن الله في خلقه، كما هو الحال في تنوع البحار.
· هذا الفهم يريح قلب الداعية، ويدفعه للتركيز على أداء واجبه دون أن تستهلكه الحسرات على من لم يستجب) كما في الآية.(8

*"الإعجاز العلمي في الآية: حقائق أدهشت العلماء

هذه الآية من أعظم آيات الإعجاز العلمي في القرآن، فقد أشارت إلى حقائق لم تكتشف إلا في العصر الحديث:

.1وجود بحار متجاورة لا تختلط مياهها:
· قوله: "وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ" مع قوله في آية أخرى: "مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ"] الرحمن:19 -.[20
· العلم الحديث اكتشف أن مياه الأنهار العذبة عندما تصب في البحار المالحة، فإنها لا تختلط فورًا، بل يبقى بينهما حاجز مائي) برزخ (بسبب اختلاف الكثافة والملوحة ودرجة الحرارة .وهذا يسمح للكائنات الحية بالعيش في كل بيئة منهما.
.2وجود أنواع مختلفة من المياه في باطن الأرض:
· اكتشف العلماء وجود مياه جوفية عذبة تحت قيعان البحار والمحيطات، تخرج من الينابيع في قاع البحر .وهذا يؤكد أن البحر المالح نفسه قد يحوي في باطنه ماءً عذبًا فراتًا.
.3اختلاف الأمواج الداخلية والخارجية:
· "مواخر" من "المخر" وهو صوت جري السفينة .وقد اكتشف علماء المحيطات أن هناك أمواجًا داخلية في أعماق البحار تختلف عن الأمواج السطحية، وأن السفن وهي تشق الماء تؤثر على هذه التيارات.
.4اللحم الطري) الأسماك (غذاء صحي متكامل:
· وصف القرآن للسمك بأنه "لحم طري" هو وصف علمي دقيق .فالأسماك تحتوي على بروتينات سهلة الهضم، وأحماض دهنية أساسية) مثل أوميغا (3 مفيدة للقلب والدماغ، وهي "طرية" بالفعل مقارنة بلحوم الحيوانات البرية.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية من الآية

· الرسالة الفكرية: الكون كتاب مفتوح للتدبر والاستدلال.
الآية تعلمنا أن ننظر إلى الظواهر الطبيعية) البحار، الأنهار، الأسماك، السفن (على أنها آيات ودلائل على وجود الله ووحدانيته وقدرته .هذه النظرة تحول دراسة العلوم الطبيعية) علوم البحار، الأحياء، الهندسة (إلى عبادة.
· الرسالة التربوية: التربية على الشكر العملي لا القولي فقط.
الشكر المطلوب في قوله "ولعلكم تشكرون" ليس مجرد كلمة تقال باللسان، بل هو استخدام النعم في طاعة الله وعمارة الأرض .فمن يستخدم عقله لاستخراج الحلية وتطوير الفلك، هو شاكر عمليًا لله على هذه النعم.
· الرسالة النفسية: الطمأنينة والثقة بالرزاق.
عندما ترى كيف يرزق الله عباده من البحرين، ومن كل منهما لحمًا طريًا وحلية، تطمئن نفسك وتثق بأن رزقك مضمون عند الله .لا تقلق إذا ضاقت بك الأسباب، فالرزاق هو الذي يرزق السمك في الماء المالح والعذب على حد سواء.
** تفعيل الآية في حياتنا العملية: بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

كيف نحول هذه المعاني إلى واقع عملي في حياتنا ومجتمعاتنا؟

أولا ً: في حياتنا الشخصية (بناء الشخصية المسلمة):

· عند شرب الماء: تذكر أن الله وصفه بأنه "عذب فرات سائغ شرابه"، فاشكره على هذه النعمة التي لا تقدر بثمن.
· عند أكل السمك: تذكر قوله "لحمًا طريًا"، واشكر الله على هذا الغذاء الصحي.
· عند رؤية البحر أو السفن: تذكر قدرة الله التي سخرت البحر وحملت الفلك، وازدد إيمانًا ويقينًا.
· تربية الأبناء: اصطحب أبناءك إلى شاطئ البحر، واقرأ لهم هذه الآية، واشرح لهم كيف أن الله يرزقهم من هذا الماء، ليزدادوا حبًا لله وشكرًا له.

ثانيًا: في مجال التنمية والاقتصاد (بناء المجتمع):

· الاستثمار في الثروة السمكية: الآية تدعو إلى تطوير قطاع الصيد البحري، وتربية الأسماك، والا ستفادة من خيرات البحار.
· تطوير الصناعات البحرية: من صناعة السفن، إلى استخراج اللؤلؤ والمرجان، إلى تحلية مياه البحر لا لاستفادة من الماء العذب.
· تنمية السياحة البيئية: الآية تلفت النظر إلى جمال البحار، مما يشجع على السياحة النظيفة التي تحافظ على البيئة البحرية.

ثالثًا: في مجال العلم والتكنولوجيا (بناء الحضارة):

· علوم البحار والمحيطات: الآية تحفز على دراسة علوم البحار، لفهم أسرارها وتسخيرها لخدمة البشرية.
· هندسة السفن والملاحة: الآية تذكر "الفلك مواخر"، مما يحفز على تطوير هندسة السفن والملاحة البحرية لتكون أكثر أمانًا وكفاءة.
· التكنولوجيا الحيوية البحرية: دراسة الكائنات البحرية للاستفادة منها في الطب والصناعة.

""عرض النفس على الآية: أسئلة للقلب والعقل

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه الآية الكريمة:

· سؤال الرؤية: هل أنظر إلى البحر والنهر على أنهما مجرد مشهد طبيعي، أم أرى فيهما آيات الله ونعمه؟
· سؤال الشكر: هل أشكر الله على نعمة الماء العذب واللحم الطري؟ وكيف أشكره؟ هل باللسان فقط، أم باستخدام هذه النعم في طاعته؟
· سؤال العمل: هل أسعى للاستفادة من موارد الطبيعة التي سخرها الله لي، أم أعيش عالة على غيري؟
· سؤال التنوع: هل أقدر قيمة التنوع في الكون، وأتعلم منه أن اختلاف الناس سنة من سنن الله؟

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية مفتاحًا للتعامل مع نعم الله في الكون:

· انظر إلى البحر والأنهار بعين المتأمل المتدبر، لا بعين الغافل.
· كل من السمك واشعر بنعمة الله عليك.
· استفد من خيرات البحار بالعلم والعمل، وكن عبدًا شكورًا.
· تذكر أن اختلاف الناس في قبول الحق كاختلاف البحار في الطعم، فلا تحزن على من ضل، واشتغل بهداية نفسك أولا ً.

أيها الإنسان:
إن ربك الذي فطر السماوات والأرض، هو الذي سخر لك البحرين، وجعل فيهما منافعك. فهل رأيت أعظم من هذه النعم؟ وهل عرفت خالقًا أرحم من هذا الخالق؟ فاشكره على نعمه، واستخدمها في مرضاته، تكن من الفائزين في الدنيا والآخرة.

خامسا
أيها العاقل، ويا من أنار الله بصيرتك لترى الحق من الباطل، ويا من تبحث عن دليل يهدي قلبك وعقلك إلى وحدانية الله، تعالَ بقلبك الموقن وعقلك المتفتح، لنجلس معاً في رحاب آيتين كريمتين تخاطبان فيك الفطرة السليمة والعقل المنطقي، وتقيمان الحجة الدامغة على بطلان الشرك وضلال المشركين.

بعد أن عشنا مع آيات الله في الآفاق، من خلق الإنسان إلى تسخير البحار، تأتي هاتان الآيتان لتخاطبا الأعماق، وتكشفا زيف المعبودات الباطلة، وتقررا حقيقة التوحيد بأوضح بيان وأبلغ حجة. إنهما آيتان تقطعان كل شبهة، وتريحان القلب من التعلق بغير الله.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (13) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)﴾ [فاطر: 13-14]
** الرابط المحكم بين الآيات: من نعم البحار إلى بيان وحدانية المنعم

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب:

1. الآية (12): عرضت مشهداً من نعم الله في البحار: الماء العذب والملح، واللحم الطري، والحلية، و الفلك. إنها نعم مادية محسوسة.
2. الآيتان (13-14): تنتقلان من النعم إلى المنعم، ومن آيات الرزق إلى تقرير الألوهية والربوبية. وكأنهما تقولان: من الذي سخر لكم هذه البحار والأنهار؟ من الذي أجرى لكم الفلك؟ أليس هو الله ربكم؟ فلماذا تعبدون غيره؟ ولماذا تدعون من لا يملك مثقال ذرة؟

إنها عملية تربوية متكاملة: تعريف بالنعمة ← حث على الشكر ← تعريف بالمنعم ← إبطال للشرك.

** تفصيل دلالات الآية (13): آيات كونية تدل على الملك المطلق

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾

· "يُولِجُ": من "الإيلاج" وهو الإدخال. وهذه الكلمة ترسم صورة حسية بديعة متحركة. فالليل يدخل في النهار، والنهار يدخل في الليل. ليس هناك فاصل حاد، بل هو تداخل وتآلف بقدرة الله.
· المشهد الكوني:
· "يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ": أي يدخل الليل على النهار فيقصر النهار ويزيد الليل، كما في الشتاء.
· "يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ": أي يدخل النهار على الليل فيقصر الليل ويزيد النهار، كما في الصيف.
· دلالة التعبير بالمضارع: الفعل "يولج" مضارع يدل على التجدد والاستمرار. إنها عملية دائمة لا تتوقف، تحدث كل يوم، وكل فصل، وكل عام. إنها آية من آيات قدرة الله وتدبيره المحكم.
· الرسالة التربوية: هذا المشهد الكوني اليومي الذي يراه كل إنسان، هو دليل مادي على أن المتصرف في هذا الكون هو الله وحده. فلا يستطيع أحد أن يغير هذا النظام أو يوقفه. فلماذا تشركون به من لا يملك ذلك؟

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾

· "وَسَخَّرَ": التسخير هو التذليل والانقياد لأمر الله. الشمس والقمر مسخران بأمر الله، يجريان وفق نظام دقيق لا يحيدان عنه قيد أنملة.
· "الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ": هما من أعظم المخلوقات التي عبدها المشركون. فالشمس مصدر الضوء والحرارة، و القمر نور الليل. لكن القرآن يعلن بوضوح أنهما مسخران، أي أنهما مخلوقان مدبران، وليسا آلهة.

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾

· "كُلٌّ": أي كل من الشمس والقمر.
· "يَجْرِي": فعل مضارع يدل على الحركة الدائمة في مدار محدد. وهذا يشير إلى دوران الأجرام السماوية في أفلاكها.

· "لِأَجَلٍ مُسَمًّى": أي إلى وقت معلوم عند الله، وهو يوم القيامة. فعندما يأتي ذلك الأجل، يكور الله الشمس، ويخسف القمر، وينتهي هذا النظام الكوني.
· دلالة عظيمة: هذه الأجرام العظيمة، رغم ضخامتها ودقة نظامها، هي فانية، ولها أجل محدود. فكيف يعبدها المشركون من دون الله الحي الذي لا يموت؟

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾

· "ذَٰلِكُمُ": إشارة للبعيد للتعظيم. أي ذلكم العظيم الشأن، المتصف بهذه الصفات الجليلة.
· "اللَّهُ رَبُّكُمْ": هو الله، وهو ربكم. فالرب هو المالك، والمربي، والمدبر. فهو الذي خلقكم، ويرزقكم، ويدبر أموركم. وفيه إشارة إلى أن عبادتكم له هي مقتضى ربوبيته لكم.
· "لَهُ الْمُلْكُ": تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر. أي له وحده الملك المطلق، لا شريك له. ملك السماوات والأرض، وملك كل شيء. وهذه الجملة هي النتيجة الطبيعية لما سبق من الأدلة الكونية.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾

· "وَالَّذِينَ تَدْعُونَ": أي تعبدونهم وتستغيثون بهم. والخطاب للمشركين. "من دونه" أي من دون الله.
· "مَا يَمْلِكُونَ": نفي قاطع للملك. فهم لا يملكون شيئاً، لا في السماوات ولا في الأرض.
· "مِن قِطْمِيرٍ": القطمير هو اللفافة البيضاء الرقيقة التي تكون على نواة التمر. وهو مثل في القلة و الحقارة. أي أن هؤلاء المعبودين لا يملكون حتى هذا الشيء التافه الحقير. فكيف يملكون نفعاً أو ضراً ؟ وكيف يستحقون العبادة؟
· بلاغة التشبيه: استخدام "القطمير" يرسم صورة حسية في ذهن السامع العربي الذي يعرف النواة ولفافتها الرقيقة. إنه يقلل من شأن هذه المعبودات إلى أبعد الحدود.
** تفصيل دلالات الآية (14): ذروة العجز والخذلان

بعد أن بينت الآية الأولى أن الأصنام لا تملك شيئاً، تأتي الآية الثانية لتؤكد عجزها التام، وتكشف عن خذلانها لعابديها يوم القيامة.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾

· "إِن تَدْعُوهُمْ": أسلوب شرط. أي إن تدعوا هؤلاء الآلهة المزعومة.
· "لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ": نفي لصفة من أهم صفات الإله الحق: السمع. فهم جماد، أو أموات، لا يسمعون شيئاً. والله سبحانه هو السميع الذي يسمع كل شيء.
· الترتيب المنطقي: بعد أن نفى عنهم الملك (في الآية 13)، نفى عنهم السمع. ففاقد الشيء لا يعطيه. كيف يستجيب من لا يسمع؟

﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾

· فرض جدلي: هذا من أبلغ أساليب الحجاج. يقول الله: حتى لو فرضنا جدلا ً أنهم سمعوا، فهم غير قادرين على الاستجابة.
· "مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ": أي ما أجابوا دعاءكم، ولا قضوا حاجاتكم. لأنهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً. فانقطعت كل حجة للمشركين.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾

· الخذلان الأكبر: هذه هي الطامة الكبرى للمشركين. هؤلاء المعبودون من دون الله (من ملائكة، أو أنبياء، أو صالحين، أو أصنام) سيتبرأون من عابيدهم يوم القيامة.
· "يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ": أي يجحدون شرككم، وينكرون أنهم أمروكم بعبادتهم من دون الله. قال تعالى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ". وفي آية أخرى: "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا" [البقرة: 166].
· رسالة تحذيرية: هذه الآية تحذر كل من تعلق بغير الله، من بشر أو حجر أو شجر، بأن من تعلق به سيتبرأ منه يوم القيامة، ولن يملك له نفعاً ولا ضراً.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

· ختم الآية بإعجاز: "الخبير" هو الله سبحانه. وهو الخبير بكل شيء، العالم بحقائق الأمور. فهو وحده الذي ينبئك بهذه الحقائق اليقينية عن ضلال المشركين ومصيرهم.

· "مِثْلُ خَبِيرٍ": أي لا أحد مثل الله في خبرته وعلمه. فما أخبرك به في هذه الآيات هو الحق اليقيني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
· التأكيد على صدق الخبر: هذه الجملة تزيد المؤمن يقيناً بأن ما أخبر به القرآن عن عجز الآلهة الباطلة هو الخبر الصادق الذي لا مرية فيه.
** أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال المدير والموظف:
تخيل أن لك حاجة عند مدير مؤسسة، فتذهب إلى حارس الباب، أو إلى تمثال في بهو المؤسسة، وتسأله قضاء حاجتك! هل يعقل هذا؟ الكل سيضحك منك. هذا هو حال المشرك الذي يدعو غير الله. إنه يترك مالك الملك، ويذهب إلى فقير لا يملك شيئاً.
· مثال الهاتف المعطل:
إذا كنت في شدة، وأردت أن تطلب النجدة، فهل ستتصل بهاتف لا بطارية فيه، ولا خط، ولا شبكة ؟ هذا هو حال من يدعو الأصنام أو الأموات. إنهم لا يسمعون، ولو سمعوا ما استجابوا.
· مثال الصديق المزيف:
قد يكون لك صديق يدعي الوفاء، فإذا وقعت في مأزق، تبرأ منك وأنكر معرفتك. هذا هو حال المعبودات الباطلة يوم القيامة مع عابديها. إنها تتبرأ منهم وتكفر بشركهم.
** لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· المقابلة بين ملك الله وملك غيره:
· "لَهُ الْمُلْكُ" (الله) في مقابل "مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ" (الأصنام).
· هذه المقابلة تظهر الفرق الشاسع بين الخالق والمخلوق، وتجعل القلب يطمئن لله وحده.
· التدرج في إبطال الشرك:
· الخطوة 1: عرض آيات الربوبية (إيلاج الليل والنهار، تسخير الشمس والقمر).
· الخطوة 2: تقرير الملك المطلق لله.
· الخطوة 3: نفي الملك عن غيره (لا يملكون قطميراً).
· الخطوة 4: نفي السمع والاستجابة.
· الخطوة 5: بيان تبرئهم من عابيدهم يوم القيامة.
· هذا التدرج المنطقي يقنع العقل ويحرك الوجدان.
· استخدام أسلوب الشرط "إن تدْعُوهُمْ... وَلَوْ سَمِعُوا...": لتأكيد العجز التام، وسد كل أبواب الأمل الكاذب.
*" رسائل تربوية ونفسية وفكرية: تحرير القلب من التعلق بغير الله

· الرسالة الفكرية: إقامة الحجة العقلية على بطلان الشرك.
الآيتان تقدمان منهجاً عقلياً في محاورة المشركين. إنهما لا تكتفيان بالأمر والنهي، بل تقدمان الأدلة الحسية والعقلية على أن من لا يملك شيئاً، ولا يسمع، ولا يستجيب، لا يستحق أن يكون إلهاً. هذه الحجة تقنع العقل الباحث عن الحق.
· الرسالة التربوية: تربية القلب على التوحيد الخالص.
عندما يدرك المسلم أن كل ما يعبد من دون الله لا يملك مثقال ذرة، وأنه لا يسمع ولا يستجيب، فإن قلبه يتطهر من كل تعلق بغير الله. فلا يتعلق بمخلوق، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله. هذه هي حرية القلب الحقيقية.
· الرسالة النفسية: الطمأنينة والثقة بالله وحده.
إذا كان الله هو وحده الذي يملك الملك، وهو وحده الذي يسمع ويستجيب، فلماذا القلق؟ ولماذا الخوف؟ ادع الله وحده، واسأله وحده، وتوكل عليه وحده. عندها تمتلئ نفسك طمأنينة وسكينة، لأنك استندت إلى الركن الوثيق الذي لا ينهار.
** تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نعيش التوحيد؟

كيف نحول هذه المعاني إلى واقع عملي في حياتنا؟

· في الدعاء والطلب: لا تسأل إلا الله. لا تقل: يا فلان المدد. لا تطلب الشفاء من ولي أو قبر. ادع الله مباشرة، فهو السميع القريب. "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" [البقرة: 186].
· في الخوف والرجاء: لا تخف من مخلوق مهما علا شأنه. لا ترجُ أحداً غير الله. فمن تخافه أو ترجوه لا يملك من قطمير. اجعل خوفك ورجاءك كلهما لله. "فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ" [آل عمران: 175].
· في التعامل مع الابتلاءات: إذا أصابتك مصيبة، فلا تذهب إلى المشعوذين والدجالين. تذكر أنهم لا

يسمعون دعاءك ولو سمعوا ما استجابوا لك. التجئ إلى الله وحده، فهو الذي بيده كشف الضر.
· في تربية الأبناء: علم أبناءك أن الله هو الرب، وهو الذي يملك كل شيء. قص عليهم هذه الآيات، واشرح لهم أن الأصنام لا تنفع ولا تضر. اغرس في قلوبهم عقيدة التوحيد منذ الصغر.
** عرض النفس على الآيتين: أسئلة للقلب والعقل

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه المرآة القرآنية الصادقة:

· سؤال التوحيد: هل توحيدي لله خالص؟ هل في قلبي تعلق بأحد من دون الله؟ هل أستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؟
· سؤال الدعاء: لمن أتوجه في الشدائد؟ هل أتوجه إلى الله وحده، أم أطلب الشفاعة من الأموات وأصحاب القبور؟
· سؤال اليقين: هل أنا على يقين بأن الله هو وحده مالك الملك؟ وهل هذا اليقين يمنحني الطمأنينة والثقة في مواجهة تقلبات الحياة؟
** خلاصة: كيف نعيش الآيتين؟

اجعل هاتين الآيتين شعاراً لحياتك:

· إذا رأيت الليل والنهار: تذكر أن الله يولج أحدهما في الآخر، فهو المتصرف في الكون.
· إذا رأيت الشمس والقمر: تذكر أنهما مسخران بأمر الله، يجريان لأجل مسمى.
· إذا هممت بدعاء غير الله: تذكر أنهم "لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم".
· إذا تعلقت بمخلوق: تذكر أنهم "ما يملكون من قطمير".

أيها المؤمن:
إن ربك الذي خلقك ورزقك، هو وحده الذي يملك كل شيء، وهو وحده الذي يسمع دعاءك ويقدر على استجابته. فلا تجعل بينك وبينه واسطة، ولا تتعلق بغيره. اجعل توحيدك له خالصاً، ودعاءك له وحده، وتوكلك عليه وحده. فبذلك تنال عزة الدنيا وكرامة الآخرة.

نسأل الله أن يرزقنا كلمة التوحيد، وأن يحينا عليها، ويميتنا عليها، ويبعثنا عليها. إنه سميع قريب مجيب.ته. إنه سميع قريب مجيب.

بسم اللة الرحمن الرحيم.
المقطع الرابع
القسم الاول

أيها الإنسان، يا من تظن أنك تملك شيئًا من حولك وقوتك، ويا من يغتر بماله وجاهه وصحته، ويا من ينسى حقيقة نفسه وحقيقة خالقه، تعالَ بقلبك المتواضع وعقلك المتأمل، لنجلس معًا في رحاب آيات كريمات، يخاطبك فيها الله سبحانه وتعالى خطابًا مباشرًا، يهز كيانك، ويكشف لك حقيقتك، ويذكرك بفقريك إليه، ويغرس في نفسك التواضع والشكر واليقين.

في رحلتنا مع سورة فاطر، عشنا مع الفاطر الذي خلق السماوات والأرض، وعلمنا أن العزة لله جميعًا، وتذكرنا أصلنا من تراب ونطفة، ورأينا آيات الله في البحار والأنهار، وقامت الحجة على بطلان الشرك . والآن تأتي هذه الآيات لتضعنا أمام حقيقة وجودية كبرى، ولتعلن بكل وضوح: أنتم الفقراء إلى الله.

إنها آيات تربي فينا التواضع المطلق أمام الله، وتزرع في قلوبنا الغنى الحقيقي بالاستغناء به سبحانه، وتملأ نفوسنا طمأنينة بأننا بين يدي غني حميد.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ(17) ﴾[فاطر:15 -17]

**الرابط المحكم بين الآيات: من تقرير الملك إلى تقرير الفقر والغنى

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع:

1.الآيتان13) -(14: قررتا أن "لَهُ الْمُلْكُ"، وأن ما يدعى من دونه "مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ" .فالله هو المالك المطلق، وغيره لا يملك شيئًا.
2.الآيات15) -(17: تأتي لتقرر النتيجة المنطقية لهذه الحقيقة: ما دام الله هو المالك لكل شيء، فأنتم أيها الناس الفقراء إليه في كل شيء .إنه انتقال من وصف الربوبية) الملك (إلى وصف العبودية)الفقر.(

وكأن السياق يقول: قد عرفتم أن الملك كله لله، وأن غيره لا يملك مثقال ذرة .فاعلموا أنكم أنتم أيضًا لا تملكون شيئًا، بل أنتم فقراء إلى هذا المالك الغني .فلماذا التكبر؟ ولماذا الغفلة؟ ولماذا التعلق بغير الله؟

**تفصيل دلالات الآيات وألفاظها: حقيقة الوجود الإنساني

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآيات النورانية، لنستخرج كنوزها ودررها:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾

· نداء عام شامل: للمرة الثالثة في السورة) بعد الآية 3 و(5، يتوجه الخطاب إلى "الناس" جميعًا . وهذا يدل على أن هذه الحقيقة التي ستذكر هي حقيقة إنسانية عامة، لا تخص المؤمن دون الكافر، ولا العربي دون العجمي .إنها حقيقة الفقر إلى الله التي يشترك فيها كل البشر.

﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾

· "أَنتُمُ": ضمير منفصل يفيد التوكيد والاختصاص .أي أنتم خاصة، لا غيركم، الموصوفون بالفقر المدقع إلى الله.
· "الْفُقَرَاءُ": جمع "فقير" .والفقير هو المحتاج المعوز .وتعريفه بـ "أل" الجنسية يفيد أنهم كل الفقراء، أي أن الفقر وصف لازم لهم، لا ينفك عنهم بحال.
· "إِلَى اللَّهِ": تعدية الفعل "فقراء" بـ "إلى" للدلالة على الانتهاء والغاية .أي أن فقركم متجه إلى الله وحده، منتهٍ إليه .فأنتم محتاجون إليه في كل شيء: في الخلق، والرزق، والهداية، والنصر، والعافية، وكل شأن.
· رسالة عظيمة: هذه الجملة القصيرة تقلب الموازين .فالإنسان الذي يظن نفسه غنيًا بماله، أو قويًا

بمنصبه، أو عزيزًا بجاهه، تذكره هذه الآية بحقيقته: أنت فقير .فقير إلى الله في كل لحظة، في كل نفس، في كل حركة وسكون .فلماذا التكبر؟ ولماذا الغرور؟

﴿وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾

· "وَاللهُ": مقابل "أنتم" .فهذه المقابلة بين الفقراء و الغني هي من أروع ما في الآية.
· "هُوَ": ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد .أي هو وحده الغني، لا شريك له في غناه.
· "الغَنِيُّ": هو الذي لا يحتاج إلى شيء، وهو الذي بيده خزائن كل شيء .غناه ذاتي، مطلق، كامل، ليس كمثله شيء.
· "الحَمِيدُ": هو المستحق للحمد كله، لذاته ولصفاته ولنعمه .فهو غني عن خلقه، ومع ذلك يحمد إليهم نعمه، ويستحق حمدهم وشكرهم.
· دلالة اقتران "الغني" بـ "الحميد":
· هو غني عن عباده، فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم .لكنه مع غناه المطلق، هو حميد، محمود على كل حال، يستحق الحمد على نعمه وآلائه .وهذا من كمال جوده وكرمه.
· وفيه إشارة إلى أن فقرنا إليه لا ينقص من غناه شيئًا، وغنى الله لا يمنع من حمدنا له وشكرنا إياه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

· "إِن يَشَأْ": أسلوب شرط .والمشيئة هنا مطلقة، لا يعجزه شيء.
· "يُذْهِبْكُمْ": أي يفنيكم ويهلككم، فيزيلكم من الوجود .وهذا تهديد ووعيد للمتكبرين والجاحدين.
· "وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ": أي يخلق بدلا ً منكم خلقًا آخرين، يكونون أطوع لله منكم، وأكثر شكرًا .وهذا يدل على أن الله غني عنكم وعن عبادتكم، فوجودكم نعمة منه، وليس حاجة له إليكم.
· رسالة مزلزلة: هذه الآية تهز كيان المتكبر .تقول له: لا تغتر بوجودك .فالله قادر على أن يذهبك ويأتي بغيرك .فأنت لست ضروريًا للكون، ولست شريكا لله في ملكه .أنت مجرد فقير إلى ربه، فإن شاء أبقاك، وإن شاء أفناك.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾

· "وَمَا ذَٰلِكَ": أي إذهبكم والإتيان بخلق جديد.
· "عَلَى اللهِ": فيه إشارة إلى عظمة الله وقدرته.
· "بِعَزِيزٍ": أي بممتنع أو صعب أو متعذر .فذلك كله سهل يسير على الله، لا يحتاج إلى جهد أو تعب . إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.
· تعظيم القدرة الإلهية: هذا التعقيب يزيد القلب إيمانًا ويقينًا بقدرة الله المطلقة، ويجعل المؤمن يخافه ويرجوه في آن واحد.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الجائع وفقير المال:
تخيل فقيرًا لا يملك قوت يومه، يقف على باب غني كريم، يسأله الطعام .هذا الفقير يعرف حقيقة فقره، ويعرف غنى صاحب الباب .هذا هو حالنا مع الله تمامًا .نحن فقراء إليه في كل شيء: في نعمة الهواء والماء والطعام، وفي نعمة الصحة والعافية، وفي نعمة الهداية والإيمان .والله هو الغني الحميد الذي يطعمنا ويسقينا ويكفينا.
· مثال المصباح والكهرباء:
المصباح مظلم بذاته، لا يضيء إلا إذا وصل بالتيار الكهربائي .بمجرد انقطاع التيار، يعود إلى ظلمته .هذا هو حال الإنسان .هو فقير بذاته، لا حياة له ولا قوة إلا بالله .إن انقطعت عنه إمدادات الله، عاد إلى العدم والضعف.
· مثال العبد والسيد:
العبد مملوك لسيده، لا يملك من أمره شيئًا .سيده هو الذي يطعمه ويسقيه ويكسوه، وبيده إبقاؤه أو إطلاقه .نحن عبيد الله، وهو سيدنا ومولانا .نحن الفقراء إليه، وهو الغني عنا.
**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· المقابلة بين "أنتم الفقراء" و"الله هو الغني": هذه المقابلة البليغة تظهر التناقض الكامل بين حال العبد وحال الرب .إنها توقظ في النفس الشعور بالعبودية والتذلل لله، والشعور بعظمة الله وغاهب المطلق.

· تقديم "إلى الله" على "الفقراء" في التقدير: وإن كان اللفظ "الفقراء إلى الله"، إلا أن معنى الفقر متجه إلى الله .فأنت فقير، وفقيرك متجه إلى الله لا إلى غيره .فلماذا تطلب حاجتك من مخلوق فقير مثلك؟ اذهب إلى الغني الحميد مباشرة.
· استخدام أسلوب الشرط "إن يشأ": لبيان أن وجودنا مرهون بمشيئة الله .لسنا دائمين ولا أبديين بذواتنا، بل نحن في قبضته.
· وصف الإفناء والإبدال بأنه ليس بعزيز: تأكيد على سهولة هذا الأمر على الله، مما يزيد من خشية المؤمن وتعظيمه لربه.
**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: بناء الإنسان المتواضع الشاكر

هذه الآيات الثلاث هي مدرسة متكاملة في تربية النفس على التواضع والشكر واليقين:

· الرسالة الفكرية: تصحيح التصور عن الذات وعن الله.
الآيات تصحح تصور الإنسان لنفسه .فهو ليس ذلك الكائن المستقل القوي، بل هو فقير محتاج إلى الله في كل شيء .وفي المقابل، تصحح تصوره عن الله، فهو الغني المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء، وهو الحميد المستحق للحمد .هذا التصور الصحيح هو أساس العبودية الحقة.
· الرسالة التربوية: تربية النفس على التواضع والتذلل لله.
عندما يستقر في قلب الإنسان أنه "فقير إلى الله"، فإنه يتخلص من الكبر والغرور، ويتحلى بـ التواضع لله وللخلق .فهو يعلم أن ما به من نعمة فمن الله، وأن قوته من الله، وأن وجوده مرهون بمشيئة الله .هذه التربية هي أساس الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم.
· الرسالة النفسية: الطمأنينة والتحرر من الخوف والقلق.
إذا كان الله هو الغني الحميد، ونحن الفقراء إليه، فلماذا نخاف من الفقر؟ ولماذا نقلق على الرزق؟ الغني بيده خزائن السماوات والأرض .توكل على الغني، واطلب منه، وثق به، تملأ نفسك طمأنينة وسكينة .وفي الوقت نفسه، إذا كان الله قادرًا على أن يذهبنا ويأتي بغيرنا، فهذا يملأ القلب خشية ورهبة تمنع من المعاصي، وتدفع إلى الطاعات.
· الرسالة الحضارية: بناء مجتمع قائم على التواضع والتعاون.
إذا تربى أفراد المجتمع على أنهم جميعًا "فقراء إلى الله"، وأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس بـ الله، فإنهم يتخلصون من التفاخر بالأنساب والأموال، ويتجهون إلى التعاون والتكافل .فالفقير والغني في المال كلاهما فقير إلى الله، فلا يتكبر غني على فقير .هذا يبني مجتمعًا متماسكًا قائمًا على الأخوة والمحبة.

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نعيش فقرنا إلى الله؟

كيف نحول هذه المعاني إلى واقع عملي في حياتنا اليومية؟

· في الصلاة والدعاء:
· عندما تقرأ الفاتحة: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، استحضر أنك فقير إلى الله في عبادتك واستعانتك .أنت لا تعبد الله لأنه محتاج إليك، بل لأنك محتاج إليه.
· في دعائك، أظهر الافتقار والتذلل .قل: "يا رب، أنا فقير إليك، فارحمني .أنا ضعيف، فقوني .أنا جاهل، فعلمني." لا تدعو وكأنك تطلب حقًا لك، بل ادع كمسكين يطلب من غني كريم.
· في التعامل مع النعم:
· إذا أنعم الله عليك بمال أو صحة أو جاه، لا تقل: "هذا من كسبي وتعبي" .قل: "هذا من فضل ربي" .تذكر دائمًا أنك فقير إليه، وأنه هو الغني الذي أعطاك.
· اشكر الله بلسانك وقلبك وجوارحك .استخدم النعم في طاعة الحميد.
· في مقاومة الكبر والغرور:
· كلما شعرت بشيء من الكبر، فقل لنفسك: "أنت الفقير إلى الله .ما تملكه ليس لك، بل هو عارية من الغني .فعلامَ التكبر؟"
· تذكر قوله: "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ" .أنت لست ضروريًا لهذا الكون .تواضع لله.
· في مواجهة الخوف من المستقبل:
· إذا أقلقك أمر رزقك، تذكر أن الغني هو الذي يرزقك .وأنت فقير إليه .ثق بأنه لن ينساك ."وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا"] هود:.[6

**عرض النفس على الآيات: أسئلة للقلب والعقل

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه المرآة القرآنية الصادقة:

· سؤال الفقر: هل أشعر في قرارة نفسي بالفقر إلى الله؟ أم أن الكبر والغرور يخفيان عني هذه الحقيقة؟
· سؤال الغنى: بمن أنا غني؟ هل أنا غني بالله، أم أنا غني بمالي وجاهي وعلمي، مما يجعلني في فقر حقيقي؟
· سؤال الخشية: هل أستحضر أن الله قادر على أن يذهبني ويأتي بغيري؟ وهل هذه الخشية تدفعني إلى طاعته وتقواه؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيات؟

اجعل هذه الآيات دستورًا لعلاقتك مع الله:

· في كل صباح ومساء: تذكر أنك فقير إلى الله، وهو الغني الحميد.
· في كل نعمة تنعم بها: اشكر الحميد الذي أعطاك من غناه.
· في كل معصية تقع فيها: تذكر أن الله غني عنك وعن عبادتك، وأنه قادر على أن يستبدلك .فتب إليه وارجع.
· في كل هم وغم: التجئ إلى الغني بيده خزائن كل شيء، واسأله من فضله.

أيها الإنسان:
لقد عرّفك الله حقيقتك .فأنت فقير إليه .فلا تتكبر .وعرّفك حقيقته .فهو الغني الحميد .فتوكل عليه، واشكره، واعبده .فإن فعلت، أرضاك في الدنيا، وأكرمك في الآخرة .وإن أعرضت، فإنه الغني عنك، القادر على أن يذهبك ويأتي بغيرك .فاختر لنفسك.
القسم الثاني
اولا

أيها العاقل المدرك لمسؤوليته، ويا من يبحث عن النجاة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ويا من يتساءل عن حقيقة علاقاته بغيره، وعن مدى ما يتحمله من تبعات أفعاله، تعالَ بقلبك الواعي وعقلك المتدبر، لنجلس معًا في رحاب آية كريمة، تضع النقاط على الحروف في قضية المسؤولية الفردية . إنها آية العدل الإلهي المطلق، التي تقطع الأوهام، وتصحح المسارات، وتزرع في النفس الشجاعة والا ستقلالية واليقين.

في رحلتنا مع سورة فاطر، عشنا مع حقيقة فقرنا إلى الله، وعلمنا أنه الغني الحميد القادر على أن يذهبنا ويأتي بغيرنا .والآن، تأتي هذه الآية لتبني على هذه الحقيقة منظومة متكاملة من القيم الفردية والاجتماعية .إنها تعلن أن كل إنسان محاسب على عمله، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، فتدفعنا إلى تحمل المسؤولية، وتجنب إلقاء اللوم، والاستعداد الشخصي للآخرة، والتزكية الذاتية، والمراقبة الدائمة لله.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر:[18

**الرابط المحكم بين الآيات: من الفقر إلى الله إلى المسؤولية الفردية

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع:

1.الآيات15) -(17: أعلنت أن الناس هم الفقراء إلى الله، وأنه الغني الحميد القادر على إفنائهم والإ تيان بغيرهم .هذا يرسخ أن الإنسان لا يملك من أمره شيئًا، وأنه محتاج إلى ربه في كل شيء.
2.الآية(18) : تأتي لتقرر النتيجة المنطقية لهذا الفقر والغنى: إذا كان الإنسان فقيرًا إلى الله، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فمن باب أولى أنه لا يملك أن يتحمل عن غيره شيئًا من وزر أعماله .كل إنسان مشغول بنفسه، مسؤول عن أفعاله، محاسب على عمله الفردي.

وكأن السياق يقول: لقد عرفتم أنكم الفقراء إلى الله، وأنه الغني عنكم .فاعلموا أنكم في الآخرة ستقفون أمامه فرادى، كما خلقكم أول مرة، لا تحملون هموم غيركم، ولا يحمل عنكم غيركم شيئًا .

فاستعدوا لهذا الموقف بأنفسكم.
**تفصيل دلالات الآية وألفاظها: إعلان المسؤولية الفردية

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية العظيمة، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

· "وَلَا": نافية .وهي تفتتح الآية بتقرير قاعدة كلية و مبدأ عظيم من مبادئ العدالة الإلهية.
· "تَزِرُ": من "الوزر"، وهو الحمل الثقيل، والمراد به هنا الإثم والذنب.
· "وَازِرَةٌ": اسم فاعل، أي نفس حاملة للوزر، آثمة.
· "وِزْرَ أُخْرَىٰ": إثم نفس أخرى.
· المعنى الكلي: أي لا تحمل نفس مذنبة إثم نفس مذنبة أخرى .فكل نفس رهينة بما كسبت، مسؤولة عن عملها، لا ينفعها عمل غيرها، ولا يضرها ذنب سواها.
· رسالة قاطعة: هذه الجملة تقطع كل أوهام الاتكال على الأنساب أو الشفاعات الباطلة .فلا ينفعك يوم القيامة أن تكون ابن فلان أو قريب فلان .رصيدك هو عملك أنت.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

· "وَإِن تَدْعُ": أسلوب شرط .أي حتى لو حصل العكس، وتوسلت نفس مثقلة بالذنوب.
· "مُثْقَلَةٌ": أي نفس قد أثقلتها الذنوب والأوزار حتى كادت تهلك منها .إنها صورة حسية مفزعة لنفس تنوء تحت حمل ثقيل.
· "إِلَىٰ حِمْلِهَا": أي تطلب من غيرها أن يحمل عنها جزءًا من هذا الحمل الثقيل) الذنوب.(
· "لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ": الجواب القاطع .لا يستطيع أحد، كائنًا من كان، أن يحمل عنها شيئًا من هذا الوزر، ولو كان شيئًا يسيرًا.
· "وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ": حتى لو كان المدعو قريبًا جدًا، كالأب أو الأم أو الابن أو الزوج .فالقرابة لا تنفع في ذلك اليوم، لأن كل إنسان مشغول بنفسه .قال تعالى في آية أخرى: "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"] عبس:34 -.[37
· صورة مفزعة ومؤثرة: هذا المشهد يرسم صورة في غاية التأثير .نفس تتألم تحت وطأة الذنوب، تستغيث بأقرب الناس إليها، فلا يجد من يمد له يد العون .إنه مشهد يهز الوجدان، ويدفع كل عاقل إلى الاستعداد لهذا اليوم بنفسه.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾

· توجيه خطاب للنبي ﷺ والدعاة: بعد بيان حقيقة المسؤولية الفردية، يأتي التوجيه للداعية .إنذارك أيها الرسول، إنما ينفع ويؤثر في فئة محددة من الناس.
· صفات هذه الفئة:
1. "يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ": أي يخافون الله في السر والعلن، وهم لم يروه .فهذه الخشية هي التي تجعلهم يقبلون النذارة ويتأثرون بها.
2. "وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ": الصلاة هي العبادة التي تربط العبد بربه، وتذكره بالآخرة، وتنهى عن الفحشاء و المنكر .فهي دليل الخشية والطاعة.
· رسالة للداعية: لا تحزن إذا لم يستجب لك كل الناس .فأنت إنما تنذر من في قلبه خشية، وهؤلاء هم المستعدون للاستجابة .ركز طاقتك عليهم.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾

· "وَمَن تَزَكَّى": أي من تطهر وتطيب، بترك الذنوب وفعل الطاعات .التزكية هي تنمية النفس وتطهيرها.
· "فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ": أسلوب قصر .أي أن ثمرة هذه التزكية وفائدتها تعود على نفسه هو فقط .ف الله غني عن العالمين .إنه يستثمر في نفسه، ويعدها للآخرة .إنها دعوة إلى التطوير الذاتي والاستثمار في النفس.

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

· الختام المناسب: بعد بيان المسؤولية الفردية، والتزكية الذاتية، يأتي التذكير بأن المرجع والمآب إلى الله وحده .هناك سيحاسب كل إنسان على عمله، ويوفى جزاءه .هذا الختام يمنح الآية ثقلا ً ويقينًا، ويجعل القلب يستعد لذلك المصير المحتوم.

**دلالات ومفاهيم مستنبطة من الآية: خارطة طريق للحياة العملية

هذه الآية الكريمة تقدم لنا منظومة متكاملة من المفاهيم التربوية والعملية، التي إذا طبقناها تغيرت حياتنا بالكامل:

أولًا: مفهوم المسؤولية الفردية عن الأعمال وتبعاتها.

· الدلالة: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ" .هذا هو المبدأ الأساسي .كل إنسان مسؤول عن أفعاله أمام الله، وسيحاسب عليها فرديًا.
· التطبيق العملي في حياتنا:
· في العمل: لا تعتمد على جهود الآخرين لإنجاز مهامك .قم بعملك بنفسك، وتحمل مسؤوليته كاملة .أنت من سيُسأل عن تقصيرك، لا زميلك ولا مديرك.
· في الدراسة: لا تنتظر أن يذاكر لك غيرك .أنت من سيمتحن، وأنت من ستجني ثمرة تعبك أو كسلك.
· في التربية: أنت كأب أو أم مسؤول عن تربية أبنائك ونصحهم، وهذا واجب ستُسأل عنه .لكنك لن تحمل ذنوبهم إذا اجتهدت في نصحهم وضلوا بعد ذلك .فهم أفراد مستقلون، لهم مسؤوليتهم الخاصة .قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"] المائدة: .[105هذا يعطيك طمأنينة ويرفع عنك عبئًا نفسيًا ثقيلا ً، لكنه لا يعفيك من واجب النصح والتربية.

ثانيًا: تجنب إلقاء اللوم على الآخرين والظروف.

· الدلالة: الآية تنفي أن يحمل أحد وزر أحد .هذا يعني أنه لا يمكنك أن ترمي بأخطائك على غيرك . لا يمكنك أن تقول: "الشيطان أضلني"، أو "المجتمع هو السبب"، أو "زوجتي هي من دفعتني" .نعم، قد تكون هذه مؤثرات، لكن القرار النهائي والمسؤولية تقع عليك أنت.
· التطبيق العملي:
· شجاعة الاعتراف بالخطأ: أول خطوة للخروج من الأزمات وتجاوزها هي أن تمتلك شجاعة الا عتراف بالخطأ وتصححه .لا تبرر فشلك بالظروف، بل حلل أسباب فشلك الحقيقية، واعترف بخطئك، وابدأ في التصحيح .هذه هي المسؤولية الفردية التي تعيد للأمة دورها وفعاليتها.
· لغة الخطاب: بدلا ً من أن تقول: "لماذا حدث هذا لي؟" أو "فلان هو السبب في مشاكلي"، قل: "ماذا يمكنني أن أفعل الآن لتجاوز هذا؟" و"ما هو دوري في هذه المشكلة؟".

ثالثًا: مفهوم الاستعداد الفردي للآخرة.

· الدلالة: "وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ" .هذا المشهد المهيب يغرس في القلب أهمية الاستعداد الفردي للآخرة .لا تتكل على أن أباك كان شيخًا، أو أن أخاك من الصالحين .رصيدك يوم القيامة هو حسناتك أنت، لا حسنات أهلك .النسب والقرابة لن تنفعك.
· التطبيق العملي:
· الاعتماد على النفس في العمل الصالح: لا تعش على سمعة الآخرين وأعمالهم .قم أنت بعملك الصالح، وأخلص فيه لله.
· التفكير في فناء الدنيا: أدرك أن الروابط الأسرية والصداقات الدنيوية، مهما كانت قوية، لن تمنع عنك شيئًا من عذاب الله يوم القيامة .هذا يدفعك للعمل ويحفزك على الإيثار بطاعة الله.

رابعًا: مفهوم التزكية والتطوير الذاتي.

· الدلالة: "وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ" .التزكية هي استثمار في النفس .أنت عندما تتطهر من الأخ لاق الذميمة) كذب، غش، حسد(، وتتعلم العلم النافع، وتطور مهاراتك، فإنما تفعل ذلك لصالح نفسك . ثمرة هذا التعب تعود عليك في الدنيا والآخرة.
· التطبيق العملي:
· التعليم المستمر: اسعَ دائمًا لتطوير مهاراتك ومعارفك .هذا جزء من التزكية .تعلم لغة جديدة، طور مهاراتك المهنية، اقرأ في شتى المجالات.
· تطهير النفس: جاهد نفسك على ترك الذنوب والتحلي بالأخلاق الفاضلة .راقب قلبك، ونقِّه من الحقد والحسد والكبر .هذا هو الجهاد الأكبر.

خامسًا: مفهوم المراقبة الذاتية) الخشية بالغيب.(

· الدلالة: "إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ" .الخشية بالغيب هي أن تستشعر مراقبة الله لك في كل وقت وحين، وأنت لا تراه .هذا الشعور هو أساس الفاعلية والاستقامة .إنه الرقيب الداخلي الذي يمنعك من الخطأ في الخلوات، ويدفعك للإتقان في العمل حتى لو لم يراقبك أحد من البشر.
· التطبيق العملي:
· الأمانة في غياب الرقيب البشري: عندما تكون وحدك في عملك، أو في بيتك، تذكر أن الله يراك . أتقن عملك، واصدق في حديثك، وغض بصرك، ليس خوفًا من الناس، بل خشية من الله.
· الشعور بوجود الله: هذا الشعور يمنحك استقلالية شخصية و قوة داخلية هائلة .أنت لا تنتظر توجيهًا من أحد، لأن ضميرك الحي المستمد من خشية الله هو الموجه لك.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الامتحان الفردي:
أنت في قاعة امتحان، والجميع مشغول بنفسه .لا أحد يستطيع أن يحمل عنك سهوك أو خطأك . ورقة إجابتك هي ملكك وحدك .هذا هو حال يوم القيامة تمامًا .كل إنسان مشغول بنفسه، وكتاب أعماله هو رصيده الوحيد.
· مثال فريق العمل والمدير العادل:
في شركة، يكلف المدير كل موظف بمهمة محددة .في نهاية الشهر، يحاسب كل موظف على أدائه هو، ولا يظلمه بأخطاء غيره .إذا أجاد الموظف "أ"، فإنه ينال المكافأة وحده، حتى لو كان زميله "ب" مقصرًا .وإذا قصر الموظف "ج"، فإنه يحاسب وحده، ولا يتحمل زميله عنه العقوبة .هذا هو عدل الله المطلق.
· مثال البستاني والنبات:
البستاني يزرع بذورًا مختلفة في حديقته .كل بذرة تنبت وتعطي ثمارها بحسب نوعها .لا تحمل شجرة التفاح إثم شجرة الشوك، ولا تعطي شجرة البرتقال ثمرًا حامضًا لأن جارتها حامضة .كل شجرة مسؤولة عن ثمرها .وكذلك الناس، كل نفس بما كسبت رهينة.

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· استخدام كلمة "وزر" و"حملها": استعارة تمثيلية رائعة .الذنوب تشبه الأحمال الثقيلة التي تنوء بها الظهور .وهذا يرسم صورة حسية في الذهن عن خطورة الذنوب وثقلها.
· المقابلة بين "وازرة" و"أخرى": توكيد على الفردية المطلقة في تحمل التبعات.
· أسلوب الشرط "وإن تدع مثقلة...": لتصوير مشهد من شدة الهول، حيث يضطر الإنسان للتوسل لأ قرب الناس إليه، لكن دون جدوى .وهذا يزيد من تأثير التحذير.
· استخدام "ولو كان ذا قربى": مبالغة في نفي المساعدة، فحتى أقرب الأقربين لا يستطيع شيئًا .هذا يفجر كل أوهام الاتكال على الأنساب.
· قصر الفائدة في "إنما يتزكى لنفسه": تأكيد على أن التزكية هي استثمار شخصي بحت، يعود نفعه على صاحبه فقط.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: بناء الشخصية المسؤولة

· الرسالة الفكرية: العدل أساس الجزاء.
الآية ترسخ مبدأ العدل الإلهي المطلق .فالله لا يظلم أحدًا، بل يجازي كل نفس بما كسبت .هذا المبدأ هو الذي يجعل الحياة ذات معنى، ويجعل العمل الصالح ذا قيمة.
· الرسالة التربوية: تربية الفرد على الاستقلالية وتحمل المسؤولية.
الآية تربي في المسلم شخصية مستقلة، لا تتكل على غيرها، ولا ترمي بأخطائها على الآخرين .إنها تزرع فيه الشجاعة الأدبية للاعتراف بالخطأ، والهمة العالية للعمل والإنجاز.
· الرسالة النفسية: التحرر من الأوهام والاتكالية.
كثير من الناس يعيشون على أوهام الاتكال على أصلابهم وأحسابهم، أو على شفاعة غيرهم .هذه ا لآية تحررهم من هذه الأوهام، وتدفعهم للاعتماد على الله أولا ً، ثم على أنفسهم ثانيًا .هذا التحرر يمنحهم ثقة بالنفس و طمأنينة لأنهم يبنون مستقبلهم بأيديهم.

**تفعيل الآية في حياتنا العملية: جردة حساب وبرنامج عمل

كيف نعيش هذه الآية ونجعلها واقعًا في حياتنا؟

· جردة حساب يومية:
· قبل النوم، اسأل نفسك: ما هي الأخطاء التي ارتكبتها اليوم؟ هل تحملت مسؤوليتها أم ألقيت بـ اللوم على غيري؟
· هل اعتمدت اليوم على جهد غيري في إنجاز عملي؟
· هل عملت اليوم عملا ً صالحًا أعددته لنفسي ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون؟
· برنامج عملي لتطبيق المفاهيم:
1. تحمل المسؤولية الشخصية: ابدأ يومك بقائمة مهامك .أنجزها بنفسك، وتحمل عواقب تقصيرك.
2. تجنب إلقاء اللوم: راقب حديثك .كم مرة قلت: "بسبب فلان..." أو "لولا الظروف..."؟ استبدلها بـ "سأحاول مرة أخرى بطريقة مختلفة".
3. الاستعداد الفردي: أكثر من الأعمال الصالحة التي لا يطلع عليها أحد) صدقة سر، قيام ليل، ذكر خفي .(هذه هي زادك الخاص ليوم القيامة.
4. التزكية الذاتية: خصص وقتًا يوميًا أو أسبوعيًا لتعلم شيء جديد، أو لقراءة كتاب ينمي عقلك وروحك.
5. المراقبة الذاتية: في كل عمل تقوم به، استحضر أن الله يراك .قل بقلبك: "الله معي، الله ناظري".

**عرض النفس على الآية: أسئلة للقلب والعقل

هيا بنا نعرض أنفسنا على هذه المرآة القرآنية الصادقة:

· سؤال المسؤولية: هل أنا حقًا أتحمل مسؤولية أخطائي، أم أني أبررها وأرميها على غيري؟
· سؤال التربية: هل أربي أبنائي على شجاعة الاعتراف بالخطأ وتحمل مسؤوليته، أم أعاقبهم دون أن أفهمهم قيمة المسؤولية الفردية؟
· سؤال العلاقات: هل أبني علاقاتي مع الآخرين على أساس طاعة الله والخشية منه، أم على أساس المصالح الدنيوية التي ستنقطع يوم القيامة؟
· سؤال التزكية: هل أقوم بتطهير نفسي على الدوام من الأخلاق الذميمة، وهل أسعى لتطوير نفسي باستمرار؟
· سؤال الاستعداد: هل أنا مستعد ليوم المصير، حيث لا ينفعني إلا عملي الصالح؟ أم أني أعيش على الاتكال على صلاح غيري؟

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية شعارًا لحياتك الفردية والاجتماعية:

· "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ" هي قاعدة العدل في تعاملك مع نفسك ومع الآخرين.
· "وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ" هي بوصلة الاستثمار في ذاتك.
· "إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" هي وجهتك النهائية التي يجب أن تستعد لها.

أيها الإنسان:
لقد أعطاك الله حرية الإرادة، وكرّمك بالعقل .وجعل حياتك الدنيا مزرعة للآخرة .أنت من يزرع، وأنت من سيحصد .فلا تتكل على زرع غيرك، ولا ترمِ ببذرك الفاسد في أرض غيرك .تحمل مسؤوليتك كاملة ، وزكِّ نفسك، واخشَ ربك بالغيب، واعمل ليوم المصير .ففي ذلك نجاتك وفلاحك.

ثانيا
أيها المتأمل في آيات الله، ويا من تبحث عن بصيرة تميز بها الحق من الباطل، ويا من تتوق روحك إلى ظل النعيم وتخشى حرور الجحيم، تعالَ بقلبك اليقظ وعقلك المتبصر، لنجلس معًا في رحاب أربع آيات كريمات، يضرب الله سبحانه وتعالى فيهن أمثالا ً حية، ومتضادات بليغة، لتقريب المعاني إلى ا لأذهان، وتثبيت الحقائق في الوجدان .إنها آيات ترسم لك خارطة طريق في زمن اختلطت فيه الأ وراق، وتدعوك إلى التمييز الواعي بين من هم أحياء القلوب ومن هم أمواتها.

في رحلتنا مع سورة فاطر، وقفنا على حقيقة المسؤولية الفردية، وأن كل نفس بما كسبت رهينة .والآ ن، تأتي هذه الآيات لتؤكد على مبدأ عظيم يترتب على تلك الحقيقة، وهو مبدأ عدم الاستواء .فكما لا يستوي المؤمن والكافر في الجزاء والمآل، فكذلك لا يستويان في الدنيا في الصفات والأحوال .إنها دعوة لتربية النفس على حب الخير وأهله، و بغض الشر وأهله، مع فقه الهداية الذي يبقي القلب متواضعًا لله.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ(22) ﴾ فاطر:19 - 22]

*الرابط المحكم بين الآيات: من المسؤولية الفردية إلى عدم الاستواء

تأمل معي هذا الربط القرآني المحكم:

.1الآية(18) : أعلنت مبدأ المسؤولية الفردية: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ" .فكل إنسان محاسب على عمله وحده.
.2الآيات19) -(22: تأتي لتقرر السبب في اختلاف المصائر والجزاء .لماذا يحاسب المؤمن وحده و الكافر وحده؟ لأنهم لا يستوون في الدنيا .فالاختلاف في المصير مبني على اختلاف حقيقي في الصفات والأعمال والقلوب.

وكأن السياق يقول: لا تعجب أيها المؤمن من اختلاف الجزاء، فأنتم في الدنيا مختلفون كل الاختلا ف .وكما لا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات والنور، فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر، ولا يستوي مصيرهما في الآخرة.

**تفصيل دلالات الآيات وألفاظها: متضادات ربانية تقرب المعاني

لنقف مع كل متضاد من هذه المتضادات الثلاثة) ثم الرابع(، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة، ولنرى كيف يضرب الله الأمثال لعباده لعلهم يتفكرون.

المتضاد الأول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾

· "وَمَا يَسْتَوِي": نفي قاطع للتساوي .إنه مبدأ إلهي عام: الحق والباطل لا يستويان، والهدى والضلال لا يستويان.
· "الْأَعْمَىٰ": المقصود به في المقام الأول الكافر .فالكافر أعمى البصيرة، لا يرى الحق ولا يهتدي إليه . وعماه هنا عمى معنوي، وهو أشد خطورة من العمى الحسي .قال تعالى: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"] الحج:.[46
· "وَالْبَصِيرُ": المقصود به المؤمن .فالمؤمن بصير القلب، يرى الحق حقًا والباطل باطلا ً بنور الله الذي جعله في قلبه .إنها البصيرة التي يفرق بها بين الخبيث والطيب.
· سؤال للقلب: ما هو العمى الحقيقي؟ ليس العمى الحقيقي هو فقدان البصر الحسي، بل هو فقدان بصيرة القلب التي تميز الحق من الباطل .فكم من مبصر العينين وهو أعمى القلب! وكم من فاقد البصر وهو بصير القلب بنور الإيمان! فعلامَ أعتمد في حياتي؟ على بصري الحسي فقط، أم على بصيرة قلبي التي يمنحها الله للمؤمن؟

المتضاد الثاني: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾

· الانتقال إلى تشبيه أوسع: بعد تشبيه الفرد) الأعمى والبصير(، ينتقل إلى تشبيه الحالة والطريق . "الظُّلُمَاتُ" بصيغة الجمع، و "النُّورُ" بصيغة المفرد.
· لماذا "الظلمات" جمع و"النور" مفرد؟
· الظلمات) جمع(: لأن طرق الضلال والكفر متعددة ومتشعبة .فالكفر ملة واحدة، لكن طرقه كثيرة: شك، نفاق، كبر، هوى، شبهات ...كلها ظلمات بعضها فوق بعض.
· النور) مفرد(: لأن طريق الحق واحد .إنه صراط الله المستقيم، الذي هو الإسلام والإيمان .النور واحد لا يتعدد، لأنه من مصدر واحد هو الله.
· المشهد التربوي: الآية ترسم في ذهنك مشهدًا حسيًا: أناس يتخبطون في ظلمات متعددة، لا يهتدون سبيلا ً، وآخرون يسيرون في نور واحد واضح جلي .هذا هو حال الكافرين والمؤمنين في هذه الحياة.

المتضاد الثالث: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾

· الانتقال إلى تشبيه المآل والجزاء: بعد تشبيه الحال في الدنيا) الظلمات والنور(، ينتقل إلى تشبيه

المصير في الآخرة.
· "الظِل": هو الظل الدائم المنعش المريح، وهو كناية عن الجنة ونعيمها .فالجنة ظل ظليل، لا حر فيها ولا قر، فيها من النعيم والراحة ما يجعلها ظلا ً وارفًا لأهلها .قال تعالى: "مَثَلُ الجَنَةِ التِي وُعِدَ المُتقونَ ۖ تجْرِي مِن تحتِهَا الأَنْهَارُ ۖ أُكلُهَا دَائِمٌ وَظِلُهَا"] الرعد:.[35
· "الحَرُور": هو الريح الحارة الشديدة التي تأخذ بالأنفاس، وقيل هي النار نفسها .وهي كناية عن جهنم وعذابها .فجهنم حرور دائم، لا ظل فيها ولا راحة .قال تعالى: "لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا"] النبأ:24 -.[25
· ما هي الأعمال التي تكون ظلا ً ظليلا ً لصاحبها في الآخرة؟ أخبر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد...") متفق عليه .(فكل عمل صالح خالص لله، سيكون ظلا ً وراحة لصاحبه في ذلك اليوم العصيب.

المتضاد الرابع: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ﴾

· الجمع بين كل المتضادات السابقة: هذا هو التشبيه الجامع .المؤمن حي القلب، حي الروح، حي الفكر .والكافر ميت القلب، ميت الروح، ميت الفكر، وإن كان جسده يتحرك بين الناس .قال تعالى: "أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا"] الأنعام:.[122
· خلاصة الأمثال:
· المؤمن: بصير القلب، في نور الحق، مصيره الظل الوارف، وهو حي حياة طيبة.
· الكافر: أعمى القلب، في ظلمات الضلال، مصيره الحرور المحرق، وهو ميت وإن تنفس.

التعقيب الرباني: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾

· توجيه للنبي ﷺ وللدعاة: بعد بيان هذا الفرق الشاسع بين الفريقين، يختم الله الآية بتذكير نبيه بحقيقة مهمة: الهداية بيد الله وحده .أنت أيها الرسول، وأيها الداعية، "مَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ".
· تشبيه بليغ: الكفار المعاندون، الذين ماتت قلوبهم، هم بمنزلة الموتى في القبور .فكما أنك لا تستطيع إسماع الميت في قبره، فكذلك لا تستطيع إسماع هؤلاء الذين انغلقوا على ضلالهم، فهم لا يسمعون سماع قبول واستجابة.
· رسالة مهمة: هذا لا يعني ترك الدعوة، بل يعني فقه التوازن .أنت تبذل الجهد، وتدعو بالحسنى، لكنك لا تملك الهداية .فإذا لم يستجب لك أحد، فلا تحزن ولا تيأس ."إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ" .هذا الفهم يريح قلب الداعية، ويحفظ طاقته.

**الغاية من ضرب هذه الأمثال وأهميتها التربوية

لماذا يستخدم القرآن هذا الأسلوب في ضرب الأمثال والمتضادات؟

.1تقريب المعاني الغيبية والعقلية إلى الحس:
· الإيمان والكفر، والجنة والنار، والهدى والضلال، كلها معانٍ عقلية وغيبية .ضرب المثل بالظل و الحرور، والنور والظلمات، يجعل هذه المعاني محسوسة، وكأنك تراها أمامك .هذا يزيد من وضوحها و تأثيرها في النفس.
.2إشراك العقل في عملية التمييز والتفكر:
· أسلوب المقارنة "وما يستوي ...ولا ...ولا..." يدفع العقل للمقارنة والموازنة .أنت لا تتلقى المعلومة جاهزة فقط، بل أنت شريك في العملية .عقلك يقارن بين الظل والحرور، فيختار الظل .ويقارن بين النور والظلمات، فيختار النور .هذا يرسخ القناعة في أعماق النفس.
.3الاعتزاز بالانتماء إلى صف الحق:
· عندما تدرك أنك من أهل النور والبصيرة والظل، تشعر بالعزة والكرامة .أنت لست مجرد إنسان عادي، بل أنت حي في عالم مليء بالأموات، وبصير في عالم مليء بالعميان .هذا الشعور يدفعك إلى الشكر لله، وإلى الثبات على هذا الطريق.
.4التربية على التمييز الإيجابي في الحياة اليومية:
· هذه الآيات لا تدعو إلى احتقار الآخرين، بل تدعو إلى فقه التمييز .أن تميز في نفسك وفي تعاملك بين الخير والشر، وبين الصالح والطالح .أن تحب أهل الخير وتجالسهم، وتبغض الشر وأهله وتتجنبهم.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نطبق مبدأ عدم الاستواء في حياتنا؟

· الرسالة الفكرية: فقه الاختلاف وفهم سنة الله في الخلق.
· الآيات تؤكد أن الاختلاف سنة كونية .فكما أن في الكون نورًا وظلامًا، وظلا ً وحرورًا، فكذلك في الناس أبرار وفجار، ومؤمنون وكفار .هذا الفهم يجعلك لا تصطدم بوجود الشر وأهله، بل تتعامل معه بواقعية وحكمة .والهداية بيد الله.
· الرسالة التربوية: تربية النفس على حب الخير وبغض الشر.
· الولاء والبراء هو مبدأ عظيم في الإسلام .أن توالي المؤمنين وتحبهم، وأن تتبرأ من الكافرين وتبغض كفرهم .هذا لا يعني ظلمهم أو الاعتداء عليهم، بل يعني أن لا تجعلهم بطانة لك، وألا تتشبه بهم في أخلاقهم وأعمالهم.
· الرسالة النفسية: الاعتزاز بالإيمان والثقة بالنفس.
· عندما تعلم أنك من "الأحياء" و"البصراء"، تشعر بقيمة نفسك الحقيقية .أنت لست تافهًا ولا هامشيًا .أنت عبد لله، كرمك بالإيمان .هذا يمنحك ثقة بالنفس و اعتزازًا بدينك، ويدفعك إلى أن تكون قدوة حسنة.
· الرسالة الدعوية: عدم اليأس والاستمرار بالحسنى.
· قوله "وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ" لا يعني ترك الدعوة، بل يعني أن ترتبط نفسيًا بالله لا باستجابة الناس .أنت تدعو، والله يهدي .هذا الفهم يحمي الداعية من الإحباط واليأس، ويجعله يستمر في دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، مهما واجه من صدود.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الغرفة المظلمة والغرفة المنيرة:
تخيل أنك في غرفة مظلمة تمامًا، لا ترى فيها شيئًا، تتعثر في كل خطوة .وتخيل صديقك في غرفة منيرة، يرى كل شيء بوضوح، ويسير بخطى ثابتة .هل يستوي هذا وهذا؟ هذا هو حال المؤمن والكافر .المؤمن في نور الله، يرى طريقه، والكافر في ظلمات الجهل والضلال، يتخبط.
· مثال اليوم الحار والظل الوارف:
تخيل نفسك في يوم قائظ، تلفحك حرارة الشمس، وليس لديك ملجأ .وفجأة، تجد شجرة عظيمة بظل وارف، فتجلس تحتها وتستريح .هذا الظل هو مثل الأعمال الصالحة .كل حسنة تعملها، كل صدقة تتصدق بها، كل صلاة تصليها، هي ظل تدخره ليوم الحرور الأكبر يوم القيامة.
· مثال الهاتف الميت والهاتف المشحون:
هاتف ميت، لا بطارية له، لا يمكنك الاتصال به ولا يمكنه استقبال أي إشارة .وهاتف مشحون، متصل بالشبكة، يسمع ويرسل .الكافر الميت القلب كالهاتف الميت، لا يسمع نداء الحق ولا يستجيب .و المؤمن الحي القلب كالهاتف المشحون، يتلقى إشارات الهداية من الله ويستجيب.

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نعيش التمييز الإيجابي؟

· في تربية الأبناء:
· علمهم أن يفرقوا بين الخير والشر، وبين الصديق الصالح والصديق السيء .استخدم معهم هذه الأ مثلة الحسية) النور والظلام، الظل والحر.(
· قل لهم: الصديق الصالح كالنور يهديك، والصديق السيء كالظلمة يضلك.
· في اختيار البيئة والمحيط:
· احرص على أن تكون في بيئة إيمانية، تذكرك بالله وتعينك على طاعته .فهذه البيئة هي نور وظل لقلبك.
· تجنب البيئات التي تمتلئ بالمعاصي والغفلة، فهي ظلمات وحرور تحرق القلب وتعمي البصيرة.
· في التعامل مع وسائل الإعلام والتواصل:
· كن بصيرًا فيما تشاهده وتقرؤه .ميز بين المحتوى الهادف) النور (والمحتوى الهابط) الظلمات .(لا تجعل عينيك وقلبك مكبًا لكل ما يبث.
· في الدعوة إلى الله:
· تذكر أن الهداية بيد الله .مهمتك هي البيان و التبليغ .ادع بالحسنى، وأحسن الظن بالناس، واعرض عليهم نور الحق، لكن لا تيأس إذا لم يستجيبوا .فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

**عرض النفس على الآيات: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال البصيرة: هل أنا مبصر بحق، أم أن لي عينان لا تبصران حقيقة الأمور؟ هل أميز بين الحق و

الباطل في حياتي اليومية؟
· سؤال النور: هل أعيش في نور الهداية، أم أن ظلمات الشبهات والشهوات تحيط بي؟ هل أنا من أهل النور؟
· سؤال الظل: ما هي الأعمال الصالحة التي ادخرتها لتكون لي ظلا ً يوم القيامة؟ هل لي رصيد من الصدقة، أو العلم النافع، أو تلاوة القرآن؟
· سؤال الحياة: هل قلبي حي بذكر الله، أم هو ميت بالغفلة؟ بماذا أشعر عندما أسمع القرآن أو تحضرني فكرة الموت؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيات؟

اجعل هذه الآيات نبراسًا لك في كل حين:

· كن من أهل البصيرة: اطلب من الله أن ينور بصيرتك، واجتهد في طلب العلم النافع.
· اسعَ إلى النور: اقترب من مجالس العلم والذكر، وابتعد عن ظلمات الغفلة والمعصية.
· ادخر ظلك في الآخرة: أكثر من الأعمال الصالحة التي تظلك يوم لا ظل إلا ظله.
· أحي قلبك: بذكر الله وتلاوة القرآن والعمل الصالح، ولا تكن من الأموات الذين يتحركون بلا روح.

أيها المؤمن:
لقد ضرب الله لك الأمثال لعللك تعقل وتفقه .أنت في هذه الدنيا بين فريقين: فريق أهل النور والظل والحياة، وفريق أهل الظلمات والحرور والموت .فاختر لنفسك، وانظر أين تضع قدمك، وأي الطريقين تسلك .واعلم أن الهداية بيد الله، فاسأله الثبات، وادع إليها بالحسنى، وكن على يقين أن العاقبة للمتقين.
ثالثا
أيها الداعية إلى الله، ويا من تحمل همّ الرسالة في زمن كثر فيه المكذبون، ويا من تتساءل عن سرّ ثبات الرسل أمام تكذيب أقوامهم، وعن دورك أنت في هذا الطريق الطويل، تعالَ بقلبك الواثق وعقلك المتدبر، لنجلس معًا في رحاب آيات كريمات، تضع لنا قواعد الثبات، وترسم لنا خارطة الطريق، وتؤكد لنا أن سنة الله في الصراع بين الحق والباطل سنة واحدة لا تتخلف.

بعد أن بينت الآيات السابقة الفرق الشاسع بين المؤمن والكافر، وأن الهداية بيد الله وحده، تأتي هذه الآيات لتخاطب النبي ﷺ مباشرة، ولتحدد له وظيفته، ولتذكره بسنة الله الماضية في الرسل من قبله ، ولتختم ببيان عاقبة المكذبين .إنها آيات تثبت فؤاد الداعية، وتريح قلبه، وتجعله يمضي في طريقه قدماً، لا يلتفت إلى تكذيب المكذبين ولا إلى صدود المعرضين.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ(26) ﴾] فاطر:23 -[26

**الرابط المحكم بين الآيات: من نفي الإسماع إلى بيان حدود النذارة

تأمل معي هذا الربط القرآني المحكم:

1.الآية(22) : خُتمت بقوله تعالى: "وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ" .هذا تصريح بأن مهمة النبي ليست إجبار الناس على الهداية، فالقلوب الميتة كأهل القبور لا تسمع.
2.الآيات23) -(24: تأتي لتؤكد هذا المعنى وتوضحه .فالنبي ﷺ ليس وكيلا ً على الناس، ولا مسؤو لا ً عن إيمانهم .إنما هو "نذيرٌ" و "بَشِيرٌ" .مهمته محصورة في البلاغ والإنذار والتبشير.

وكأن السياق يقول: لا تحزن أيها الرسول على عدم إيمان من كذبوك .فأنت لست مسؤولا ً عن هدايتهم .أنت منذر، وقد أديت مهمتك .والهداية بيد الله وحده .هذه هي سنة الله في كل الرسل من قبلك.

*"تفصيل دلالات الآيات وألفاظها: درس في فقه الدعوة والصبر

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآيات الكريمة، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

الآية(23) : ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾

· "إِنْ": نافية بمعنى "ما" .فهي تنفي عن النبي ﷺ أي صفة أخرى غير النذارة.
· "أَنتَ": ضمير خطاب للنبي ﷺ، وفيه تخصيص وتوكيد.
· "إِلَّا": أداة حصر .أي لا وظيفة لك ولا مهمة إلا أن تكون نذيرًا.
· "نَذِيرٌ": اسم فاعل من "الإنذار"، وهو الإعلام مع التخويف .والنذير هو من يخبر قومه بما أمامهم من خطر ليجتنبوه .فالنبي ﷺ هو المنذر الذي يخبر الناس بعذاب الله لمن عصاه، ويدعوهم إلى النجاة با لإيمان.
· أسلوب القصر "إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ": يفيد حصر مهمة النبي في النذارة .فهو ليس بمسيطر، ولا بجبار، و لا بوكيل عنهم .إنما هو مبلغ عن الله، مبين للطريق .وهذا الأسلوب يريح قلب النبي ﷺ والدعاة من بعده، ويرفع عنهم عبء النتائج .فأنت أيها الداعية، عندما تبلغ وتنذر، تكون قد أديت ما عليك.

الآية(24) : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

· "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ": توكيد من الله سبحانه بأن إرسال النبي ﷺ هو بأمره ومشيئته .وضمير العظمة "إنا" يعطي قوة وعظمة للمهمة.
· "بِالْحَقِّ": أي بالدين الحق، والقرآن الحق، والشريعة الحق .فما جاء به النبي ﷺ ليس من عنده، بل هو الحق الذي لا مرية فيه .وهذا هو سر قوته وثباته.
· "بَشِيرًا وَنَذِيرًا": هنا تجتمع الصفتان .فهو بشير للمؤمنين بالجنة والثواب، و نذير للكافرين بالنار و العقاب .وهذا هو المنهج المتوازن في الدعوة: الجمع بين الترغيب والترهيب.
· "وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ": قاعدة تاريخية إلهية ."إن" نافية، و"من" زائدة للتوكيد، و"إلا" أداة حصر .أي ما من أمة من الأمم السابقة إلا وبعث الله فيها رسولا ً ينذرها ويبين لها الحق .وهذا إع لان لعدل الله ورحمته، فلم يترك أمة هملا ً، بل أرسل إليها من يهديها .وفيه تسلية للنبي ﷺ بأنه ليس بدعًا من الرسل، بل هو حلقة في سلسلة طويلة من النذر.

الآية(25) : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

· "وَإِن يُكَذِّبُوكَ": أسلوب شرط .هذا هو الواقع المتوقع، وهو التكذيب.
· "فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ": هذه هي التسلية الكبرى .إن كذبك قومك أيها الرسول، فهذه هي سنة المكذبين عبر التاريخ .لست وحدك في هذا الميدان .فقد كذبت أمم سابقة رسلهم.
· "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم": بيان لعظم جريمتهم .فهم لم يكذبوا مجرد دعاة عاديين، بل كذبوا رسل الله الذين أرسلهم إليهم.
· "بِالْبَيِّنَاتِ": أي بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات التي لا تدع مجالا ً للشك .فلم يكذبوا عن جهل، بل عنادًا واستكبارًا بعد وضوح الحق.
· "وَبِالزُّبُرِ": جمع "زبور"، وهي الكتب التي فيها المواعظ والزجر والتذكير.
· "وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ": أي بالكتاب الواضح المنير، المشتمل على الأحكام والشرائع، الذي ينير طريق الحق . فالرسل السابقون جاءوا بكل أنواع الأدلة والهدايات، ومع ذلك كذبوا .فاصبر كما صبروا.

الآية(26) : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

· "ثُمَّ": للترتيب الزمني .بعد أن جاءتهم الرسل بالبينات فكذبوا، أعطاهم الله فرصة، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.
· "أَخَذْتُ": الفعل بصيغة المتكلم "أخذت" يعطي قوة وعظمة ورهبة .فالله هو الذي أخذهم، ولم يفلتوا من عقابه.
· "الَّذِينَ كَفَرُوا": وصف لهم بالكفر، وهو سبب أخذهم.
· "فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ": استفهام تعظيم وتهويل ."نكير" هو إنكار الله عليهم وعقوبته الشديدة لهم .وكيف كان؟ كان عذابًا أليمًا، وتدميرًا شاملًا، وخذلانًا أبديًا .هذه الجملة تترك السامع في حالة من التفكر والا عتبار، فيتذكر عاقبة المكذبين عبر التاريخ: قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون...

*"أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الطبيب والمريض المعاند:
طبيب يخبر مريضه بأنه مصاب بمرض خطير، ويعطيه وصفة الدواء، ويحذره من عواقب الإهمال . المريض يرفض العلاج ويكذب الطبيب .هل الطبيب مسؤول عن مرضه أو موته؟ لا .الطبيب نذير،

وقد أدى واجبه .هذا هو حال النبي ﷺ مع قومه.
· مثال صفارة الإنذار:
في حريق، تنطلق صفارات الإنذار لتحذر الناس .من يسمع ويخرج ينجو .ومن يبقى في مكانه يهلك .صفارة الإنذار لا تحمل الناس على ظهرها وتخرجهم، هي فقط تنذر .هذه هي مهمة النبي: إنذار.
· مثال المعلم والطالب الكسول:
معلم يشرح الدرس، ويعطي الواجبات، ويحذر من الرسوب .طالب يهمل ويتكاسل ثم يرسب .هل يتحمل المعلم مسؤولية رسوبه؟ لا .المعلم بلغ الرسالة، والنتيجة على الطالب ."إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ".
**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· أسلوب القصر في "إن أنت إلا نذير" و"وإن من أمة إلا خلا فيها نذير": يفيد التأكيد والتخصيص .فلا وظيفة للنبي إلا النذارة، ولا أمة إلا ونذيرها .وهذا يعطي القارئ شعورًا بالاطمئنان إلى عدل الله.
· الجمع بين "بشيرًا ونذيرًا": من المحسنات البديعية) الطباق (التي تبرز المعنى وتوضحه .فالترغيب و الترهيب وجهان لعملة واحدة في الدعوة.
· تنوع الأدلة في الآية(25) : "بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ" .هذا التنوع يظهر أن الحجة قامت على المكذبين من كل وجه، فلا عذر لهم .وهذا يزيد من تسلية النبي ﷺ.
· الاستفهام التعظيمي "فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ": يهز الوجدان ويحفز على التفكر في مصارع المكذبين .إنه سؤال مفتوح يدعو كل قارئ أن يتأمل في التاريخ ويرى آثار نقمة الله على المكذبين.

*رسائل تربوية ونفسية وفكرية: بناء الداعية الصابر الثابت

هذه الآيات تقدم لنا منهجًا متكاملا ً للداعية والمصلح في كل زمان ومكان:

· الرسالة الفكرية: فهم طبيعة الصراع بين الحق والباطل.
الآيات تؤكد أن التكذيب سنة إلهية في أتباع الرسل .فلا ينبغي للداعية أن يتوقع أن يصفو له الجو، أو أن يستجيب له الناس جميعًا .هذا الفهم يجعله واقعيًا في توقعاته، فلا يصطدم بالواقع فينهزم.
· الرسالة التربوية: التربية على أداء الواجب دون تعلق بالنتائج.
"إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ" .هذه الآية تعلم الداعية أن وظيفته هي البلاغ والبيان .أما الهداية والاستجابة، فذلك أمر بيد الله .هذه التربية تحرر الداعية من القلق النفسي على النتائج، وتجعله يركز كل طاقته على إتقان أداء الواجب .إنها وصفة ربانية للتخلص من الإحباط واليأس.
· الرسالة النفسية: التسلية والتثبيت في مواجهة التكذيب.
"فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" .هذا هو بلسم الشفاء لقلب الداعية المجروح .أنت لست وحدك .الرسل الكرام، وهم أفضل الخلق، واجهوا تكذيبًا أشد .هذا الاستحضار يمنحه قوة نفسية هائلة، ويدفع عنه شعور الوحدة والغربة.
· الرسالة الإيمانية: اليقين بعدالة الله وانتقامه من المكذبين.
"ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" .هذه الآية تزرع في قلب المؤمن اليقين الجازم بأن الباطل مهما علا، فإن نهايته إلى زوال، وأن الله سينتقم للمؤمنين من المكذبين .هذا اليقين يمنحه الصبر الاستراتيجي، فلا يستعجل النتائج، ويثق في وعد الله.

*"تفعيل الآيات في حياتنا العملية: منهج للداعية المعاصر

كيف نعيش هذه الآيات في واقعنا اليومي، ونحن نواجه أشكالا ً متعددة من التكذيب والصدود؟

· في مجال الدعوة إلى الله:
· حدد هدفك: هدفك هو البلاغ، لا الهداية .عندما تقدم محتوى دعويًا على وسائل التواصل، أو تنصح صديقًا، تذكر أن مهمتك انتهت عند إيصال المعلومة بوضوح .لا ترهق نفسك بحساب عدد المتابعين أو المستجيبين ."إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ".
· توازن في أسلوبك: اجمع بين البشارة والنذارة .لا تكن خطابك كله تخويفًا فينفر الناس، ولا كله ترغيبًا فيتهاونوا في معاصي الله .كن بشيرًا ونذيرًا.
· في مواجهة النقد والتكذيب:
· عندما تتعرض للنقد أو التكذيب بسبب تمسكك بالحق، تذكر "فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" .هذا يخفف عنك وطأة الأذى النفسي، ويجعلك تنظر للموضوع على أنه جزء من سنة الابتلاء، لا أنه موجه لشخصك.
· استحضر عاقبة المكذبين، وتأمل في مصارعهم عبر التاريخ، لتزداد يقينًا بأن الباطل لا يدوم.

· في التربية والتعليم:
· عندما تعلم أبناءك أو طلابك، تذكر أنك مبلغ .ابذل جهدك في الشرح والترغيب والترهيب، ثم فوض الأمر إلى الله .لا تحمل نفسك فوق طاقتها في القلق على من لا يستجيب.

*"عرض النفس على الآيات: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الوظيفة: هل أدرك أن مهمتي في الحياة كمسلم هي البلاغ بقدر استطاعتي، لا هداية الناس؟ هل أفرق بين المهمتين في نفسي؟
· سؤال الثبات: عندما أواجه تكذيبًا أو رفضًا، هل أتذكر سلسلة الرسل الكرام، فأثبت كما ثبتوا؟ أم أني أستعجل النتائج وأيأس؟
· سؤال اليقين: هل أنا على يقين من أن سنة الله في نصر الحق وأخذ المكذبين ماضية؟ وهل هذا اليقين يمنحني الصبر والطمأنينة؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيات؟

اجعل هذه الآيات منهجًا لك في دعوتك وحياتك:

· إذا دعوت: تذكر "إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ"، فأخلص في البلاغ.
· إذا كُذبت: تذكر "فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ"، فاصبر واثبت.
· إذا استبطأت النصر: تذكر "ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ"، فازدد يقينًا وطمأنينة.

أيها الداعية إلى الله، أيها المصلح في الأرض:
إن الطريق طويل، والتكذيب كثير، والابتلاء مر .لكنك تحمل رسالة من رب العالمين .إنه الحق الذي أرسلك به .فلا تحزن على من ضل، ولا تيأس من رحمة الله .قم بواجبك، وأنذر وبشر، واترك النتائج لعلام الغيوب .فهو حسبك ونعم الوكيل.
القسم الثالث
اولا

أيها المتأمل في كتاب الله المنظور، ويا من يمر على آيات الله في الآفاق والأنفس مرور الكرام، ويا من يتوق قلبه إلى أن يكون من خاصة عباد الله وأوليائه، تعالَ بقلبك الخاشع وعقلك المتأمل، لنجلس معًا في رحاب آيتين كريمتين، تفتحان لك نافذة على عظمة الخالق في آياته المبثوثة في الكون، وتكشفان لك عن صفوة العباد، وترفعان من شأن العلم الحقيقي الذي يقود إلى خشية الله.

بعد أن طاف بنا القرآن في رحلة الإيمان، من تقرير مبدأ المسؤولية الفردية، إلى ضرب الأمثال للتمييز بين المؤمن والكافر، إلى تثبيت النبي ﷺ على النذارة، ها نحن نصل إلى آيات تدعونا إلى التأمل في بديع صنع الله، ليكون هذا التأمل دليلا ً على وحدانيته و سببًا للخشية منه .إنها آيات تربط بين العلم بالله و الخشية منه، وتعلن أن العلماء الحقيقيين هم الذين يعرفون الله حق المعرفة، فيخشونه ويهابونه.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(28) ﴾ فاطر:27 -28

**الرابط المحكم بين الآيات: من التكذيب إلى التأمل والخشية

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع:

1.الآيات23) -(26: تحدثت عن تكذيب الكافرين، وأن هذه سنة ماضية، وختمت ببيان أخذ الله للمكذبين: "ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" .هذا المشهد يملأ القلب رهبة وخوفًا من الله.
2.الآيتان27) -(28: تأتيان لتقديم العلاج الذي يقي من هذا المصير .وكأنهما تقولان: لماذا كذب أولئك؟ لأنهم لم يعرفوا الله حق معرفته .ولو تأملوا في آياته في الكون لعرفوه، ولخشعوا له، ولما كذبوا .ثم تختمان بتعريف العلماء الحقيقيين: هم الذين تأملوا في هذه الآيات فعرفوا الله فخشوه.

وكأن السياق يقول: إن أردتم النجاة من عذاب الله الذي أخذ به المكذبين، فانظروا في آياته، واعرفوه حق معرفته، واخشوه .فهذه هي صفة العلماء الذين ينجون.

**تفصيل دلالات الآيتين وألفاظهما: مشهد من الإبداع والتنوع والخشية

لنقف مع كل لفظة من لفظات هاتين الآيتين الكريمتين، لنشاهد بأعين قلوبنا هذا المشهد المتكامل:

الآية(27) : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

· "أَلَمْ تَرَ": استفهام تقريري، معناه "انظر وتأمل" .هو خطاب لكل من له عينان يرى بهما .والخطاب موجه إلى النبي ﷺ أولا ً، وإلى كل عاقل .إنه دعوة إلى التأمل البصري في آيات الله المنظورة.
· "أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً": تذكير بنعمة المطر .وقد سبق ذكرها في الآية (9) للاستدلال على البعث، وهنا للاستدلال على التنوع والإبداع في الخلق.
· "فَأَخْرَجْنَا بِهِ": الانتقال من ضمير الغائب "أنزل" إلى ضمير العظمة "فأخرجنا" .وهذا يزيد المشهد جلالا ً وعظمة، فالله هو الذي يتولى الإخراج بنفسه.
· "ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا": هذه هي الآية الأولى .الثمرات) الفواكه والخضروات (تخرج من نفس الأرض، وتسقى بنفس الماء، ومع ذلك تختلف ألوانها وطعومها وروائحها اختلافًا بينًا .فمنها الأصفر والأحمر وا لأخضر والبرتقالي ...هذا التنوع مع وحدة الأصل) التراب والماء (هو دليل قاطع على قدرة الخالق وحكمته.
· "وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ": "جُدَد" جمع "جُدّة"، وهي الطريق والخطة .والمعنى أن الجبال فيها طرق وخطط وخطوط ملونة .فهي ليست قطعة واحدة بلون واحد، بل فيها من التنوع اللوني ما يبهر الألباب.
· "بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ": تعداد بديع للألوان الرئيسية في الجبال .فالجبال منها ما هو أبيض، ومنها ما هو أحمر، ومنها ما هو أسود حالك .و"غرابيب" هي السود الشديدة السواد، و "سود" تأكيد .وهذا يدل على شدة سوادها .إنها لوحة فنية إلهية معروضة في الطبيعة.

الآية(28) : ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

· "وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ": الانتقال من عالم النبات والجماد إلى عالم الحيوان والإ نسان .فالناس ألوانهم مختلفة) أبيض، أسود، أصفر(...، وكذلك الدواب) الخيل والبغال والحمير (والأنعام)الإبل والبقر والغنم (ألوانها مختلفة .وهذا التنوع في عالم الأحياء آية أخرى.
· "كَذَٰلِكَ": أي مثل ذلك الاختلاف البديع في الثمرات والجبال .فالأمر كله صادر عن قدرة الله وحكمته . فالمشاهد الكونية كلها تشهد بوحدانية الخالق وعظمته.
· النتيجة العظمى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾:
· "إِنَّمَا": أداة قصر وحصر .أي لا يخشى الله حق خشيته إلا العلماء.
· "يَخْشَى اللهَ": الخشية هي الخوف المبني على العلم والتعظيم .إنها أخص من مطلق الخوف .فهي خوف مقرون بمعرفة وهيبة.
· "الْعُلَمَاءُ": من هم العلماء؟ هم الذين يعرفون الله حق المعرفة، من خلال التأمل في آياته في كتابه المسطور) القرآن (وكتابه المنظور) الكون .(فكلما ازداد الإنسان علمًا بالله وبصفاته وقدرته، ازدادت خشيته له .وليس المقصود بالعلماء مجرد حاملي الشهادات الأكاديمية، بل العلماء بالله وبشرعه.
· ختام الآية: ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾:
· "عَزِيزٌ": أي قوي غالب، لا يعجزه شيء، منتقم من أعدائه .وهذا يوجب الخوف والخشية.
· "غَفُورٌ": أي كثير المغفرة والرحمة لمن تاب وآمن .وهذا يوجب الرجاء والطمع في رحمته.
· الربط بالخشية: فالله عزيز فيخشى عقابه، وهو غفور فيرجى ثوابه .وبين الخوف والرجاء تكون عبودية المؤمن.
**تصحيح مفهوم "العلماء" في ضوء الآية

هذه الآية الكريمة تقدم لنا المقياس الحقيقي للعلم والعلماء:

· العلم الحقيقي ليس هو حفظ المعلومات والاصطلاحات:
كثير من الناس يظن أن العالم هو من حصل على شهادات عليا، أو من يعرف دقائق الأمور في تخصصه .نعم، هذا علم دنيوي نافع ومطلوب .لكن العلم الذي تمدحه الآية هو العلم بالله الذي يثمر خشية الله .فكم من حامل شهادة دكتوراه في الفيزياء أو الكيمياء، وهو لا يخشى الله! وكم من رجل

أمي بسيط، يقرأ القرآن ويتأمل في خلق الله، فقلبه مليء بخشية الله! فهذا الأمي عالم بميزان هذه ا لآية.
· العلم طريق إلى الخشية:
الآية تجعل التأمل في آيات الله الكونية) الماء، الثمرات، الجبال، الناس، الدواب (هو الطريق إلى العلم الذي يقود إلى الخشية .فكلما تعمق الإنسان في دراسة هذه الظواهر) علم الأحياء، الجيولوجيا، الفيزياء، الفلك (وكان قلبه موصولا ً بالله، ازداد خشية لله .أما إذا درسها بقلب غافل عن خالقها، فإنه يبقى في سطح العلم، ولا يصل إلى جوهره.
· العلماء هم ورثة الأنبياء:
العلماء الحقيقيون الذين يخشون الله هم ورثة الأنبياء في العلم والهداية والدعوة .قال النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء") رواه الترمذي .(فهم يقومون بمهمة التبليغ والبيان والإنذار، كما كان يفعل الأ نبياء.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال البستاني والثمرات:
بستاني يزرع في أرضه أنواعًا مختلفة من الفاكهة .كلها تسقى بنفس الماء، وتتعرض لنفس الشمس، وتخرج من نفس التراب .ومع ذلك، تجد طعم التفاح يختلف عن طعم البرتقال، ولون العنب يختلف عن لون الرمان .من الذي جعلها مختلفة؟ إنه الله .هذه الآية تدعو البستاني وكل من يأكل هذه الثمرات أن يتفكر ويتأمل، فيزداد إيمانًا وخشية.
· مثال المتنزه في الجبال:
أنت في رحلة إلى الجبال، فترى هذه الجبال الشامخة، بألوانها المختلفة، وخطوطها العجيبة .جبال بيضاء كالثلج، وأخرى حمراء كالنار، وثالثة سوداء كالليل .من الذي صبغها بهذه الألوان؟ من الذي شق فيها هذه الطرق والخطوط؟ إنه الله العزيز الحكيم .هذا التأمل يجعلك تسبح الله وتحمده، ويزيد في قلبك الخشية من عظمته.
· مثال النظر إلى الناس:
تجلس في مكان عام، وتتأمل وجوه الناس .ترى التنوع العجيب في الألوان والأشكال والهيئات . أبيض، أسمر، أسود .طويل، قصير .جميل، دميم .هذا كله من صنع الله وإبداعه .هذا التنوع هو آية من آيات الله، تدعوك للتفكر في قدرته، وتذكرك بأنه لا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات والنور، كما مر في الآيات السابقة.

*"لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· أسلوب "ألم تر": استفهام يخرج إلى معنى التعجب والتنبيه .فهو يلفت نظر الغافل، ويقول له: كيف لا ترى هذه الآيات الواضحة؟
· تنوع الألوان وتفاصيلها: التفصيل في ذكر الألوان) بيض، حمر، غرابيب سود (يجعل المشهد لوحة فنية ترتسم في خيال السامع .وهذا من إعجاز القرآن البياني.
· القصر في "إنما يخشى الله من عباده العلماء": هذا الأسلوب يرفع من شأن العلماء ويخصهم بهذه المنقبة العظيمة .فهم الصفوة المختارة من عباد الله.
· الختام باسمي "العزيز الغفور": يربط الخشية بالرهبة) العزة (والرغبة) المغفرة .(وهذا هو كمال التوازن النفسي للمؤمن.

*"الإعجاز العلمي في الآيتين: حقائق أدهشت العلماء

هاتان الآيتان تشيران إلى حقائق علمية لم تكتشف إلا مؤخرًا:

.1اختلاف ألوان الثمرات مع وحدة الماء والتراب:
العلم الحديث يثبت أن الثمرات تختلف في ألوانها وطعومها بسبب اختلاف تركيبها الجيني(DNA) ، وليس بسبب اختلاف الماء أو التربة .فالله هو الذي أودع في بذرة كل نبات برمجتها الوراثية الخاصة التي تحدد لونها وطعمها وشكلها .فهي تختلف بأمر الله وتقديره.
.2ألوان الجبال وتركيبها الجيولوجي:
الآية تذكر "جدد بيض وحمر وغرابيب سود" .العلم الحديث يفسر هذه الألوان باختلاف المعادن المكونة للصخور .فالصخور الجيرية غالبًا ما تكون بيضاء، والصخور الغنية بأكسيد الحديد تكون حمراء، والصخور البازلتية أو الغنية بالمواد العضوية تكون سوداء .وهذا التنوع دليل على عظمة الخالق.
.3اختلاف ألوان البشر والدواب والأنعام:

العلم الحديث يثبت أن اختلاف ألوان البشر) الجلد، العيون، الشعر (يعود إلى اختلاف صبغة الميلا نين التي يحددها التركيب الجيني .وهذا الاختلاف آية من آيات الله، وليس مدعاة للتفاخر أو العنصرية .قال ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم") رواه مسلم.(

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: بناء الشخصية الخاشية العالمة

هاتان الآيتان تهدفان إلى بناء شخصية المؤمن العالم الخاشي:

· الرسالة الفكرية: العلم النافع هو ما قاد إلى خشية الله.
الآية تعيد تعريف العلم .العلم ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لمعرفة الله وخشيته .فكل علم يبعد عن الله هو وبال على صاحبه .وكل علم يقرب إلى الله هو شرف ورفعة .هذا المفهوم يوجه المسلم إلى طلب العلوم النافعة التي تزيده إيمانًا.
· الرسالة التربوية: التربية على التأمل والتفكر في آيات الله.
"أَلَمْ تَرَ" .هذا تعليم للمسلم ألا يمر على آيات الله في الكون مرورًا عابرًا .بل يتأمل ويتفكر، ويربط ما يراه بعظمة الخالق .هذه العادة تجعل حياة المسلم كلها عبادة وذكرًا لله .اصطحب أبناءك إلى الطبيعة، وعلمهم كيف يتأملون في خلق الله.
· الرسالة النفسية: الخشية تمنح الطمأنينة.
عندما يصل الإنسان إلى درجة الخشية من الله، فإنه يصل إلى ذروة الطمأنينة النفسية .فهو يخاف الله فلا يخاف أحدًا سواه .ويرجو الله فلا يرجو سواه .وهذا هو الغنى النفسي الحقيقي ."وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ"] التغابن:.[11
· الرسالة الاجتماعية: تقدير العلماء واحترامهم.
الآية ترفع من قدر العلماء بالله، وتجعلهم في منزلة عالية .فيجب على المجتمع أن يوقرهم ويحترمهم، وأن يرجع إليهم في النوازل والفتن .فهم ورثة الأنبياء.

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نكون من العلماء الخاشين؟

· في طلب العلم:
· عندما تتعلم أي علم) طب، هندسة، فيزياء، زراعة(...، انو به أن تتفكر في خلق الله، وأن تخدم به عباد الله .هذا يحول تعلمك إلى عبادة.
· لا تكتفِ بالعلوم الدنيوية فقط .اجعل لك نصيبًا وافرًا من العلم الشرعي الذي يعرفك بربك ودينك.
· في التأمل اليومي:
· خذ دقائق من يومك لتتأمل في شيء من خلق الله: زهرة في حديقتك، لون السماء عند الغروب، طعامك على المائدة، وجوه أبنائك .قل بقلبك: "سبحان الله الذي خلق هذا فأبدعه".
· هذا التأمل القصير يزيد إيمانك، ويملأ قلبك خشية وشكرًا.
· في تربية الأبناء:
· لا تعلمهم فقط أسماء الأشياء، بل علمهم أن يسألوا: من خلق هذا؟ من الذي جعل ألوانه مختلفة؟
· اربطهم بالله من خلال آياته الكونية .هذا يبني فيهم إيمانًا فطريًا راسخًا.

**عرض النفس على الآيتين: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الرؤية: هل أنا ممن يرون آيات الله في الكون ويتفكرون فيها؟ أم أني أمر عليها غافلا ً؟
· سؤال العلم: هل علمي يقودني إلى خشية الله، أم أنه مجرد معلومات جافة؟ هل أنا من "العلماء" الذين تمدحهم الآية؟
· سؤال الخشية: هل في قلبي خشية من الله؟ بماذا أعرف ذلك؟ هل تمنعني خشية الله من معصيته في الخلوات؟
· سؤال التواضع: هل أشعر بالتواضع لله عندما أرى عظمة خلقه؟ أم أني أغتر بعلمي القليل؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيتين؟

اجعل هاتين الآيتين شعارًا لك في علاقتك بالكون وخالق الكون:

· انظر حولك بعين المتأمل، لا بعين الغافل.
· اطلب العلم لتزداد بخشية الله، لا لتتكبر به على عباد الله.

· كن من العلماء الذين يخشون الله، فذلك أشرف مقام وأعلى وسام.

أيها المؤمن:
إن الله قد نشر لك آياته في الآفاق والأنفس .في كل ورقة شجرة آية، وفي كل قطرة مطر آية، وفي كل لون من ألوان الزهور والجبال آية .هذه الآيات كلها تدلك على وحدانية الله، و قدرته، و حكمته . فاقرأ هذا الكتاب المفتوح، واجعل منه زادًا لقلبك، لتكون من العلماء الخاشعين، الذين هم ورثة الأنبياء ، وأحباب الله .فوالله ما أعطي عبد عطاء خيرًا من علم يقوده إلى خشية الله.
ثانيا
أيها التاجر الذكي، ويا من تبحث عن تجارة لا تبور، ويا من تريد أن تستثمر عمرك فيما يبقى لا فيما يفنى، تعالَ بقلبك المتاجر مع الله، وعقلك المدرك لقوانين الربح والخسارة، لنجلس معًا في رحاب آيتين كريمتين، تفتحان لك سوق التجارة الرابحة، وتدلانك على أفضل استثمار في الحياة، وتكشفان لك عن صفقة العمر التي لا خسارة فيها ولا كساد.

بعد أن عشنا مع آيات التأمل في خلق الله، ومع صفات العلماء الخاشعين، تأتي هاتان الآيتان لتخبرانا عن ثمرة هذا العلم وهذه الخشية، وعن الأعمال التي ترفع أصحابها إلى مقامات الربح الدائم .إنهما آيتان ترسمان صورة التاجر المؤمن الذي باع نفسه وماله لله، واشترى الجنة ورضوانه .إنها تجارة لن تخسر أبدًا، لأن المتعاقد معها هو الله الغني الحميد.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

·{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29)لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ(30) }· فاطر:29 -[30

**الرابط المحكم بين الآيات: من خشية العلماء إلى تجارتهم الرابحة

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب:

.1الآية(28) : خُتمت بقوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" .هؤلاء هم صفوة الخلق، الذين عرفوا الله حق معرفته فخشوه.
.2الآيتان29) -(30: تأتيان لتصفا أعمال هؤلاء العلماء الخاشعين، ولتعلنا عن الجزاء العظيم الذي ينتظرهم .وكأنهما تقولان: هؤلاء العلماء الخاشعون، ماذا يفعلون بعد أن عرفوا الله وخشوه؟ إنهم يتلون كتابه، ويقيمون صلاته، وينفقون من رزقه .وهم في ذلك كله يرجون تجارة لن تبور.

فالرابط واضح: العلم بـالله والخشية منه يقودان إلى العمل الصالح) تلاوة، صلاة، إنفاق(، وهذا العمل الصالح هو بمثابة تجارة رابحة مع الله.

**تفصيل دلالات الآيتين وألفاظهما: صورة التاجر الرباني

لنقف مع كل لفظة من لفظات هاتين الآيتين الكريمتين، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

الآية(29) : ·{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ}·

· "إِنَّ": للتوكيد .فـالله يؤكد على عظيم شأن هؤلاء وجزيل ثوابهم.
· "الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ":
· "يَتْلُونَ": فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد .فهم دائمًا مع كتاب الله، لا يهجرونه ولا يغفلون عنه.
· "كِتَابَ اللهِ": القرآن الكريم .وتلاوته تشمل التلاوة اللفظية) القراءة المجردة (والتلاوة الحقيقية) الا تباع والعمل .(فالمؤمن الحق يقرأ القرآن ويتدبره ويعمل به .هذه هي الصفقة الأولى في تجارتهم مع الله.
· "وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ": إقامة الصلاة هي أداؤها في أوقاتها، كاملة الأركان والشروط، بخشوع وحضور قلب . الصلاة هي صلة العبد بربه، وهي رأس مال التجارة مع الله .من أقام الصلاة فقد أقام دينه.
· "وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ":
· "أَنفَقُوا": الإنفاق في وجوه الخير) الزكاة، الصدقات، النفقة على الأهل، الجهاد.(
· "مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ": إضافة الرزق إلى الله "رزقناهم" يذكرهم بأن المال مال الله، وأنهم مستخلفون فيه .

وهذا يسهل عليهم الإنفاق .فهم ينفقون من مال الله في سبيل الله.
· "سِرًّا وَعَلَانِيَةً": شمول الإنفاق لكل الأحوال .فمنهم من ينفق سرًا إخلاصًا لله وبُعدًا عن الرياء، ومنهم من ينفق علانية ليكون قدوة ويشجع غيره .وكلا الأمرين خير إذا صحت النية.
· "يَرْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ":
· "يَرْجُونَ": يعبر عن الأمل والطمع في فضل الله .فهم يقدمون هذه الأعمال وهم واثقون بوعد الله، طامعون في كرمه.
· "تِجَارَةً": تشبيه بليغ .فالله سبحانه شبه الأعمال الصالحة بالتجارة .والتاجر يدفع رأس مال)الوقت، الجهد، المال (ليحصل على ربح) الدنيا .(لكن تجارة الدنيا معرضة للبوار) الكساد والخسارة .(أما هذه التجارة فهي "لَن تَبُورَ" .."لن" تفيد النفي المؤبد في المستقبل .أي أنها تجارة مضمونة الربح، لا كساد فيها ولا خسارة، لأن صاحبها يتاجر مع أكرم الأكرمين الذي لا يخلف وعده.
· من هو التاجر الذكي؟ هو من استثمر عمره وماله في تجارة الآخرة، لأنها التجارة الوحيدة التي لا تبور .قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"] الصف:.[10

الآية(30) : ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

· "لِيُوَفِّيَهُمْ": لام التعليل .أي أن رجاءهم لهذه التجارة سببه أنهم يريدون من الله أن يوفيهم أجورهم.
· "أُجُورَهُمْ": جمع "أجر" .وهو الثواب المتفق عليه مقابل العمل .فوعد الله عباده بأجور محددة على أعمالهم) الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.(
· "وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ": هنا مكمن الكرم الإلهي .فالله لا يكتفي بتوفية الأجور كاملة، بل يزيدهم من فضله الواسع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .هذه الزيادة هي الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والنظر إلى وجهه الكريم .إنها أرباح تفوق كل تصور.
· "إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ":
· "غَفُورٌ": كثير المغفرة للذنوب والتقصير .فهو يغفر لهم ما وقع منهم من نقص في هذه الأعمال، ويتجاوز عن سيئاتهم .والتاجر مع الله قد يخطئ وقد يقصر، لكن ربه غفور يمحو زلاته.
· "شَكُورٌ": كثير الشكر .وهو من يشكر القليل ويعطي عليه الكثير .فالله سبحانه يقبل العمل اليسير من عبده، ويثيبه عليه الثواب الجزيل .إنه كريم شكور، لا يضيع أجر من أحسن عملا ً.

*مفهوم "التجارة التي لن تبور" ودلالاته التربوية

هذه الآية تقدم لنا مفهومًا فريدًا للاستثمار والتجارة، وهو مفهوم يغير نظرتنا للحياة بالكامل:

.1الدنيا سوق تجارة كبرى:
كل إنسان في هذه الدنيا هو تاجر .هو يبيع عمره وأنفاسه ووقته وماله .السؤال: لمن يبيع؟ وبكم يبيع؟
· الغافل يبيع عمره للدنيا، ويأخذ الثمن قليلا ً من متاع زائل .هذه تجارة تبور وتخسر.
· المؤمن يبيع عمره وماله لله، ويأخذ الثمن الجنة ورضوان الله .هذه هي التجارة التي لن تبور.
.2عناصر التجارة الرابحة) رأس المال + البضاعة + السوق + المشتري(:
· رأس المال: عمرك، وقتك، صحتك، مالك، علمك .كل ما أنعم الله به عليك.
· البضاعة: الأعمال الصالحة: تلاوة القرآن، إقامة الصلاة، الإنفاق في سبيل الله، وكل عمل خير.
· السوق: سوق الدنيا .هنا تتم الصفقات .كل لحظة من عمرك هي فرصة لتقديم بضاعة جديدة.
· المشتري: اللّه سبحانه وتعالى .وهو أكرم المشترين .قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"] التوبة:.[111
.3لماذا هذه التجارة "لن تبور"؟
· لأن المشتري هو اللّه، وهو الغني الحميد الذي لا يخلف وعده، ولا ينقص أجره، بل يزيد من فضله.
· لأن السلعة مضمونة القبول إذا أخلصت فيها النية ووافقت السنة.
· لأن الربح مضمون في الدنيا والآخرة .في الدنيا: الطمأنينة والسكينة والبركة .وفي الآخرة: المغفرة والجنة.
.4كيف نستثمر في هذه التجارة يوميًا؟
· تلاوة القرآن: اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن .لا تقل لا وقت لدي .تاجر الذكاء يقتطع من وقته لاستثماره) .رأس المال: الوقت، البضاعة: تلاوة آية.(
· إقامة الصلاة: حافظ على الصلوات الخمس في وقتها، بخشوع .أضف إليها النوافل) .رأس المال: الوقت والجهد، البضاعة: ركعات وسجدات.(
· الإنفاق: تصدق كل يوم ولو بشيء يسير .أنفق في السر والعلن) .رأس المال: المال، البضاعة:

صدقة.(

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال التاجر الذي يشتري بضاعة من سوقين:
تخيل تاجرًا يريد أن يستثمر ماله .أمامه سوقان:
· السوق الأول: بضاعته فيه معرضة للكساد والتلف، وأرباحه قليلة وغير مضمونة .هذا هو سوق الدنيا.
· السوق الثاني: بضاعته فيه مضمونة الربح، والمشتري هو ملك البلاد نفسه، وهو كريم يعطي أضعاف ما يستحق البائع .هذا هو سوق الآخرة والتجارة مع الله.
التاجر العاقل أين يضع ماله؟ بلا شك في السوق الثاني .فلماذا نضع أعمارنا في سوق الدنيا وننسى سوق الآخرة؟
· مثال الموظف الذي يستثمر راتبه:
موظف يأخذ راتبه) عمره وأيامه .(بعض زملائه يصرفونه في ملذات عابرة) لهو، سهر، غفلة .(هو يصرف جزءًا منه في شراء أسهم في شركة "لن تبور" المساهمة .هذه الأسهم هي: تلاوة قرآن، صلاة نافلة، صدقة .في نهاية الشهر) العمر(، يجد الزملاء أن رصيدهم صفر، بينما هو يجد رصيده من الحسنات قد تضاعف ."وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ"] النحل:.[96
· مثال مزارع يستثمر أرضه:
مزارع عنده أرض) القلب .(يزرعها آخرون بشوك الغفلة والمعاصي) تجارة بور .(وهو يزرعها ببذور الطاعات: التلاوة، الصلاة، الإنفاق .في موسم الحصاد) يوم القيامة(، يجد الآخرون حقولهم محترقة)حرور(، ويجد حقله مثمرًا) ظل ظليل .(هذه هي ثمرة التجارة التي لن تبور.

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· استخدام الفعل المضارع "يتلون" و"يرجون": للدلالة على التجدد والاستمرار .فالتاجر مع الله لا يكل ولا يمل، بل هو في عمل دائم.
· المقابلة بين "سرًا وعلانية": لإظهار أن الإنفاق يشمل كل الحالات، وأن المؤمن ينتهز كل فرصة للخير.
· تشبيه الأعمال الصالحة بالتجارة: استعارة تمثيلية رائعة .فهي تقرب المعنى إلى الأذهان، وتجعلنا ننظر إلى أعمالنا الصالحة على أنها استثمار حقيقي وليس مجرد طقوس.
· وصف التجارة بأنها "لَن تَبُورَ": نفي مؤبد للخسارة .وهذا يعطي المؤمن أمانًا نفسيًا و ثقة مطلقة في وعد الله.
· الجمع بين "يوفيهم" و"يزيدهم": تدرج في الكرم .فالتوفية عدل، والزيادة فضل .والله يجمع لعباده بين العدل والفضل.
· الختام باسمي "غفور شكور": مناسبة عجيبة .فـ "غفور" يغفر التقصير في أداء هذه الأعمال، و "شكور" يشكر على القليل فيعطي الكثير.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نتحول إلى تجار مع الله؟

هاتان الآيتان تقدمان لنا منهجًا متكاملا ً للتحول إلى تجار ربانيين:

· الرسالة الفكرية: إعادة تعريف النجاح والربح.
الآيات تصحح مفهوم الربح والخسارة .الرابح الحقيقي ليس من جمع المال والمنصب، بل من تاجر مع الله فربحت تجارته .هذه النظرة تحرر الإنسان من عبودية المادة وتجعله يتطلع إلى الثراء الروحي والأخروي.
· الرسالة التربوية: التربية على الاستثمار في الباقيات الصالحات.
"المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"] الكهف: .[46هذه الآية تعلمنا أن نستثمر وقتنا وجهدنا في الباقيات، وهي الأعمال الصالحة .فكل عمل لله هو استثمار في بنك الآخرة الذي لا يفلس.
· الرسالة النفسية: الأمل والطمأنينة والثقة بوعد الله.
"يَرْجُونَ" .الرجاء هو قوة دافعة .المؤمن يعمل وهو يرجو رحمة الله وفضله .هذا الرجاء يملأ قلبه طمأنينة ويمنحه أملًا في مستقبل مشرق في الدنيا والآخرة .إنه يعلم أن تعبه لن يضيع، لأن المشتري هو "الشكور".
· الرسالة العملية: تحويل كل عمل يومي إلى تجارة مع الله.

الآية تعلمنا كيف نحول أعمالنا اليومية إلى تجارة:
· قراءة القرآن: ليست مجرد عبادة، بل هي استثمار في كسب الحسنات.
· الصلاة: ليست مجرد فروض، بل هي صفقات رابحة مع الله.
· الإنفاق: ليس مجرد خسارة مال، بل هو شراء للجنة.

*"تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نكون من التجار الرابحين؟

· جردة حساب يومية) ميزان التجارة(:
في نهاية كل يوم، اسأل نفسك: كم صفقة رابحة أبرمتها اليوم؟ كم آية تلوها؟ كم ركعة صليتها بخشوع؟ كم درهمًا أنفقت في سبيل الله؟
قارن بين وقتك الذي صرفته في التجارة مع الله، ووقتك الذي صرفته في تجارة الدنيا) الله،و وسائل التواصل .(...هل أنت رابح أم خاسر؟
· خطة عمل أسبوعية) محفظة استثمارية(:
· حدد وردًا يوميًا من القرآن) تلاوة وتدبر.(
· حافظ على الصلوات في وقتها، وأضف ركعتي الضحى أو قيام الليل.
· خصص مبلغًا يوميًا أو أسبوعيًا للصدقة، ولو كان يسيرًا .اجعل لك صدقة سر وصدقة علن.
· استثمر علمك ووقتك في خدمة الآخرين.
· في التعامل مع الأزمات المالية:
عندما تشعر بضيق في الرزق، لا تقطع تجارتك مع الله .بل زِدْ في إنفاقك .تذكر أنك تتاجر مع "الشكور" الذي يخلف على المنفقين ."وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"] سبأ:.[39
· في تربية الأبناء:
علمهم مفهوم التجارة مع الله منذ الصغر .عندما يعملون عملًا صالحًا، قل لهم: لقد ربحتم صفقة اليوم .اجعل لهم حصالات للصدقة، ودفاتر لتسجيل الحسنات .هذا يغرس فيهم حب الخير والمنافسة فيه.

**عرض النفس على الآيتين: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال التلاوة: كم هو نصيبي اليومي من تلاوة كتاب الله؟ هل هي مجرد قراءة هذرمة، أم هي تلا وة بتدبر وعمل؟
· سؤال الصلاة: هل أقمت الصلاة حقًا؟ هل هي عماد حياتي، أم أنها مجرد حركات أؤديها؟
· سؤال الإنفاق: كم أنفقت اليوم مما رزقني الله؟ هل أنفقت في السر والعلن؟ هل أنا بخيل على نفسي في تجارتي مع الله؟
· سؤال التجارة: هل أنا واثق من أن تجارتي مع الله لن تبور؟ هل هذا اليقين يدفعني للمزيد من الا ستثمار في الآخرة؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيتين؟

اجعل هاتين الآيتين عقد تجارتك مع الله:

· كل صباح: جدد نيتك أن تكون أعمالك اليوم تجارة مع الله.
· كل تلاوة: استحضر أنك تستثمر في كلمات الله.
· كل صلاة: تذكر أنك تقف بين يدي المشتري الأكرم.
· كل صدقة: تخيل أنك تقدم قسطًا لشراء قصر في الجنة.

أيها التاجر الرباني:
لقد فتح الله لك سوقًا لا يغلق، وعرض عليك تجارة لا تبور .المشتري هو الله، والثمن هو الجنة، ورأس المال هو عمرك الذي بين يديك .فلا تفرط في لحظة من عمرك، ولا تحتقر حسنة صغيرة .
واجعل من هذه الآيتين دستورًا لحياتك، لتكون من الفائزين الذين قال الله فيهم: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا"] الانشقاق:7 -.[9

القسم الرابع
اولا

أيها المؤمن بالكتاب، ويا من تتوق نفسك إلى معرفة حقيقة القرآن ومكانته، ويا من تتساءل عن موقعك بين حاملي هذا الكتاب العظيم، تعالَ بقلبك الخاشع وعقلك المتدبر، لنجلس معًا في رحاب آيتين كريمتين، تضعانا أمام حقيقة الوحي، وتكشفان لنا عن أصناف الأمة التي ورثت هذا الكتاب،

وتفتحان لنا باب الأمل والمنافسة في آن واحد.

بعد أن عشنا مع التجارة الرابحة التي لن تبور، والتي يقوم بها عباد الله الذين يتلون كتابه ويقيمون صلاته وينفقون، تأتي هاتان الآيتان لتؤكدا على أصل هذه التجارة ورأس مالها: إنه الكتاب، القرآن الكريم، الذي هو الحق المصدق لما قبله .ثم تنتقلان إلى بيان أن هذه الأمة قد ورثت هذا الكتاب، ثم تقسّم الورثة إلى ثلاثة أصناف، ليس لتحبط أحدًا، بل لتحفز الجميع على الترقي في مراتب القرب من الله.

إنها آيات تملأ القلب رجاءً وخوفًا، وتدفع إلى العمل والمنافسة، وتربي في النفس التواضع والشكر.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ(32) ﴾] فاطر:31 -[32

*الرابط المحكم بين الآيات: من صفات التجار إلى حقيقة الكتاب وورثته

تأمل معي هذا الربط القرآني المحكم:

.1الآيتان29) -(30: وصفتا التجار الرابحين الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة وينفقون، ووعدتهم بتجارة لن تبور.
.2الآية(31) : تأتي لتؤكد أن الكتاب الذي يتلونه هو الحق المطلق، المصدق للكتب السماوية السابقة . فهو أصل التجارة وأساسها .فمن تمسك به فاز، ومن أعرض عنه خسر.
.3الآية(32) : تنتقل إلى بيان أن هذه الأمة) أمة محمد ﷺ (قد ورثت هذا الكتاب العظيم، ثم تقسمهم إلى ثلاث مراتب: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات .وكأنها تقول: هؤلاء هم ورثة الكتاب، وكلهم في رحمة الله، لكن درجاتهم تتفاوت بقدر تعاملهم مع هذا الكتاب الذي ورثوه.

وكأن السياق يقول: قد علمتم أن التجارة الرابحة تكون بتلاوة الكتاب والعمل به .فاعلموا أن هذا الكتاب هو الحق الذي لا ريب فيه .وقد ورثتموه أنتم - يا أمة محمد - فضلا ً من الله ورحمة . فانظروا أين أنتم من هذا الميراث العظيم؟ هل أنتم من الظالمين لأنفسهم، أم من المقتصدين، أم من السابقين بالخيرات؟

**تفصيل دلالات الآيتين وألفاظهما: حقيقة الكتاب ومراتب الورثة

لنقف مع كل لفظة من لفظات هاتين الآيتين الكريمتين، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

الآية(31) : ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

· "وَالَّذِي": قسم ضمني .فالله يقسم بالقرآن أنه الحق ."والذي" بمعنى "والله الذي" .وهذا تعظيم لشأن القرآن.
· "أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ": الوحي هو الإعلام السريع الخفي .والله هو الذي أوحى بهذا القرآن إلى النبي ﷺ . فهو ليس من عند محمد، بل هو من عند الله .وهذه هي عصمته و مصدر قوته.
· "مِنَ الْكِتَابِ": "من" هنا للتبعيض، أو لبيان الجنس .أي أن القرآن هو بعض من كتاب الله المطلق)اللوح المحفوظ(، أو هو الكتاب الكامل .وعلى كلا القولين، فهو الكتاب المهيمن.
· "هُوَ الْحَقُّ": جملة مؤكدة بـ "هو" ضمير الفصل .أي أن هذا القرآن هو الحق الثابت الذي لا مرية فيه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .أخباره صدق، وأحكامه عدل، ووعده حق، ووعيده حق.
· "مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ": حال من "الحق" .أي أنه مصدق للكتب السماوية التي سبقته) التوراة والإ نجيل والزبور .(فما جاء فيها من أخبار عن الله والأنبياء واليوم الآخر، يؤيدها القرآن ويصدقها .وهذا دليل على أن مصدر الكتب كلها واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.
· "إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ": تعقيب على حقيقة القرآن وعلاقته بالكتب السابقة.
· "خَبِيرٌ": عليم ببواطن الأمور وأسرارها .يعلم ما في قلوب العباد من إيمان ونفاق، وتصديق وتكذيب.

· "بَصِيرٌ": عليم بظواهر الأمور وأعمالهم .يرى أعمالهم ويحصيها.
· الربط: هذا الختام يربط بين حقيقة الكتاب و أحوال الورثة التي ستأتي في الآية التالية .فالله خبير بصير بعباده، يعلم مراتبهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها .فمن آمن بالكتاب وعمل به، ومن كفر وأعرض، ومن اقتصد، ومن سبق، الكل بعلمه.

الآية(32) : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

· "ثُمَّ": للترتيب الزمني، أو للترتيب في الأهمية .فبعد أن أنزل الله الكتب السابقة، جاء القرآن وورثه الله هذه الأمة.
· "أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ": "الإيراث" هو التمليك بعد السابقين .فالله سبحانه ورث أمة محمد ﷺ هذا القرآن، وجعله باقيًا فيهم إلى يوم القيامة .وهذا تشريف عظيم لهذه الأمة.
· "الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا": "اصطفينا" أي اخترنا وفضلنا .فالله اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأ مم، وخصها بهذا الميراث العظيم .قال تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"] آل عمران: .[110 وهذا الا صطفاء فضل من الله لا بحولنا ولا بقوتنا.
· تقسيم الورثة إلى ثلاثة أصناف:
1. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾:
· "ظَالِمٌ": هو الذي يظلم نفسه بارتكاب المعاصي والتقصير في الواجبات .هو المؤمن العاصي، الذي خلط عملا ً صالحًا وآخر سيئًا .لكنه لم يخرج من دائرة الإيمان، بدليل أنه من جملة "عبادنا" الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب.
· "لِّنَفْسِهِ": تأكيد أن ضرر هذا الظلم عائد عليه وحده، ولا يضر الله شيئًا.
· رسالة الأمل: بدأ الله بهذا الصنف ليبعث الأمل في نفوس العصاة والمقصرين، وألا ييأسوا من رحمة الله .فما دمت من حملة الكتاب ومن أمة محمد، فأنت داخل في هذا الفضل، وباب التوبة مفتوح.
2. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾:
· "مُّقْتَصِدٌ": هو المتوسط الحال .الذي يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات، لكنه لا يكثر من نوافل الطاعات، وقد يقع في بعض المكروهات .هو على صراط مستقيم في أصل دينه، لكنه ليس في الدرجات العلى من المنافسة.
· هذا الصنف هو حال عامة المؤمنين الصالحين، الذين يخافون الله ويتقونه في الجملة.
3. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾:
· "سَابِقٌ": هو المتقدم المسارع في كل خير .إنه الذي لا يكتفي بالواجبات، بل يضيف إليها النوافل والسنن، ويتسابق في ميادين الخير: العلم، الدعوة، الجهاد، الصدقة، الصيام، القيام.
· "بِالْخَيْرَاتِ": الباء للسببية .أي أن سبقهم إنما هو بسبب أعمال الخير التي يقومون بها.
· "بِإِذْنِ اللَّهِ": اعتراف منهم ومن الله بأن هذا السبق لم يكن بحولهم وقوتهم، بل بتوفيق الله وإذنه .وفيه توجيه للسابقين ألا يعجبوا بأنفسهم، بل يشكروا الله على توفيقه.
· ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾:
· "ذَٰلِكَ": إشارة إلى إيراث الكتاب واصطفاء الأمة.
· "الْفَضْلُ الْكَبِيرُ": أي الفضل العظيم الذي لا يوازيه فضل .فمجرد كونك من أمة محمد، ومن حملة كتاب الله، هو أكبر فضل وأعظم نعمة .فاحمد الله عليها.

**دلالات وتوجيهات تربوية من تقسيم الأمة إلى ثلاث فئات

هذا التقسيم القرآني يحمل في طياته كنوزًا تربوية ونفسية عظيمة:

1.زرع الأمل وعدم اليأس:
· بدء الآية بذكر "الظالم لنفسه" قبل المقتصد والسابق، هو بلسم شفاء لقلوب المذنبين .فأنت أيها العاصي، مهما بلغت ذنوبك، ما دمت في دائرة الإيمان، فأنت داخل في هذا الميراث .باب التوبة مفتوح، وربك غفور رحيم .لا تيأس من روح الله.
· هذا التقسيم يمنع التحقير والإقصاء، ويفتح الباب أمام الجميع للترقي والارتقاء.
2.التحفيز على المنافسة والترقي:
· ذكر "السابق بالخيرات" في أعلى المراتب، يحفز المقتصد على أن يزيد من طاعاته ليلحق بـ الراكب، ويحفز الظالم على أن يتوب ويقلع عن ذنوبه ليصبح مقتصدًا على الأقل.
· إنها دعوة إلى التسابق في الخيرات، وإلى عدم الركون إلى حال دون حال.
3.التربية على التواضع وعدم الاغترار:

· تذييل وصف السابق بـ "بِإِذْنِ اللهِ" يربي فيهم التواضع .فهم يعلمون أن ما هم فيه من خير هو فضل وتوفيق من الله، لا بحولهم ولا بقوتهم .فلا يتكبرون على من دونهم.
· كما أن ذكر "الظالم لنفسه" يذكر الجميع بضعفهم البشري، فلا يأمنون على أنفسهم الفتنة.
.4شكر الله على نعمة الاصطفاء والإيراث:
· ختام الآية بـ "ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ" يوجه القلب إلى شكر الله على هذه النعمة العظمى .أن تكون من أمة محمد، ومن حملة القرآن، هذه نعمة تستوجب الشكر الدائم بالقول والعمل.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال ورثة أرض زراعية:
أب غني ورث أبناءه الثلاثة أرضًا زراعية خصبة) القرآن.(
· الابن الأول) الظالم لنفسه(: يهمل أرضه، لا يسقيها ولا ينظفها، فتقل إنتاجيتها، لكنه لا يبيعها.
· الابن الثاني) المقتصد(: يسقي أرضه في مواعيدها، ويزيل عنها الحشائش، فيحصل على محصول طيب يكفيه.
· الابن الثالث) السابق(: لا يكتفي بذلك، بل يبحث عن أفضل البذور، وأحدث طرق الري، ويزرع مساحات إضافية، فيحصل على محصول وفير يزيد عن حاجته فيتصدق به.
الكل ورثوا الأرض، لكن تعاملهم مع الميراث اختلف، فاختلفت مراتبهم .هذا هو حالنا مع القرآن.
· مثال طلاب في فصل دراسي:
معلم واحد، وكتاب واحد.
· طالب) ظالم لنفسه(: يهمل دروسه، وقد يغش في الامتحانات .هو في الفصل، لكنه لا يستفيد.
· طالب) مقتصد(: يذاكر دروسه أولا ً بأول، ويؤدي واجباته، وينجح بتقدير متوسط.
· طالب) سابق(: يذاكر أكثر من المطلوب، ويبحث في المراجع، ويسأل المعلم، فيتفوق بتقدير ممتاز.
الكل في الفصل، لكن الهمة والعمل يفرقان.

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· استخدام ضمير العظمة "أوحينا" و"أورثنا" و"اصطفينا": يضفي على الآيتين جلالا ً وهيبة، ويؤكد أن الأمر كله بيد الله وفضله.
· تأكيد الحق بـ "هو الحق": ضمير الفصل يفيد التوكيد والقصر .فالقرآن هو الحق الذي لا يشوبه باطل.
· تقسيم الورثة بـ "فمنهم ...ومنهم ...ومنهم": أسلوب تقسيم وتفصيل بديع، يجعل الصورة واضحة في الذهن، ويدفع كل فرد إلى تحديد موقعه بنفسه.
· تقديم "الظالم" في الذكر: لحكمة تربوية عظيمة، وهي إدخال الأمل على قلوب المذنبين، وبيان سعة رحمة الله.
· ختام الآية بـ "الفضل الكبير": تنبيه على عظم النعمة، وحث على شكرها.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نتعامل مع تقسيم الآية؟

هاتان الآيتان تقدمان لنا منهجًا نفسيًا وتربويًا في التعامل مع الذات ومع الآخرين:

· الرسالة الفكرية: فهم مكانة هذه الأمة ومسؤوليتها.
الأمة التي ورثت الكتاب هي أمة مصطفاة، وهذا الاصطفاء ليس تشريفًا فحسب، بل هو تكليف ومسؤولية .مسؤولية حمل الكتاب والعمل به وتبليغه للعالمين ."لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس"] الحج:.[78
· الرسالة التربوية: تحديد الموقع الشخصي ورسم خطة للترقي.
على كل مسلم أن يقف مع نفسه ويسألها: أين أنا من هذه المراتب؟ هل أنا من الظالمين لأنفسهم؟ فليبادر بالتوبة .هل أنا من المقتصدين؟ فليجاهد نفسه ليلحق بالسابقين .هل أنا من السابقين؟ فليحمد الله وليستمر وليتواضع.
· الرسالة النفسية: التوازن بين الخوف والرجاء.
الآية تجمع بين الخوف) للظالم (والرجاء) للجميع .(فالظالم يخاف على نفسه من عذاب الله، لكنه يرجو رحمته .والمقتصد والسابق يرجون ثواب الله، ويخافون من التقصير .هذا التوازن هو سر العبودية الحقة.
· الرسالة الاجتماعية: التعامل مع الآخرين برحمة وإنصاف.
هذا التقسيم يعلمنا ألا نحكم على الآخرين بالهلاك أو بالنجاة .فكل هذه الأصناف في دائرة الإسلام . علينا أن ننصح الظالم برفق، ونشجع المقتصد، ونقتدي بالسابق .ولا نحتقر أحدًا، فالقلوب بيد الله.

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: أين موقعنا وكيف نرتقي؟

· جردة حساب) حدد موقعك(:
· هل أنا ظالم لنفسي؟ إذا كنت أتساهل في أداء الصلوات، أو أقع في معاصي اللسان) غيبة، نميمة، كذب(، أو أظلم غيري، أو أمنع حق الله في مالي ...فأنا ظالم لنفسي.
· هل أنا مقتصد؟ إذا كنت أحافظ على الفرائض، وأجتنب الكبائر، وأؤدي الحقوق الواجبة، لكني لا أجتهد في النوافل) قيام ليل، صيام تطوع، صدقات مستمرة، طلب علم شرعي ...(فأنا مقتصد.
· هل أنا سابق بالخيرات؟ إذا كنت بجانب ما سبق، أحرص على النوافل، وأتسابق في أبواب الخير، وأجعل لي وردًا من القرآن والذكر، وأسعى لخدمة المسلمين ...فأنا من السابقين) أسأل الله الثبات.(
· خطة عملية للترقي:
· للظالم: التوبة النصوح هي الخطوة الأولى .الإقلاع عن الذنب فورًا، والعزم على عدم العودة، و الندم عليه .ثم البدء بالمحافظة على الفرائض.
· للمقتصد: إضافة نافلة واحدة إلى روتينك اليومي: ركعتا ضحى، ورد من القرآن، صدقة يومية ولو بسيطة، كلمة طيبة .حاول أن تزيد تدريجيًا.
· للسابق: شكر الله على توفيقه، والاستمرار والمداومة، وعدم الإعجاب بالنفس، والحرص على تعليم غيره وتحفيزهم.

**عرض النفس على الآيتين: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الإيمان بالكتاب: هل القرآن في حياتي هو "الحق" الذي أرتضيه حكمًا في كل شأني؟ أم هو مجرد كتاب للبركة والتلاوة دون عمل؟
· سؤال شكر النعمة: هل أشكر الله على نعمة أن جعلني من أمة محمد ومن حملة القرآن؟ وكيف أشكره؟ هل بالقول فقط أم بالعمل والاتباع؟
· سؤال الموقع: بعد هذا البيان، أين أجد نفسي في هذه المراتب الثلاث؟ هل أنا راضٍ عن موقعي؟ أم أن لي همة للارتقاء؟
· سؤال التعامل مع الآخرين: كيف أنظر إلى العاصي من المسلمين؟ هل أنظر إليه بعين الرحمة و النصح، أم بعين الاحتقار والإقصاء؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيتين؟

اجعل هاتين الآيتين ميزانًا تقيم به نفسك، وبوصلة تحدد بها اتجاهك:

· في كل صباح: احمد الله على فضله الكبير أن جعلك من هذه الأمة.
· في كل عمل: تذكر أنك من حملة الكتاب، فليكن عملك موافقًا لهديه.
· إذا زلت قدمك: تذكر أنك من جملة "الظالمين لأنفسهم"، ولا تيأس، وعد إلى الله.
· إذا أحسنت: تذكر أن هذا بإذن الله وتوفيقه، ولا تعجب بنفسك، واسعَ للمزيد.

أيها المؤمن:
لقد أكرمك الله بأن ورثك كتابه، وجعلك من أمة محمد ﷺ .وهذا الفضل الكبير يقتضي منك شكرًا كبيرًا، وعملا ً دؤوبًا .لا تنظر إلى من هو دونك فتحتقرهم، ولا إلى من هو فوقك فتحسدهم .بل انظر إلى الكتاب الذي بين يديك، واجعل لنفسك فيه مراتب، واسعَ أن تكون من السابقين بالخيرات بإذن الله .فإن لم تستطع، فكن من المقتصدين .وإياك أن تبقى في دائرة الظالمين لنفسك بعد أن سمعت هذا النداء.

ثانيا
أيها المشتاق إلى رحمة الله، ويا من يتعب من نصب الدنيا ولغوبها، ويا من يرجو يومًا تذهب فيه الأ حزان وتبدل السيئات حسنات، تعالَ بقلبك الظامئ إلى السكينة، وبروحك المتطلعة إلى دار القرار، لنجلس معًا في رحاب ثلاث آيات كريمات، يفتح الله فيها نوافذ الجنة، ويُسمعنا أناشيد أهلها، ويرسم لنا مشهد النعيم المقيم الذي ينتظر عباده الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب.

بعد أن قسم الله عباده الورثة للكتاب إلى ثلاث مراتب، وبيّن فضله الكبير عليهم، تأتي هذه الآيات لتصف مصير هؤلاء المصطفين، ولتكشف عن حقيقة الجزاء الذي أعده الله لهم .إنها آيات لا تتحدث عن الجنة فحسب، بل تدخلك إليها، وتلبسك حللها، وتسمعك حمد أهلها، وتذيقك برد اليقين بأن الحزن قد ذهب، وأن دار المقامة قد حلت.

إنها دعوة للعمل من أجل هذا المصير، وللصبر على نصب الدنيا في سبيل راحة الآخرة.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ(35) ﴾ فاطر:33 -[35

**الرابط المحكم بين الآيات: من مراتب الورثة إلى مقر النعيم

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع:

1.الآية(32) : خُتمت بقوله تعالى: "ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ" .وهو فضل إيراث الكتاب والاصطفاء.
2.الآيات33) -(35: تأتي لتكشف عن ثمرة هذا الفضل وجزاء أهله .إنها تنتقل من فضل الإيراث إلى فضل الإيراث في الجنة .فكما ورثوا الكتاب في الدنيا، سيرثون جنات عدن في الآخرة.

وكأن السياق يقول: هؤلاء الذين اصطفيناهم وورثناهم الكتاب، ليس جزاؤهم مقصورًا على شرف الدنيا ، بل لهم في الآخرة جنات عدن يدخلونها، مزينين بالذهب واللؤلؤ والحرير، خالدين فيها، وقد أذهب الله عنهم كل حزن، وأراحهم من كل نصب ولغوب .فهذا هو الفضل الكبير حقًا.

**تفصيل دلالات الآيات وألفاظها: مشهد من النعيم الخالد

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآيات الكريمة، لنعيش بقلوبنا في رحاب الجنة قبل أن ندخلها بأعمالنا:

الآية(33) : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

· "جَنَّاتُ عَدْنٍ": "عدن" من الإقامة والدوام .فهي جنات إقامة دائمة، لا خروج منها ولا فناء .ولفظ "جنات" جمع، يدل على سعتها وتعدد أنواعها.
· "يَدْخُلُونَهَا": فعل مضارع يدل على الاستقبال والتحقق .إنه وعد من الله سيتحقق يقينًا .والدخول هنا دخول المكرمين، لا دخول الزائرين.
· "يُحَلَّوْنَ": أي يُزيّنون ويُلبسون الحلي .وهو مبني للمجهول، فالملائكة هي التي تتولى تحليتهم بأمر الله.
· "مِنْ أَسَاوِرَ": "أساور" جمع "أسورة" وهي جمع "سوار" .وهو ما يلبس في المعصم من حلية .و"من" للتبعيض، أي أنهم يحلون ببعض الأساور، فكيف بكل ما أعده الله لهم!
· "مِن ذَهَبٍ": بيان لمادة الأساور .والذهب من أثمن المعادن وأجملها.
· "وَلُؤْلُؤًا": عطف على "أساور" .واللؤلؤ من أغلى الجواهر وأشدها بهاءً .وتنكيره يفيد تعظيمه.
· "وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ": الحرير من أفخر أنواع الأقمشة، وأكثرها نعومة وراحة .وقد حُرم لبسه على الرجال في الدنيا اختبارًا، ليكون جزاءً خاصًا في الآخرة.

المشهد الأول: تخيل نفسك أيها المؤمن، وأنت تدخل هذه الجنان، فتُستقبل استقبال الملوك .تُحلى بأغلى الحلي، وتكسى أفخر الثياب .إنه تكريم إلهي لا مثيل له .هذه الزينة التي حرمت في الدنيا لحكمة، صارت لك حلالا ً طيبًا في دار الكرامة.

الآية(34) : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

· "وَقَالُوا": بعد أن دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من نعيم، عبروا عن فرحتهم وشكرهم بهذه الكلمات .إنه حمد أهل الجنة.
· "الْحَمْدُ لِلَّهِ": هو الثناء على الله بصفات الكمال والجلال، مع المحبة والتعظيم.
· "الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ": هذا هو سبب الحمد الأعظم .الحزن اسم جنس يشمل كل هم وغم وخوف وقلق كانوا يعانونه في الدنيا:
· حزن الموت وما بعده.
· حزن الفقر والمرض.
· حزن فراق الأحبة.
· حزن الخوف من العذاب.

· حزن تقصيرهم في طاعة الله.
· كل حزن يخطر على قلب بشر، قد أذهبه الله عنهم تمامًا ."أذهب" تفيد الإزالة الكاملة، فلم يبق للحزن أثر.
· "إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ": هذا تعليل لما سبق .فالله غفور، غفر لهم ذنوبهم فلم يعاقبهم .وهو شكور، شكر لهم أعمالهم القليلة فأثابهم هذا الثواب العظيم .و"إنّ" واللام في "لغفور" لتوكيد هذه الحقيقة.

المشهد الثاني: اسمع إلى أصوات أهل الجنة وهم يلهجون بالحمد .إنهم لا يحمدون الله على الذهب و الحرير فحسب، بل على إذهاب الحزن .فكم من ليالٍ قضوها في الدنيا يبكون من خوف أو وجل! وكم من ساعات أثقلتهم الهموم! لقد انتهى كل ذلك .لم يبق إلا الفرح الدائم .إنها لحظة التحرر المطلق من كل ما يكدر الصفو.

الآية(35) : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾

· "الَّذِي أَحَلَّنَا": استمرار في وصف الله وشكره .فهو الذي أنزلهم هذا المنزل الكريم.
· "دَارَ الْمُقَامَةِ": أي دار الإقامة الدائمة الأبدية، التي لا ظعن فيها ولا رحيل .سميت "دار المقامة" لأنها مستقرهم الأخير.
· "مِن فَضْلِهِ": اعتراف من أهل الجنة بأن دخولهم الجنة لم يكن بأعمالهم فقط، بل هو فضل من الله ورحمة .قال ﷺ: "لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ" .قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ") متفق عليه .(فهذا تعليم للمؤمن ألا يغتر بعمله، بل يشكر فضل ربه.
· "لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ": "النصب" هو التعب والإعياء .أي لا يمسهم فيها أدنى تعب.
· "وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ": "اللغوب" هو الفتور والضعف الناتج عن التعب .فبعد أن نفوا التعب، نفوا النتيجة المترتبة عليه.

المشهد الثالث: بعد أن أخبروا بذهاب الحزن، أخبروا بذهاب التعب .ففي الدنيا، الإنسان في كدح ونصب: يعمل، يكد، يمرض، يشيخ، يضعف .أما في الجنة، فقد انتهى كل هذا .إنها دار الراحة المطلقة . لا تعب في الأبدان، ولا فتور في القوى .شباب دائم، وصحة دائمة، ونشاط دائم بلا ملل.

**لماذا هذا الوصف التفصيلي للجنة؟) دلالات تربوية(

القرآن الكريم يصف الجنة وأهلها بهذا التفصيل البديع لأهداف تربوية عظيمة:

.1ترسيخ الإيمان بالغيب:
الجنة ونعيمها من الغيب الذي يجب الإيمان به .وكلما كان الوصف أوضح وأدق، ازداد اليقين في القلب .فأنت تقرأ هذه الآيات وكأنك ترى المشاهد أمامك، فيشتاق قلبك إليها.
.2الترغيب في العمل الصالح:
عرض الثمن المغري هو أقوى حافز للعمل .عندما تقرأ عن جنات عدن وأساور الذهب والحرير وذهاب الحزن والنصب، تزداد همتك للعمل والاجتهاد في طاعة الله، لتكون من أهل هذا النعيم.
.3التربية على الصبر في الدنيا:
عندما تعلم أن تعب الدنيا ونصبها سينتهي، وأن حزنها سيزول، فإنك تصبر على ابتلاءاتها .تعلم أن ما ينتظرك في الآخرة هو الراحة الأبدية، فيهون عليك ما تجده من مشقة.
.4التربية على الشكر:
عندما ترى كيف يحمد أهل الجنة ربهم، تتعلم أنت في الدنيا أن تشكر الله على نعمه .وحمد أهل الجنة على إذهاب الحزن يعلمك أن تشكر الله في الدنيا على كل لحظة يزيل فيها همك أو يكشف فيها كربك.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال العامل الذي ينتظر يوم الراحة:
عامل يتعب طوال الأسبوع في عمله الشاق .طوال الأسبوع وهو يفكر في يوم الإجازة الذي سيخلد فيه إلى الراحة .هذا الأمل هو ما يهون عليه تعب العمل .الدنيا كلها هي أسبوع العمل، والآخرة هي يوم الإجازة الأبدية ."لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا لُغُوبٌ".
· مثال المسافر في طريق وعر:
مسافر يسير في طريق طويل، مليء بالوعورة والتعب والعطش .طوال الطريق وهو يتخيل الواحة الخضراء التي سينزل فيها في نهاية الرحلة .هذا الخيال هو ما يجعله يتحمل المشاق .نحن في سفر الدنيا، والجنة هي الواحة الخضراء التي ننتظرها ."جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا".

· مثال المريض الذي ينتظر الشفاء:
مريض يعاني من ألم مزمن .كل ليلة يذهب إلى فراشه وهو يأمل في يوم الشفاء الذي يذهب فيه الألم .في الجنة، يأتي الشفاء الأبدي ."الحَمْدُ لِلهِ الذِي أذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ" .كل حزن، وكل ألم، وكل هم، قد ذهب بلا رجعة.

*" لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· استخدام الفعل المضارع "يدخلونها" و"يحلون": يفيد التجدد والاستمرار .فهم يدخلونها دخولا ً يتجدد عليهم فيه النعيم، ويحلون باستمرار .إنها عملية دائمة.
· بناء الفعل للمجهول "يحلون": للدلالة على عظمة المُحلِي) الملائكة بأمر الله (وإكرام المُحلى) المؤمن .(فهو لا يسعى لتحصيل الحلي، بل يُؤتى به إليه إكرامًا.
· المقابلة بين حال الدنيا وحال الآخرة:
· في الدنيا: حزن، نصب، لغوب، حرمان من بعض الزينة.
· في الآخرة: ذهاب الحزن، راحة من النصب واللغوب، تحلية بالذهب واللؤلؤ والحرير.
· هذه المقابلة تظهر الفرق العظيم، وتجعل المؤمن يختار الآخرة على الدنيا.
· حمد أهل الجنة: تصوير رائع لمشاعرهم .إنهم لا يملون من حمد الله وشكره .وهذا يعكس رضاهم التام و سعادتهم الكاملة.
· تأكيد النفي بـ "لا يمسنا ...ولا يمسنا": "مس" هو أدنى درجات اللمس .فهم لا يمسهم أدنى نصب و لا أدنى لغوب .إنها راحة مطلقة.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نبني أمل الجنة في قلوبنا؟

هذه الآيات تقدم لنا منهجًا عمليًا لبناء الأمل واليقين بالجنة:

· الرسالة الفكرية: فهم حقيقة الدنيا والآخرة.
الدنيا دار نصب وحزن، والآخرة دار راحة وفرح .هذا الفهم يجعلك لا تتعلق بالدنيا، ولا تغتر بزينتها ، بل تعمل لها على قدر بقائك فيها، وتعمل لآخرتك على قدر بقائك فيها.
· الرسالة التربوية: التربية على الصبر والرضا.
إذا أدركت أن كل تعب في طاعة الله، وكل حزن على تقصير، وكل نصب في سبيل الخير، سينتهي ويزول، فإنك تصبر و ترضى .وتعلم أن الله "غفور شكور" سيجازيك أضعاف ما تحملت.
· الرسالة النفسية: الأمل كقوة دافعة.
"الحَمْدُ لِلهِ الذِي أذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ" .ترديد هذه الآية، واستحضار أن هذا اليوم آتٍ، يمنحك قوة نفسية هائلة لتتجاوز محن الدنيا .إنه أمل لا يخيب.
· الرسالة العملية: شكر الله في الدنيا على نعم الآخرة.
أنت لم تدخل الجنة بعد، لكنك تستطيع أن تشكر الله في الدنيا على أنه وعدك بها، وعلى أنه أهلك لأن تكون من أهلها .احمد الله أن جعلك مسلمًا، وأن وفقك للطاعات، فإن هذا الحمد هو من أعظم أسباب دخول الجنة.

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نعيش نعيم الجنة في قلوبنا؟

· عند كل تعب أو حزن:
عندما تشعر بالتعب في عملك، أو بالحزن على أمر فات، تذكر هذه الآيات .قل لنفسك: "هذا النصب سيزول .هذا الحزن سيذهب .إنما هي أيام ونمضي إلى دار المقامة التي لا نصب فيها ولا لغوب" .هذا الاستحضار يحول الألم إلى أمل.
· عند التفكير في المستقبل:
بدل أن تقلق على مستقبلك في الدنيا، فكر في مستقبلك في الآخرة .خطط للجنة .ما الذي سأفعله اليوم لأكون من أهل جنات عدن؟ هذا التخطيط يعطي لحياتك معنى وهدفًا ساميًا.
· في الدعاء:
أكثر من الدعاء بأن يجعلك الله من أهل هذه الجنان .قل: "اللهم إني أسألك جنات عدن، وأسألك أن تذهب عني الحزن، وأن تحلني دار المقامة من فضلك".

**عرض النفس على الآيات: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الشوق: هل قلبي مشتاق حقًا إلى جنات عدن وإلى راحة الآخرة؟ أم أن الدنيا قد ملأت قلبي وأذهلتني عن الآخرة؟

· سؤال العمل: ما هو العمل الذي أعمله اليوم لأكون من أهل هذه الجنان؟ هل أنا من السابقين بـ الخيرات، أم من المقتصدين، أم لا أزال في دائرة الظالمين؟
· سؤال الصبر: هل أستعين بهذه الآيات على الصبر على نصب الدنيا ولغوبها؟ أم أني أتضجر وأتذمر عند أول امتحان؟
· سؤال الحمد: هل ألهج لساني بحمد الله على وعده بالجنة، كما يحمده أهل الجنة؟ هل أنا من الشاكرين؟
**خلاصة: كيف نعيش الآيات؟

اجعل هذه الآيات رفيقة دربك في هذه الحياة:

· كلما ضاقت بك الدنيا: افتح المصحف واقرأ هذه الآيات، وتخيل نفسك في جنات عدن، وقد أذهب الله عنك الحزن .ستنفرج أساريرك، وتهدأ نفسك.
· كلما شعرت بالكسل عن الطاعة: تذكر أساور الذهب واللؤلؤ والحرير التي تنتظرك .تذكر دار المقامة . ستنشط همتك.
· كل ليلة قبل النوم: احمد الله على نعمة الإسلام، واجعله من آخر ما تقول: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله".

أيها المؤمن:
إن ربك قد أعد لك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .ووعدك بـ جنات عدن، وبـ إذهاب الحزن، وبـ دار المقامة .فلا تبع هذا النعيم الخالد بمتاع الدنيا الزائل .اصبر على نصبها، وتجاوز حزنها، واعمل لآخرتك، حتى تكون من أهل هذه الجنان، فتقول مع أهلها: "الحَمْدُ لِلّهِ الذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ ۖ إِنّ رَبّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ".
ثالثا

أيها العاقل، ويا من سمعت وصف جنات النعيم فاشتاقت نفسك إليها، ويا من تخشى من سوء المصير وترهب من عذاب السعير، تعالَ بقلبك الوجل، وعقلك المتدبر، لنجلس معًا في رحاب ثلاث آيات كريمات، يرسم الله فيهن المشهد الآخر من مشاهد يوم القيامة .بعد أن رأينا مصير السعداء في جنات عدن، حان الوقت لنرى مصير الأشقياء الذين أعرضوا عن آيات الله وكذبوا رسله .إنه مشهد يهز القلوب، ويوقظ الضمائر، ويدفع إلى العمل قبل فوات الأوان.

إنها آيات تخاطب فينا الخوف والرجاء معًا، وتجعلنا نعيش لحظات الحسرة والندم التي يعيشها الكافرون يوم القيامة، لنأخذ من ذلك عبرة وعظة، ونغير من مسار حياتنا قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَالذِينَ كفرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفّفُ عَنْهُم مّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الذِي كُنّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمّرْكُم مّا يَتَذَكّرُ فِيهِ مَن تَذَكّرَ وَجَاءَكُمُ النّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظّالِمِينَ مِن نّصِيرٍ (37) إِنّ اللّهَ عَالِمُ غَيْبِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ إِنّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ(38) ﴾] فاطر:36 -38[

*الرابط المحكم بين الآيات: من دار المقامة إلى دار العذاب

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع الذي يجمع بين الترغيب والترهيب:

1.الآيات33) -(35: وصفت مصير المؤمنين في جنات عدن، وما فيها من نعيم مقيم، وذهاب للحزن، وراحة من النصب واللغوب .هذا هو مشهد الرجاء.
2.الآيات36) -(38: تأتي لتصف مصير الكافرين في نار جهنم، وما فيها من عذاب دائم، وموت لا يأتي، وحسرة وندم لا ينتهي .هذا هو مشهد الخوف.

وكأن السياق يقول: هذا هو مصير السعداء الذين آمنوا واتقوا، وهذا هو مصير الأشقياء الذين كفروا وكذبوا .فاختاروا لأنفسكم أي الدارين تريدون .إنه أسلوب قرآني عظيم في التربية المتوازنة، التي تجمع بين الترغيب في الجنة والترهيب من النار.

**تفصيل دلالات الآيات وألفاظها: مشهد من العذاب والندم

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآيات الكريمة، لنعيش بقلوبنا هذا المشهد المهيب، ونتعظ به قبل فوات الأوان:

الآية(36) : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

· "وَالَّذِينَ كَفَرُوا": في مقابل "الذين آمنوا" في الآيات السابقة .هذا هو الفريق الثاني من الورثة الذين لم يؤمنوا بالكتاب ولم يعملوا به.
· "لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ": "جهنم" اسم من أسماء النار، يدل على البعد في القعر وشدة العذاب .وهي جزاؤهم العادل على كفرهم.
· "لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا": "القضاء" هنا بمعنى الموت .أي لا يحكم عليهم بالموت، ولا يموتون فيستريحوا .إنهم يتمنون الموت فلا يجدونه .قال تعالى في آية أخرى: "وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ"] الزخرف: .[77 إنه عذاب دائم لا انقطاع له ولا راحة فيه.
· "وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا": ليس فقط لا يموتون، بل لا يخفف عنهم العذاب لحظة واحدة .بل هو عذاب مستمر في شدته وقوته.
· "كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ": هذا هو الجزاء العادل لكل من كفر نعم الله وجحد آياته ."كفور" صيغة مبالغة، تدل على شدة الكفر واستحكامه في القلب.

المشهد الأول: تخيل أيها العاقل، أناسًا في نار مستعرة، يتمنون الموت فلا يجدونه .يصرخون من شدة الألم، فيقال لهم: لا موت لكم .يطلبون تخفيف العذاب، فلا يخفف عنهم .إنه مشهد اليأس المطلق، وانقطاع كل أمل في الخلاص .هذا هو مصير من كفر بالله وكذب رسله.

الآية(37) : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

· "وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا": "يصطرخون" أصلها "يصرخون"، ثم زيدت التاء للمبالغة .أي يصرخون صراخًا شديدًا، ويستغيثون بكل قواهم .إنه صوت مفزع يملأ أرجاء جهنم.
· "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا": نداء إلى الله سبحانه .بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيره ويدعون الأصنام، عادوا الآن إلى الفطرة، ينادون ربهم .لكن هيهات! لقد فات الأوان.
· "نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ": هذا هو الاعتراف بالذنب، والوعد بالتغيير .لقد أقروا بأن أعمالهم كانت سيئة، ووعدوا بالعمل الصالح لو عادوا إلى الدنيا .لكن هذا الاعتراف والوعد في غير محله.
· الرد الإلهي المفحم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾:
· "أَوَلَمْ": استفهام توبيخي .أي ألم نعطكم عمرًا كافيًا؟!
· "نُعَمِّرْكُم": نمد في أعماركم .فقد أعطاهم الله أعمارًا طويلة.
· "مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ": أي عمرًا يكفي لأن يتذكر فيه الغافل، ويتعظ فيه الجاهل، ويتوب فيه المسيء .لقد أعطاهم الله فرصة كافية في الدنيا، فلم يستغلوها.
· ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾:
· "النَّذِيرُ": هو الرسول محمد ﷺ، وهو أيضًا القرآن، وهو كل ما ينذر ويخوف من عذاب الله .لقد قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.
· فلم يبق لهم عذر .أعمارهم كانت كافية، والحجة قامت عليهم .فلماذا يطلبون الرجعة الآن؟
· الختام القاطع: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾:
· "فَذُوقُوا": أمر إهانة وتحقير .ذوقوا العذاب الذي أعددتموه لأنفسكم.
· "فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ": لا ناصر لهم ولا معين يدفع عنهم العذاب .لقد انقطعت بهم الأسباب، وخاب رجاؤهم.

المشهد الثاني: اسمع إلى صراخهم وعويلهم! إنهم يطلبون الرجعة، ويعدون بالصلاح .لكن الرد يأتي من العليم الخبير: لقد أعطيناكم أعمارًا طويلة، وأرسلنا إليكم النذر، فلم تعتبروا .فاليوم لا رجعة ولا نجاة . ذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون .إنه مشهد العدل الإلهي الذي لا يظلم أحدًا.

الآية(38) : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

· "إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ": هذا هو التعقيب المناسب على ما سبق .فالله الذي أخبر بهذا المشهد، وهذه الأقوال التي ستقال في جهنم، هو عالم الغيب كله .فلا يستبعد أحد هذا المصير، ولا يكذب به، فإن الذي أخبر به هو أصدق القائلين.

· "إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ": "ذات الصدور" هي الأسرار الخفية في القلوب، والنيات الدفينة .فـالله يعلم ما أضمروه من كفر وعناد، وما يبطنونه من خبث ونفاق .وهو يعلم أيضًا أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون في وعدهم بالعمل الصالح .قال تعالى: "وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"] الأنعام:.[28

المشهد الثالث: هذا الختام يذكرنا بأن الله مطلع على القلوب .فهو يعلم أن وعودهم كاذبة، وأن ندمهم ليس ندم توبة، بل ندم فوات مصلحة .إنه تذكير للمؤمن أن يصلح سريرته، فإن الله عليم بذات الصدور.

**دلالات تربوية من مشهد عذاب الكافرين

هذا المشهد المهيب يحمل في طياته رسائل تربوية عظيمة للمؤمن:

.1استثمار العمر قبل فوات الأوان:
قوله: "أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ" يذكرنا بأن العمر فرصة .كل يوم يمر من عمرك هو نعمة من الله، فهل استثمرته في التذكر والتوبة والعمل الصالح؟ لا تنتظر أن تصل إلى مرحلة الندم التي لا ينفع فيها الندم .بادر الآن.
.2الاعتبار بالنذر والمواعظ:
قوله: "وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ" يذكرنا بأن الله لم يتركنا هملا ً .القرآن بين أيدينا، وسنة النبي ﷺ، و العلماء والدعاة، كلهم نذر .فهل استجبنا لهم؟ أم أننا نعرض عنهم كما أعرض الكافرون؟
.3خطورة الكفر والجحود:
وصفهم بـ "كفور"، وبيان شدة عذابهم، يحذرنا من الكفر والجحود بنعم الله .فالكفر ليس مجرد عدم إيمان، بل هو جحود وعناد، وجزاؤه عظيم.
.4عدم الاغترار بالدنيا وأمانيها:
الكافرون في النار يطلبون الرجعة ويعدون بالعمل الصالح .هذا يعلمنا ألا نغتر بالأماني الكاذبة . كثير من الناس يقول: "سأتوب غدًا"، "سأعمل صالحًا عندما أكبر" .هذه أماني الشيطان .الموت يأتي بغتة، والندم لا ينفع.
.5مراقبة الله لسرائرنا:
ختام الآيات بقوله: "إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" يدعونا إلى مراقبة الله في السر والعلن .فـالله يعلم ما تخفيه الصدور، فلتكن سريرتك خيرًا من علانيتك.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الطالب الذي رسب في الامتحان:
طالب أهمل دراسته طوال العام، ورسب في الامتحان .بعد ظهور النتيجة، يبكي ويطلب من المدير إعادة الامتحان، ويعد بأنه سيجتهد .لكن المدير يقول له: لقد أعطيتك فرصة عامًا كاملا ً، فلماذا لم تجتهد فيها؟ الآن لا مجال للرجعة .هذا هو حال الكافرين يوم القيامة.
· مثال المريض الذي أهمل العلاج:
مريض أخبره الطبيب بمرضه، وأعطاه وصفة العلاج، وحدد له مواعيد المراجعة .لكنه أهمل ولم يلتزم .عندما اشتد عليه المرض وأشرف على الهلاك، ذهب إلى الطبيب يرجوه أن يعالجه .قال الطبيب: لقد فات الأوان .هذا مثل من لم يستجب للنذير.
· مثال المسافر الذي نام في المحطة:
مسافر كان ينتظر القطار، وقد أُخبر بموعده مرارًا .لكنه نام نومًا عميقًا .عندما استيقظ، وجد القطار قد فاته .صرخ وبكى وطلب أن يعيدوا القطار، لكن لا فائدة .العمر مثل موعد القطار، إذا فات لا يعود.

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· المقابلة بين "جنات عدن" و"نار جهنم": من أروع صور المقابلة في القرآن .فهي تجمع بين الترغيب والترهيب في آن واحد.
· المقابلة بين "لا يمسنا فيها نصب" و"لا يقضى عليهم فيموتوا": فالمؤمن في راحة دائمة من التعب و الموت، والكافر في عذاب دائم لا راحة فيه ولا موت.
· استخدام الفعل المضارع "يصطرخون": يفيد استمرار الصراخ وتجدده .فالعذاب يتجدد، والصراخ يتجدد.

· أسلوب التوبيخ "أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم": استفهام تقريعي يزيد من حسرة الكافر وندمه.
· لفظة "النذير": نكرة تفيد التعظيم .فقد جاءهم نذير عظيم) الرسول والقرآن(، فلم يستجيبوا.
· ختام الآية (38) بـ "عليم بذات الصدور": يربط المشهد كله بعلم الله المطلق، مما يزيد من يقين المؤمن بهذا المصير.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نستفيد من هذا المشهد؟

· الرسالة الفكرية: الإيمان باليوم الآخر وتفاصيله.
هذه الآيات ترسخ فينا الإيمان باليوم الآخر، وتفاصيله الدقيقة .هذا الإيمان هو الرادع الأكبر عن المعاصي، والدافع الأكبر للطاعات.
· الرسالة التربوية: استثمار العمر والشباب والصحة.
"أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم" توجيه مباشر لكل عاقل: عمرك هو رأس مالك .استثمره قبل أن يفوت الأوان .اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك.
· الرسالة النفسية: التوازن بين الخوف والرجاء.
مشهد الجنة يملأ القلب رجاء، ومشهد النار يملأ القلب خوفًا .والمؤمن يسير بين الخوف والرجاء، فـ لا يأمن مكر الله، ولا ييأس من رحمته.
· الرسالة العملية: المبادرة بالتوبة والعمل الصالح.
لا تؤجل توبتك .لا تقل غدًا .فغدًا قد لا يأتي .تذكر صراخ أهل النار وطلبهم الرجعة، واعلم أنهم لا يعودون .فبادر أنت اليوم، واعمل صالحًا، واجعل من حياتك استعدادًا ليوم لا ينفع فيه الندم.

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نتعظ قبل فوات الأوان؟

· جردة حساب للعمر:
كم سنة مضت من عمري؟ ماذا قدمت فيها لله؟ هل استثمرتها في طاعته، أم أضعتها في الغفلة و المعاصي؟
كم سنة بقيت لي؟ لا أحد يعلم .فاجعل ما بقي من عمرك استثمارًا للآخرة.
· الاستجابة للنذير:
القرآن بين يديك، فهل تقرؤه وتتدبره وتعمل به؟ العلماء والدعاة ينصحونك، فهل تستمع لهم وتطيع ؟
اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن، واحضر مجالس العلم والذكر، واعمل بما تعلم.
· مراقبة ذات الصدور:
في كل عمل تقوم به، في كل كلمة تقولها، في كل فكرة تجول في خاطرك، تذكر: "إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" .هذا يجعلك تراقب الله في سرك وعلانيتك.

**عرض النفس على الآيات: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال العمر: هل أنا ممن استثمروا أعمارهم فيما يرضي الله؟ أم أني من الغافلين الذين سيندمون يوم القيامة؟
· سؤال النذير: هل استجبت للنذير) القرآن والسنة(؟ أم أني ممن سمعوا وأعرضوا؟
· سؤال الصدور: هل سريرتي عند الله خير من علانيتي؟ أم أني أهتم بمظهري أمام الناس وأهمل قلبي الذي هو محل نظر الله؟
· سؤال الخوف: هل هذه المشاهد المهيبة أثرت في قلبي وزادت من خشيتي لله؟ أم أني قرأتها ومررت عليها كأنها قصة من القصص؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيات؟

اجعل هذه الآيات جدارًا منيعًا بينك وبين المعاصي:

· إذا وسوس لك الشيطان بمعصية: تذكر نار جهنم، وتذكر صراخ أهلها: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا".
· إذا شعرت بالكسل عن الطاعة: تذكر أن عمرك يمضي، وأن الفرصة ستنتهي، فبادر قبل أن يأتي يوم الندم.
· إذا كنت في خلوة: تذكر أن "اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"، فاستحي منه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

أيها المؤمن:

إن ربك قد أنذرك وبشرك .وصف لك الجنة لتشتاق إليها، ووصف لك النار لتخافها .فكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .استثمر عمرك قبل فوات الأوان، واستجب للنذير قبل أن لا ينفع الندم .واجعل سريرتك مثل علانيتك، بل خيرًا منها، فإن الله عليم بذات الصدور.

القسم الخامس

اولا.

أيها الإنسان، يا من حمّلك الله أمانة عظيمة، ويا من جعلك خليفة في هذه الأرض، ويا من تتساءل عن سر وجودك ودورك في هذه الحياة، تعالَ بقلبك الواعي وعقلك المسؤول، لنجلس معًا في رحاب آية كريمة، تضع لنا دستور الوجود الإنساني، وتكشف عن أعظم مهمة وُكلت إلى البشر، وتفتح أمامنا آفاق البناء والتنمية والحضارة التي أرادها الله لنا.

بعد أن طاف بنا القرآن في رحلة بين مشاهد النعيم في الجنة ومشاهد العذاب في النار، وبعد أن أسمعنا صراخ الكافرين وندمهم، تأتي هذه الآية لتجيب عن سؤال جوهري: لماذا خلقنا الله؟ وما دورنا في هذا الكون؟ إنها آية تنتقل من الحديث عن المصير في الآخرة إلى بيان الوظيفة في الدنيا .إنها تعلن أنك أيها الإنسان خليفة الله في أرضه، وأنك مسؤول عن عمارتها وإصلاحها.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ فاطر:[39

*الرابط المحكم بين الآيات: من مصير الكافرين إلى بيان مهمة الإنسان

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب:

1.الآيات36) -(38: وصفت مصير الكافرين في النار، وندمهم، وأن الله عليم بذات الصدور .هذا يثير سؤالا ً: لماذا استحقوا هذا العذاب؟ وما الذي كان يجب عليهم فعله في الدنيا؟
2.الآية(39) : تأتي لتجيب: إن الله جعلكم خلائف في الأرض، أي استخلفكم لعمارتها وطاعته .فهؤلاء الكافرون، بدل أن يؤدوا مهمة الاستخلاف بالطاعة والعمل الصالح، كفروا وأفسدوا، فاستحقوا المقت و الخسار.

وكأن السياق يقول: أنتم لم تُخلقوا عبثًا .لقد جعلكم الله خلفاء في هذه الأرض، تبنون وتعمرون وتصلحون .فمن أدى هذه الأمانة فاز، ومن كفر بها وضيعها خسر خسرانًا مبينًا، وكان مصيره ما سمعتم من العذاب المهين .فهذه الآية تقدم رؤية قرآنية متكاملة لوظيفة الإنسان في الكون.

*تفصيل دلالات الآية وألفاظها: إعلان الاستخلاف والمسؤولية

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية العظيمة، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾

· "هُوَ": ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد .أي هو وحده سبحانه الذي جعلكم خلائف، لا شريك له في ذلك.
· "جَعَلَكُمْ": فعل يدل على التكليف والتشريف معًا .فالله لم يخلقكم فقط، بل جعلكم في هذه المكانة السامية، مكانة الخلافة.
· "خَلَائِفَ": جمع "خليفة" .والخليفة هو من يخلف غيره، وينوب عنه في إدارة شؤونه .فالإنسان هو خليفة الله في أرضه .وهذا يعني:
· التشريف والتكريم: لقد شرف الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه بهذه الخلافة .قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"] الإسراء:.[70
· الأمانة والمسؤولية: الخلافة أمانة عظيمة .فأنت أيها الإنسان مسؤول عن هذه الأرض، وعن إعمارها وإصلاحها، وعن تطبيق شرع الله فيها .قال تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ"] الأحزاب:.[72
· الاستمرار والتجدد: الخلافة ليست لفرد أو جيل واحد، بل هي متوارثة بين الأجيال .كل جيل يخلف الجيل الذي قبله في حمل هذه الأمانة.
· "فِي الْأَرْضِ": بيان لمكان هذه الخلافة .الأرض هي ميدان العمل و مسرح الابتلاء .فيها يعمل الإنسان

ويبني ويعمر، وفيها يُمتحن ليُجزى في الآخرة.

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾

· "فَمَن كَفَرَ": بعد بيان نعمة الاستخلاف، يأتي بيان عاقبة من يجحد هذه النعمة ويكفر بها .والكفر هنا هو كفر النعمة) عدم شكرها (وكفر الربوبية) إنكار الخالق.(
· "فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ": أي أن ضرر كفره عائد عليه وحده .فاللّه غني عن العالمين .كفره لا يضر اللّه شيئًا، و لا ينقص من ملكه مثقال ذرة .إنما يضر نفسه ويهلكها .وهذا تأكيد لمبدأ المسؤولية الفردية الذي تكرر في السورة.

﴿وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾

· "وَلَا يَزِيدُ": نفي قاطع لأي فائدة من الكفر.
· "مَقْتًا": المقت هو أشد البغض والغضب .فكفر الكافرين لا يزيدهم عند اللّه إلا بغضًا وغضبًا .و"عند ربهم" أي في حكمه وتقديره .إنهم يزدادون بُعدًا عن رحمة اللّه واقترابًا من سخطه.

﴿وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾

· "خَسَارًا": الخسارة هي ذهاب رأس المال .والكافر قد خسر أعظم رأس مال، وهو نفسه وعمره وإيمانه .خسر الدنيا والآخرة .ذلك هو الخسران المبين.
· تكرار "ولا يزيد ...إلا": تأكيد على أن الكفر محض ضرر على صاحبه في الدنيا والآخرة .لا يجلب له نفعًا، ولا يزيده إلا مقتًا وخسارًا.

**مفاهيم الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هذه الآية الكريمة ليست مجرد إخبار عن خلق الإنسان، بل هي منهج حياة و دستور بناء للفرد و المجتمع والحضارة بأسرها .إنها تؤسس لرؤية قرآنية متكاملة للتنمية والبناء.

أولًا: بناء الإنسان المسؤول) الخليفة(

.1استشعار قيمة الذات والكرامة:
عندما يدرك الإنسان أنه "خليفة اللّه في أرضه"، فإنه يشعر بقيمته وكرامته .إنه ليس كائنًا تافهًا، و لا نبتًا شيطانيًا في كون مهمل .إنه مكرم، مختار، موكل بمهمة عظيمة .هذا الشعور يبني الثقة بالنفس و الاعتزاز بالهوية الإسلامية.
.2التربية على المسؤولية الفردية والجماعية:
الخلافة تعني المسؤولية .أنت مسؤول عن نفسك) بالإيمان والعمل الصالح(، ومسؤول عن أسرتك) بـ التربية والنفقة(، ومسؤول عن مجتمعك) بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(، ومسؤول عن الأرض) بالإ عمار وعدم الإفساد .(هذه التربية تخرج إنسانًا إيجابيًا فاعلا ً، لا سلبيًا متواكلا ً.
.3تحويل العبادة إلى منهج حياة شامل:
الخلافة تعني أن كل عمل صالح يقوم به الإنسان لإعمار الأرض هو عبادة لله .الفلاح في حقله، و العامل في مصنعه، والمعلم في فصله، والطبيب في عيادته ...كل هؤلاء يؤدون مهمة الخلافة، ويُؤجرون عليها إذا أخلصوا النية لله .هذا يوسع مفهوم العبادة ويجعل الحياة كلها لله.

ثانيًا: بناء المجتمع المتماسك القائم على التكافل

.1ترسيخ مبدأ التعاون والتكامل:
مهمة الخلافة مهمة جماعية .لا يستطيع فرد واحد أن يعمر الأرض وحده .لا بد من التعاون و التكامل بين أفراد المجتمع ."وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى"] المائدة: .[2 المهندس يحتاج إلى الطبيب، و الطبيب يحتاج إلى المزارع، والمزارع يحتاج إلى المعلم ...وهكذا يتحقق التكافل الاجتماعي.
.2المسؤولية المشتركة عن الإصلاح:
بما أن الجميع خلائف، فالجميع مسؤولون عن الإصلاح ومحاربة الفساد .لا يجوز للمسلم أن يقول: "هذا ليس من شأني" .فساد البيئة، فساد الاقتصاد، فساد الأخلاق ...كلها أمور تمس مهمة الخلافة، فيجب على المجتمع أن يتصدى لها.
.3العدالة أساس الاستخلاف:
الخليفة الحقيقي هو من يعدل في حكمه وتصرفه .فاللّه هو العدل، وخليفته يجب أن يكون عاد

لا ً .هذا يؤسس لمجتمع قائم على العدالة الاجتماعية، ومحاربة الظلم والاستبداد.

ثالثًا: بناء الحضارة الإنسانية الراشدة

.1الإعمار والتنمية المستدامة:
الخلافة تعني عمارة الأرض .قال تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"] هود: .[61 فاللّٰه طلب منا أن نعمر الأرض، أي نبنيها ونطورها ونستثمر مواردها .هذه دعوة صريحة إلى التنمية المستدامة في كل المجالات: الزراعة، الصناعة، التكنولوجيا، العلوم، الفنون ...كل ما ينفع البشرية وييسر حياتها.
.2تسخير الكون لخدمة الإنسان:
اللّٰه سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض ."وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ"] الجاثية: .[13 مهمة الخليفة هي اكتشاف هذه المسخرات، وفهم قوانينها) وهو العلم(، ثم استخدامها فيما ينفع البشرية) وهو التكنولوجيا والصناعة .(هذا هو أساس الحضارة المادية.
.3الحضارة الأخلاقية:
الحضارة الغربية المعاصرة ركزت على الإعمار المادي، لكنها أهملت الإعمار الأخلاقي والروحي، فأنتجت حضارة مادية جوفاء مليئة بالقلق والجريمة والتفكك .أما الحضارة الإسلامية التي تؤسس لها هذه الآية، فهي تجمع بين الإعمار المادي و الإعمار الروحي والأخلاقي ."فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ" تذكير بأن أي بناء مادي بدون إيمان هو خسار في الآخرة، ونقص في الدنيا.
.4المسؤولية البيئية:
الخليفة لا يفسد الأرض، بل يصلحها ."وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"] الأعراف: .[56 هذه الآية تدعو إلى الحفاظ على البيئة، ومحاربة التلوث، والاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية .فالإفساد في الأ رض خيانة للأمانة التي حملها الإنسان.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال المدير والموظفين:
مدير شركة) اللّٰه (يستخلف أحد موظفيه) الإنسان (ليدير فرعًا من فروع الشركة) الأرض .(يزوده بكل الإمكانات والموارد) المسخرات .(الموظف الناجح) المؤمن (يدير الفرع بكفاءة وأمانة، ويطوره ويزيد أرباحه، ويحافظ على ممتلكات الشركة، ويكون وفيًا للمدير .الموظف الفاشل) الكافر (يهمل الفرع ، ويسرق موارده، ويفسد فيه، ويجحد فضل المدير .الأول يكافأ) الجنة(، والثاني يعاقب) النار .(هذا هو مفهوم الخلافة.
· مثال الأب وأبنائه في البيت:
أب يملك بيتًا كبيرًا وحديقة) الأرض .(يستخلف أبناءه) الخلائف (ليعتنوا بالبيت والحديقة .الابن البار) المؤمن (يرعى الحديقة، ويسقيها، ويصلح ما يعطب في البيت .الابن العاق) الكافر (يهمل الحديقة، ويكسر الأثاث، ويرمي القاذورات .أيهما يستحق رضا الأب وأيهما يستحق غضبه؟

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· أسلوب القصر "هُوَ الَّذِي": يفيد اختصاص اللّٰه بصفة جاعل الخلائف، وهذا يوجب الشكر والعبودية.
· لفظة "خَلَائِفَ": جمع تكسير، يدل على كثرة المستخلفين وتعدد أجيالهم .فالأمة كلها مخاطبة بهذا التكليف.
· المقابلة بين "عَلَيْهِ كُفْرُهُ" و"لَا يَزِيدُ ...إِلَّا مَقْتًا": فالكفر ضرر عائد على صاحبه أولا ً، ثم هو سبب لزيادة مقت اللّٰه وخسارة صاحبه.
· تكرار الجملة مرتين مع اختلاف الخبر) مقتًا / خسارًا(: للتأكيد على أن الكفر يجمع لصاحبه خسارة الدنيا) بفقدان بركة الاستخلاف (و خسارة الآخرة) بالمقت والعذاب.(

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: بناء عقلية الخليفة

· الرسالة الفكرية: فهم فلسفة الوجود الإنساني.
الآية تجيب عن السؤال الوجودي الكبير: لماذا نحن هنا؟ نحن هنا للاستخلاف، لإعمار الأرض بطاعة اللّٰه .هذا الفهم يعطي للحياة معنى وهدفًا ساميًا، ويخرج الإنسان من دوامة العبثية والضياع.
· الرسالة التربوية: التربية على الإيجابية والفاعلية.
الخليفة لا يكون سلبياً .هو دائم الحركة والعمل والإنجاز .هو يزرع، يبني، يعلم، يصنع، يصلح .هذه التربية تبني شخصية قيادية فاعلة في مجتمعها.

· الرسالة النفسية: الشعور بالأمان والثقة.
عندما يعلم الإنسان أنه مستخلف من الله، وأن الله معه يسانده ويوفقه، يشعر بالأمان والثقة .هو ليس وحيدًا في هذا الكون .له رب كريم، استخلفه ووعده بالعون والتوفيق.
· الرسالة الحضارية: الدفع نحو التقدم والتنمية.
الآية تحفز الأمة على التنافس في الإعمار والبناء .فكلما كانت الأمة أكثر إعمارًا للأرض، وإصلاحًا فيها، ونفعًا للبشرية، كانت أقرب إلى تحقيق معنى الخلافة .وهذا هو سر النهضة الحضارية.

**تفعيل الآية في حياتنا العملية والتنموية: من الفرد إلى الأمة

· على مستوى الفرد:
· اسأل نفسك كل يوم: ماذا فعلت اليوم بصفتي خليفة الله في أرضه؟ هل أتقنت عملي؟ هل نفعت أحدًا؟ هل أصلحت شيئًا؟ هل حافظت على البيئة؟
· اجعل شعارك: "أنا خليفة، فلا أفسد، ولا أهمل، ولا أتكاسل".
· على مستوى الأسرة:
· ربِّ أبناءك على مفهوم الاستخلاف .علمهم أنهم مسؤولون عن غرفهم، عن نظافة بيتهم، عن حديقة منزلكم .هذا تدريب عملي على الخلافة.
· علمهم أن العلم والدراسة هي جزء من مهمة الخلافة، لأنها تؤهلهم لعمارة الأرض.
· على مستوى المجتمع:
· شارك في العمل التطوعي الذي يخدم مجتمعك: تنظيف حي، تشجير شارع، مساعدة فقير، تعليم جاهل .هذه كلها من مقتضيات الخلافة.
· كن عنصر إصلاح لا عنصر إفساد .انشر الخير، واحذر الشر، وادع إلى المعروف.
· على مستوى الأمة والحضارة:
· على الأمة أن تستثمر في العلم والتكنولوجيا لأنها أدوات الإعمار الحديثة.
· أن تضع خططًا تنموية شاملة تراعي الجانب المادي والروحي.
· أن تكون رائدة في الحفاظ على البيئة، وفي إرساء قيم العدالة والسلام، لأنها أمة الخلافة.

**عرض النفس على الآية: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الاستخلاف: هل أنا واعٍ بأني خليفة الله في أرضه؟ وهل أعيش حياتي على هذا الأساس؟
· سؤال المسؤولية: كيف أؤدي أمانة الاستخلاف في دائرتي الصغيرة) بيتي، عملي، مجتمعي(؟
· سؤال الإعمار: هل أنا من المعمرين في الأرض أم من المفسدين؟ هل أترك أثرًا طيبًا حيثما كنت؟
· سؤال الكفر والخسران: هل أتجنب كل ما يؤدي إلى مقت الله وخسرانه؟ هل أشكر نعمة الاستخلاف أم أجحدها؟

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية بوصلة حياتك:

· في الصباح: استيقظ وأنت تستشعر مهمتك كخليفة.
· في العمل: أتقنه وأخلص فيه، فهو من إعمار الأرض.
· في التعامل مع الآخرين: كن عادلا ً رحيمًا، فهذا من خلق الخليفة.
· في التعامل مع البيئة: حافظ عليها، فهي مسرح خلافتك.

أيها الخليفة في الأرض:
لقد حملك الله أمانة عظيمة .شرفك بها على كثير من خلقه .فلا تكن من الذين ضيعوا الأمانة، فخسروا الدنيا والآخرة .كن من الذين أدوا الأمانة، وعمروا الأرض بالإيمان والعمل الصالح، فنالوا رضوان الله وجنات النعيم .إنها دعوة للنهوض، و رسالة للبناء، و تكليف بالتنمية .فانهض بمسؤوليتك، وابنِ مجدك، وشارك في بناء حضارة تليق بأمة الخلافة.
ثانيا.
أيها الباحث عن الحق، ويا من أنهكته الحيرة في تيه العقائد الباطلة، ويا من يريد أن يصل إلى يقين لا يتزعزع في وحدانية الله وقدرته، تعالَ بقلبك المتفتح وعقلك الناقد، لنجلس معًا في رحاب آيتين كريمتين، تخاطبان الفطرة والعقل معًا .إنهما آيتان تقيمان الحجة الدامغة على بطلان الشرك، وتقرران الحقيقة المطلقة وهي أن الله وحده هو القائم على كل شيء، الممسك للسماوات والأرض أن تزولا.

بعد أن ذكرنا الله بمهمتنا كخلفاء في الأرض، تأتي هاتان الآيتان لتواجها أصل الانحراف عن هذه

المهمة، وهو الشرك بالله .إنهما تكشفان زيف المعبودات الباطلة، وتثبتان بالدليل العقلي والحسي أن كل ما يدعى من دون الله لا يملك شيئًا، وأن الله وحده هو المستحق للعبادة، وهو الذي يمسك الكون كله بقدرته.

إنها آيات تبني اليقين، وتحرر العقل من الخرافة، وتزرع في القلب الطمأنينة بأن هذا الكون في قبضة قوية أمينة.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(41) ﴾ فاطر:40 -41]

**الرابط المحكم بين الآيات: من تقرير الخلافة إلى إبطال الشرك وإثبات القدرة

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع:

1.الآية(39) : قررت أن الله جعلنا خلائف في الأرض .وهذا يقتضي أن نعبده وحده، ونتبع شرعه.
2.الآية(40) : تنتقل إلى إبطال عبادة غيره .فبعد أن تقرر أن الله هو الذي استخلفنا، يأتي السؤال: فلماذا تعبدون غيره؟ هل لشركائكم شرك في الخلق أو الملك حتى تستحق العبادة؟
3.الآية(41) : تثبت قدرة الله المطلقة التي تؤهله وحده للألوهية .فهو يمسك السماوات والأرض، ولو زالتا لما استطاع أحد إمساكهما .فكيف تعبدون من لا يملك مثقال ذرة في هذا الكون؟

وكأن السياق يقول: أنتم تعلمون أن الله هو الذي استخلفكم في الأرض .فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا تشركون به من لا يملك شيئًا من هذا الملك؟ إن شركاءكم لم يخلقوا شيئًا من الأرض، وليس لهم شرك في السماوات .فالله وحده هو المالك والممسك للكون كله .فوجهوا له العبادة وحده.

**تفصيل دلالات الآيتين وألفاظهما: إفحام المشركين وإثبات القدرة

لنقف مع كل لفظة من لفظات هاتين الآيتين الكريمتين، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

الآية(40) : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾

· "قُلْ": أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يوجه هذا الخطاب التحدي إلى المشركين .وفيه توجيه للدعاة إلى استخدام أسلوب الحوار العقلي والإفحام.
· "أَرَأَيْتُم": بمعنى "أخبروني" .وهي صيغة توبيخ وتحدٍ .أي أخبروني عن هؤلاء الشركاء الذين تعبدونهم من دون الله.
· "شُرَكَاءَكُمْ": أضافهم إليهم تهكمًا بهم .فهم يزعمون أنهم شركاء لله، والواقع أنهم مجرد أوهام.
· "الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ": أي تعبدونهم وتطلبون منهم النفع والضر.
· التحدي الأول: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾:
· هذا هو الدليل الأول على بطلان ألوهيتهم .فالإله الحق هو الخالق .فإذا كنتم تدعون أنهم شركاء لله، فأرونا أي جزء من الأرض خلقوه؟ أي جبل؟ أي نهر؟ أي شجر؟ إنهم لم يخلقوا شيئًا .بل هم أنفسهم مخلوقون.
· التحدي الثاني: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾:
· هذا انتقال من الخلق إلى الملك والمشاركة .أي هل لهم شركة مع الله في ملك السماوات وتدبيرها؟ هل يملكون شيئًا من الكواكب أو النجوم أو الملائكة؟ الجواب: كلا .فالإله الحق هو من له الملك المطلق.
· التحدي الثالث: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾:
· هذا إغلاق لباب الوحي والعلم .أي هل أنزلنا عليهم كتابًا من السماء يأذن لهم فيه بعبادة هؤلاء الشركاء، فهم على حجة وبرهان من هذا الكتاب؟ الجواب: لا .فعبادتهم للشركاء ليست عن علم ولا وحي، بل عن جهل وهوى وتقليد أعمى.
· النتيجة: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾:
· "بَلْ": إضراب عن كل الاحتمالات السابقة .أي ليس الأمر كما تزعمون.

· "إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ": "إن" نافية .أي ما يعد هؤلاء الظالمون) الرؤساء والقادة المضلون (أتباعهم.
· "بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا": إلا وعدًا باطلا ً، وخداعًا وزورًا .فهم يغرون بعضهم بأن هؤلاء الشركاء سيشفعون لهم، أو سينصرونهم .وهذا كله غرور ووهم.

الآية(41) : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

· "إِنَّ اللَّهَ": تأكيد للحقيقة العظمى .فالله وحده هو الذي يمسك الكون.
· "يُمْسِكُ": فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد .فالله في كل لحظة يمسك السماوات والأرض بقدرته، ويمنعهما من الزوال والاضطراب.
· "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ": هذه الأجرام العظيمة الهائلة، التي تسبح في الفضاء بسرعات مذهلة، في مسارات دقيقة، الله هو الذي يمسكها فلا تصطدم ولا تضطرب ولا تزول عن أماكنها.
· "أَن تَزُولَا": أي كراهة أن تزولا، أو لئلا تزولا ."زوالهما" معناه خروجهما عن نظامهما، أو سقوطهما، أو فناؤهما.
· التحدي الأعظم: ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾:
· "وَلَئِن زَالَتَا": قسم .والله لو أنهما زالتا عن أماكنهما، أو اضطرب نظامهما.
· "إِنْ أَمْسَكَهُمَا": "إن" نافية .أي ما أمسكهما من أحد.
· "مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ": أي من بعد الله .لا أحد في الوجود كله، من الملائكة أو الأنبياء أو الأصنام، يستطيع أن يمسكهما أو يعيد إليهما النظام.
· هذه الجملة تثبت عجز كل المخلوقات، وتفرد الله وحده بالقدرة المطلقة.
· ختام الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾:
· "حَلِيمًا": لا يعاجل بالعقوبة مع قدرته على ذلك .فمع أنه يرى كفر الكافرين وإشراكهم، إلا أنه يحلم عليهم ويمهلهم، لعلهم يتوبون.
· "غَفُورًا": كثير المغفرة لمن تاب وآمن .فمن رجع عن شركه، غفر الله له ما سلف.
· هذا الختام يفتح باب الأمل للمشركين، ويدعوهم إلى التوبة قبل فوات الأوان .فالله قادر على إهلاكهم، لكنه حليم غفور.

**دور الآيتين في تقرير العقيدة وبناء اليقين

هاتان الآيتان تقدمان لنا منهجًا عقليًا لإبطال الشرك، ومنهجًا قلبيًا لتثبيت التوحيد:

.1إقامة الحجة العقلية على بطلان الشرك:
الآية (40) تقدم ثلاث حجج عقلية منطقية لا يستطيع المشرك ردها:
· حجة الخلق: شركاؤكم لم يخلقوا شيئًا .فكيف يعبدون؟
· حجة الملك: ليس لهم شرك في ملك السماوات .فكيف يعبدون؟
· حجة الوحي: لم يأتهم كتاب من الله يأمرهم بعبادتهم .فكيف يعبدون؟
هذه الحجج الثلاث تقطع كل عذر، وتثبت أن الشرك لا أساس له من عقل ولا نقل.
.2تثبيت الإيمان بقدرة الله المطلقة:
الآية (41) تملأ القلب هيبة وخشية من الله، وطمأنينة وثقة به .فمن يمسك السماوات والأرض بقدرته، أليس قادرًا على أن يمسك عليك قلبك؟ أليس قادرًا على أن يحفظك ويكفيك؟ بلى، إنه على كل شيء قدير.
.3التربية على الحوار والإقناع:
أسلوب "قُلْ أَرَأَيْتُمْ ...أَرُونِي..." يعلمنا كيف نحاور المخالفين .لا نكتفي بالشتم والسباب، بل نستخدم الحجة والبرهان، وندعوهم للتفكير بأنفسهم.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال عامل في مصنع:
عامل في مصنع ضخم، يديره صاحبه بكفاءة .يأتي بعض العمال ويدعون أن زميلهم "فلان" هو شريك للمدير في المصنع .فيسألهم المدير: هل شاركني فلان في بناء المصنع؟ هل يملك آلة واحدة فيه؟ هل أعطيته تفويضًا بإدارته؟ فإذا بهم يقرون بأنه لا يملك شيئًا، وإنما هم يغر بعضهم بعضًا بهذا الوهم .هذا هو حال المشركين مع الله.
· مثال سقف البيت:
نحن نعيش تحت سقف بيتنا، وهو يظللنا ويحمينا .لا نشعر للحظة أنه سيقع علينا، لأننا نثق في

بنائه .لكن من الذي يمسك هذا السقف حقًا؟ ومن الذي يمسك السقف الأعظم) السماء (أن يقع على ا لأرض؟ "إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولَا" .هذا المشهد يجعلنا نستشعر نعمة الله علينا في كل لحظة.
· مثال الأب الحليم مع ابنه العاق:
أب قوي، قادر على تأديب ابنه العاصي بشدة .لكنه حليم، يمهل ابنه ويصبر عليه، لعله يتوب ويرجع .وهو أيضًا غفور، إذا رجع إليه ابنه تائبًا، غفر له زلاته .هذا هو حال الله مع الكافرين .قدرته مطلقة، لكنه حليم غفور.

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· أسلوب التحدي في "أَرَأَيْتُمْ ...أَرُونِي": يثير في نفس المخاطب الرغبة في الإجابة، وعندما يعجز، يقر ببطلان موقفه .وهذا من أبلغ أساليب الإقناع.
· تنوع الحجج: الانتقال من الخلق إلى الملك إلى الوحي، يسد كل منافذ الشبهة.
· الإضراب بـ "بَلْ": يقطع كل جدال ويقرر الحقيقة المرة: أنتم في غرور.
· استخدام "إن" النافية في موضعين: "إِن يَعِدُ" و "إِنْ أَمْسَكَهُمَا" .لتأكيد نفي الوعد الحق ونفي القدرة على الإمساك.
· الجمع بين "حليمًا غفورًا": يبين أن قدرة الله المطلقة مقرونة برحمته وحلمه .فهو لا يستعجل العقوبة، ويفتح باب التوبة .وهذا يدعو إلى محبته ورجائه مع خوفه.

*" رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نبني شخصية المؤمن الموحد؟

· الرسالة الفكرية: تحرير العقل من الخرافة.
هذه الآيات تدعو إلى استخدام العقل في فحص العقائد .لا تقبل شيئًا لمجرد أن آباءك فعلوه . اسأل: ما الدليل؟ ماذا خلق هذا المعبود؟ ماذا يملك؟ هذه العقلية النقدية هي أساس الشخصية المسلمة القوية.
· الرسالة التربوية: التربية على التوكل والثقة بالله.
عندما تعلم أن الله هو الممسك للسماوات والأرض، فإنك تتوكل عليه وحده .لا تخاف من أحد، ولا ترجو أحدًا سواه .فمن بيده ملكوت كل شيء، وهو الحليم الغفور، هو حسبك ونعم الوكيل.
· الرسالة النفسية: الطمأنينة والسكينة.
الإيمان بأن الله يمسك الكون بقدرته، يملأ قلب المؤمن طمأنينة .فهو يعلم أنه في حفظ الله ورعايته .الكون كله في قبضة الله، فكيف لا يحفظك أنت أيها العبد الضعيف؟ "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الذي نَزَّلَ الكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"] الأعراف:.[196
· الرسالة العملية: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.
تعلمنا الآية أسلوب الحوار العقلي مع المخالفين .لا تفرض رأيك بالقوة، بل قدم حججك وبراهينك، وادعهم للتفكير .هذه هي طريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله.

*" تفعيل الآيات في حياتنا العملية: كيف نعيش التوحيد الخالص؟

· في مواجهة الشبهات والوساوس:
إذا وسوس لك الشيطان بوجود قوة أخرى غير الله تنفع أو تضر، فاستخدم منطق هذه الآية .قل: ماذا خلق هذا الذي أخافه؟ ماذا يملك من السماوات والأرض؟ هل جاءه كتاب من الله؟ الجواب: لا شيء .فعلامَ أخافه؟ الخوف والرجاء لله وحده.
· في تربية الأبناء على التوحيد:
علم أبناءك منذ الصغر أن يسألوا: من خلق هذا؟ من يمسك السماء؟ من يدبر الأمر؟ وعلمهم أن يجيبوا: الله .هذا يغرس فيهم التوحيد فطرة وعقلا ً.
· في التخلص من التعلق بالأسباب:
إذا تعلقت بسبب من الأسباب) طبيب، مدير، مال(، ونسيت مسبب الأسباب، فتذكر هذه الآية . الطبيب يعالج، لكن الشافي هو الله .المدير يملك الوظيفة، لكن الرزاق هو الله .فعلق قلبك بالله، فهو الممسك لكل شيء.

**عرض النفس على الآيتين: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال التوحيد: هل توحيدي لله خالص من كل شوائب الشرك؟ هل في قلبي تعلق بغير الله من بشر أو حجر أو مال أو منصب؟

· سؤال العقل: هل أستخدم عقلي في التفكر في آيات الله، أم أني أقلد غيري تقليدًا أعمى؟
· سؤال الثقة: هل أنا واثق بأن الله يمسك السماوات والأرض، وبالتالي فهو يمسك حياتي ويدبر أمري ؟ هل هذه الثقة تمنحني الطمأنينة؟
· سؤال الحلم والغفران: هل أنا من الحليمين على غيري، أم أني أعاجل بالعقوبة؟ هل أسارع إلى التوبة عندما أخطئ، عالمًا أن ربي غفور؟

*" خلاصة: كيف نعيش الآيتين؟

اجعل هاتين الآيتين درعًا لك ضد الشرك ووساوسه:

· إذا وسوس لك الشيطان بمعبود من دون الله: فقل: "أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ".
· إذا خفت من أحد أو شيء: تذكر أن "اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا"، فهو الذي يمسك ويحميك.
· إذا أذنبت: تذكر أن الله "حَلِيمًا غَفُورًا"، فسارع بالتوبة إليه.

أيها الموحد:
لقد قامت الحجة، ووضحت المحجة .فالله وحده هو الخالق، المالك، المدبر .وهو وحده المستحق للعبادة .لا تلتفت إلى غيره، ولا تتعلق بسواه .ثبت قلبك على التوحيد، وادع غيرك إليه بالحكمة و الموعظة الحسنة .واعلم أن من كان الله معه، فلا يضره شيء، ومن كان الله عليه، فلا ينفعه شيء . فكن مع الله يكن معك.
ثالثا
أيها العاقل، ويا من يسير في هذه الحياة ويصطدم بتحدياتها وعقباتها، ويا من يتساءل عن سر نجاح الأمم وفشلها، وعن القوانين التي تحكم مسيرة التاريخ، تعالَ بقلبك الواعي وعقلك المستبصر، لنجلس معًا في رحاب آيتين كريمتين، تفتحان لنا كنزًا من كنوز المعرفة، وتكشفان عن سر عظيم من أسرار التعامل مع الحياة والأمم والحضارات .إنهما آيتان تتحدثان عن السنن الإلهية التي لا تتبدل ولا تتحول.

بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى بطلان الشرك وأثبت قدرته المطلقة على إمساك السماوات والأرض، تأتي هاتان الآيتان لتكشفا عن طبيعة النفس البشرية عندما تواجه الحق، وعن السنة الإلهية التي تحكم مصائر الأمم المكذبة .إنهما ترسمان لنا خارطة طريق لفهم التاريخ، وتدلاننا على مفتاح النجاة من الهلاك .إنهما تؤكدان أن لله سننًا في خلقه، لا تحابي أحدًا، ولا تفرق بين مسلم وكافر، بل هي قوانين ثابتة، من عرفها وعمل بمقتضاها نجا، ومن تجاهلها أو خالفها هلك.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا(43) ﴾ [فاطر: 42-43]

**الرابط المحكم بين الآيات: من إثبات القدرة إلى بيان السنن

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب:

1. الآية(41) : أثبتت أن الله هو الممسك للسماوات والأرض، وأنه لو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده . هذا هو قانون القدرة الإلهية المطلقة.
2. الآيتان(42) -(43: تنتقلان إلى بيان قانون آخر من قوانين الله، وهو سنة التعامل مع المكذبين . فكما أن لله سننًا في الكون) إمساك السماوات والأرض(، فله سنن في التاريخ والمجتمعات) إهلاك المكذبين المستكبرين.(

وكأن السياق يقول: أنتم ترون قدرة الله المطلقة في الكون .فاعلموا أن لهذه القدرة سننًا وقوانين تحكم أفعال البشر ومصائرهم .هذه السنن ثابتة لا تتغير .فمن كذب واستكبر، فمصيره كمصير الأولين . فلا تغتروا بأيمانكم الكاذبة، ولا تطمعوا في أن تكونوا استثناءً من هذه القاعدة.

**تفصيل دلالات الآيتين وألفاظهما: كشف الغطاء عن النفس البشرية وسنة الله

لنقف مع كل لفظة من لفظات هاتين الآيتين الكريمتين، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

الآية(42) : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

· "وَأَقْسَمُوا بِاللهِ": هؤلاء هم كفار قريش .كانوا قبل بعثة النبي ﷺ ينظرون إلى أهل الكتاب) اليهود والنصارى (وقد اختلفوا وضلوا، فيقولون: والله لو جاءنا نذير كما جاءهم، لنكونن أهدى منهم.
· "جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ": أي أغلظ الأيمان وأشدها .لقد أقسموا بكل ما لديهم من قوة وصدق في زعمهم .وهذا يدل على أنهم كانوا صادقين مع أنفسهم في هذه اللحظة، لكنها صدق النية قبل وقوع الفعل.
· "لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ": "نذير" هو الرسول الذي ينذرهم عذاب الله.
· "لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ": اللام واقعة في جواب القسم، والنون للتوكيد .أي والله لنكونن أهدى وأكثر استقامة من أي أمة من الأمم السابقة) اليهود والنصارى .(هذا كله ادعاء ووعد قبل الامتحان الحقيقي.
· "فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ": "الفاء" للتعقيب .أي فلما تحقق ما تمنوه، وجاءهم الرسول محمد ﷺ بالحق و النذارة.
· "مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا": هنا المفاجأة الصادمة! بدلا ً من أن يهتدوا كما أقسموا، ما زادهم مجيء النذير إلا نفورًا وفرارًا من الحق ."نفورًا" هو الهرب والابتعاد بشدة .لقد انقلبت مشاعرهم من الرغبة وا لاستعداد إلى النفور والكراهية.

المشهد الأول: هذه الآية تكشف عن حقيقة نفسية خطيرة: وهي أن الإنسان قد يكون صادقًا في نيته وهو بعيد عن موطن الامتحان .لكن عندما يواجه الامتحان الحقيقي، ويتطلب الأمر تضحية وفداء، ينكشف معدنه الحقيقي .إنها فضيحة للنفس البشرية التي تدعي الخير قبل أن تمتحن به.

الآية(43) : ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾.

· "اسْتِكْبَارًا": هذا هو السبب الأول لنفورهم .الاستكبار هو رؤية النفس أكبر من الحق .لقد تكبروا على النبي ﷺ لأنه بشر مثلهم، ولأن أتباعه من الفقراء والضعفاء، ولأن دعوته تمنعهم من شهواتهم وأهوائهم.
· "فِي الْأَرْضِ": ظرف مكاني يدل على أن استكبارهم هذا كان فسادًا في الأرض، واعتداءً على حق الله في الطاعة.
· "وَمَكْرَ السَّيِّئِ": هذا هو السبب الثاني .المكر السيئ هو الخداع والاحتيال والكيد للنبي ﷺ ولدعوته . لقد دبروا المؤامرات، ونشروا الشائعات، وحاولوا قتله، وصدوا الناس عن سبيل الله .كل هذا من المكر السيئ.
· الرد الإلهي المفحم: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾:
· "لَا يَحِيقُ": لا ينزل ولا يحيط ولا يصيب.
· "الْمَكْرُ السَّيِّئُ": هو مكرهم وكيدهم.
· "إِلَّا بِأَهْلِهِ": إلا بالماكرين أنفسهم .هذه سنة إلهية عظيمة .كل من يمكر مكرًا سيئًا، فإن وبال مكره يعود عليه هو، ولا يضر المؤمنين شيئًا .قال تعالى: "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ ۖ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"] الأ نفال: .[30 لقد عاد مكرهم عليهم في الدنيا بهزيمتهم في بدر وغيرها، وفي الآخرة بالعذاب الأليم.
· السؤال التقريري: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾:
· "فَهَلْ": استفهام إنكاري .أي ما ينتظرون بعد تكذيبهم واستكبارهم ومكرهم.
· "يَنظُرُونَ": ينتظرون.
· "إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ": إلا السنة الإلهية التي جرت على الأمم المكذبة السابقة .وهي سنة الإهلاك والا ستئصال، أو النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين .إنها العاقبة المحتومة التي لا مفر منها.
· تأكيد ثبات السنن الإلهية: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا * وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾:
· "فَلَن تَجِدَ": "لن" تفيد النفي المؤبد في المستقبل .أي لن تجد أبدًا.
· "تَبْدِيلًا": تغييرًا في ذات السنة، بحيث تصير رحمة بدل عذاب.
· "تَحْوِيلًا": نقلًا للعذاب من المكذبين المستحقين له إلى غيرهم.
· هذا هو الإعلان القاطع عن ثبات السنن الإلهية .فكما أن لله سننًا في الكون) الشمس تشرق من الشرق، والنار تحرق(، فله سنن في التاريخ والمجتمعات .هذه السنن لا تحابي أحدًا .لا تفرق بين مسلم وكافر، ولا بين عربي وعجمي .من عمل بمقتضى سنة النصر) الإيمان والعمل الصالح والإعداد (نصره الله .ومن عمل بمقتضى سنة الهزيمة) الكفر والاستكبار والمكر السيئ (أهلكه الله ."إِنَّ اللهَ لَا

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"] الرعد:.[11

**أهمية معرفة السنن الإلهية لمواجهة التحديات والقيام بمهمة الاستخلاف

هاتان الآيتان تفتحان لنا بابًا عظيمًا من أبواب العلم والمعرفة، وهو علم السنن الإلهية .هذا العلم يمثل بعدًا مهمًا من أبعاد الاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة:

.1السنن الإلهية هي مفتاح فهم التاريخ وسير الأمم:
الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون ويسيره عبثًا، بل جعل له سننًا وقوانين تحكمه .هذه السنن ثابتة، من درسها وفهمها، استطاع أن يقرأ التاريخ قراءة صحيحة، وأن يفهم الحاضر، وأن يستشرف المستقبل .هذا الفهم ضروري للخليفة الذي يريد أن يعمر الأرض ويقود الأمة.
.2السنن لا تحابي أحدًا) حتى المسلمين(:
هذه حقيقة قرآنية كبرى .الله لا يعاملنا كمسلمين بالمحاباة، بل بالعدل والسنن .نحن لسنا أمة مستثناة من سنن الله .إن أقمنا أسباب النصر) الإيمان، العمل الصالح، الإعداد، العدل، الوحدة (نصرنا الله .وإن أقمنا أسباب الهزيمة) التكذيب، الاستكبار، المكر، الظلم، التفرق (أهلكنا الله، ولو كنا مسلمين .
هذه المعرفة تحمينا من الغرور الديني، وتجعلنا نراجع أنفسنا باستمرار ."وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"
]آل عمران:.[140
.3معرفة السنن أداة لمواجهة التحديات:
عندما تواجه الأمة تحديات) هزيمة، تخلف، فقر، فرقة(، فإن الجاهل بالسنن يفسرها تفسيرات خاطئة) مؤامرات خارجية فقط، أو عقاب إلهي لا دخل لنا فيه .(أما العالم بالسنن، فإنه يفتش عن الخلل في نفسه أولا ً، ويعلم أن هذا التحدي هو نتيجة طبيعية لسنة من سنن الله، بسبب تقصيرنا في الأخذ بأسباب القوة والتمكين .هذا يدفعه إلى العمل والإصلاح، لا إلى اليأس والاستسلام.
.4السنن الإلهية تشمل المكر السيئ وعاقبته:
سنة "وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" هي من أعظم السنن التي تمنح المؤمن طمأنينة .مهما بلغ مكر الأعداء وكيدهم، فإن عاقبته ستعود عليهم .هذا لا يعني التواكل، بل يعني العمل بهدوء وثقة، مع اليقين بأن الله سيكفينا شرهم.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الطالب الذي يدعي الاستعداد للامتحان:
طالب كان يسمع عن صعوبة امتحان في مادة معينة .كان يقول لأصدقائه: "والله لو أتاني هذا الا متحان، لاجتهدت فيه أكثر من أي طالب سابق" .فلما جاء الامتحان، وجده صعبًا يتطلب جهدًا حقيقيًا، فما كان منه إلا أن أهمل وتهرب، وزاده الامتحان نفورًا من المذاكرة .هذا حال من يقسمون جهد أيمانهم قبل الابتلاء، فإذا جاءهم الابتلاء نكصوا على أعقابهم.
· مثال الشركة التي تهمل قوانين السوق:
شركة ناجحة في الماضي، يظن أصحابها أنهم "شركة المسلمين" وأن الله سينصرهم بسبب إسلامهم، فيهتملون التطوير والجودة ودراسة السوق) السنن الاقتصادية .(النتيجة: تفلس الشركة وتنهار .لماذا؟ لأ ن سنن السوق لا تحابي أحدًا .المسلم مطالب بأن يأخذ بالأسباب، وإلا فإن سنة الخسارة ستطاله.
· مثال من يمكر بزميله في العمل:
موظف يريد ترقية، فيكيد لزميله وينشر عنه شائعات) مكر سيئ .(في النهاية، ينكشف أمره، ويفصل من العمل، أو يكرهه الجميع .أما زميله فقد يرتفع قدره .هذه هي سنة "وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" تعمل في حياتنا اليومية.

*لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· التعبير بـ "جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ": مبالغة في وصف شدة إقسامهم، مما يزيد من فظاعة نكثهم وخيانتهم لأ نفسهم.
· استخدام "لَيَكُونَنَّ" بنون التوكيد الثقيلة: لتأكيد عزمهم وقطعهم على أنفسهم بالهداية، مما يجعل نفورهم بعد ذلك أكثر إثارة للتعجب والاستنكار.
· المقابلة بين "لَيَكُونَنَّ أَهْدَى" و "مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا": مقابلة بديعة بين الوعد والواقع، وبين الادعاء و الحقيقة.
· تنكير "نُفُورًا": للدلالة على تعظيمه وشدته .إنه نفور عظيم لا مثيل له.
· أسلوب القصر في "وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ": يفيد أن المكر السيئ محصور ضرره بالماكرين فقط.

· تكرار "وَلَن تجدَ ...وَلَن تجدَ": تأكيد قاطع على ثبات السنن الإلهية وعدم تغيرها.

*رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نبني وعيًا بالسنن الإلهية؟

· الرسالة الفكرية: تأسيس عقلية السننية.
هذه الآيات تدعونا إلى أن ننظر إلى الحياة والتاريخ والمجتمعات من خلال منظار السنن الإلهية .ألا نعزو الأمور للصدف أو المؤامرات فقط، بل نبحث عن العلل والأسباب الكامنة في أنفسنا وفي واقعنا، وفق السنن التي قررها الله.
· الرسالة التربوية: التربية على الصدق مع النفس ومع الله.
الآية (42) تحذرنا من الادعاء الكاذب قبل الامتحان .كم منا يقول: "لو كنت غنيًا لتصدقت"، "لو كنت قويًا لنصرت الحق" .ثم عندما تأتيه الفرصة، يبخل ويجبن .هذه الآية تدعونا إلى مراقبة أنفسنا، وأن نكون صادقين في نياتنا وأقوالنا.
· الرسالة النفسية: الطمأنينة والثقة بعدالة الله.
الإيمان بسنن الله يمنح المؤمن طمأنينة نفسية عظيمة .فهو يعلم أن هناك نظامًا عادلا ً يحكم الكون .الظالم لن يفلت، والمكر السيئ سيعود على صاحبه، والنصر قادم للصابرين المحسنين .هذه الطمأنينة تمنحه قوة وصبرًا على مواجهة التحديات.
· الرسالة العملية: المراجعة المستمرة للذات.
عندما تمر الأمة أو الفرد بضائقة، فإن أول سؤال يجب أن نسأله لأنفسنا هو: أي سنة إلهية خ الفناها؟ ما هو الخلل في أنفسنا؟ هذا السؤال هو بداية الإصلاح ."أَوَلَمّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ"] آل عمران:.[165

**تفعيل الآيات في حياتنا العملية: من الوعي بالسنن إلى العمل بها

· في تربية الأبناء:
لا تعلمهم فقط أن الله قادر على كل شيء، بل علمهم سنن الله في النجاح والفشل .قل لهم: من اجتهد وذاكر) أخذ بسنة الله (نجح .ومن تكاسل وأهمل) خالف سنة الله (رسب .هذا يربطهم بالواقع العملي ويدفعهم للعمل.
· في مجال العمل والدعوة والإصلاح:
ادرس سنن التمكين والنصر في القرآن .اعمل على تحقيقها في نفسك وفي مجتمعك: الإيمان الصادق، العمل الصالح، الوحدة، الإعداد المادي والمعنوي، العدل .ولا تنتظر النصر من الله وأنت مخالف لسننه.
· في التعامل مع الأزمات:
بدلا ً من لوم الآخرين والظروف، اسأل نفسك: ما هي السنة الإلهية التي تعمل هنا؟ هل أنا في موضع الابتلاء للتمحيص؟ أم في موضع العقاب على الذنوب؟ التشخيص الصحيح بناءً على السنن يقود إلى العلاج الصحيح.

*" عرض النفس على الآيتين: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الصدق: هل أنا صادق في نياتي وأقوالي؟ أم أني ممن يقسمون جهد أيمانهم قبل الامتحان، فإذا جاء الامتحان نكصوا؟
· سؤال الاستكبار: هل في قلبي شيء من الاستكبار عن الحق؟ هل أتواضع للحق عندما يأتيني ولو كان على لسان من هو أصغر مني أو أفقر؟
· سؤال السنن: هل أنا واعٍ بالسنن الإلهية التي تحكم حياتي ومجتمعي؟ هل أراجع نفسي وأعمالي في ضوئها؟
· سؤال المكر: هل أمارس أي نوع من المكر السيئ في تعاملي مع الآخرين؟ هل أظن أنني سأفلت من عاقبته؟

**خلاصة: كيف نعيش الآيتين؟

اجعل هاتين الآيتين مفتاحًا لفهم الحياة والتاريخ:

· قبل كل قول أو وعد: راجع نيتك واصدق مع نفسك.
· عند كل تحدٍّ أو أزمة: ابحث عن السنة الإلهية التي تعمل، واصلح من نفسك لتتوافق مع سنن النصر والتمكين.
· عند رؤية مكر الأعداء وكيدهم: لا تقلق، وتذكر أن "وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ".

· في كل شأن من شؤونك: تذكر أن لله سنناً لا تتبدل ولا تتحول .فاطلب العلم بها، واعمل بمقتضاها، تكن من المفلحين.

أيها الخليفة في الأرض:
إن مهمتك عظيمة، وأمانتك ثقيلة .ولن تستطيع القيام بها إلا إذا فهمت سنن الله في الكون والتاريخ والمجتمعات .هذه السنن هي خارطة الطريق التي ترشدك في مسيرك .لا تكن ممن يجهلونها فيخبطون خبط عشواء، بل كن ممن يدرسونها ويعملون بها .فبالعلم بالسنن والعمل بها، تُبنى الحضارات، وتُعمّر ا لأرض، وتؤدى الأمانة.
خامسا
أيها العاقل المتأمل، ويا من تبحث عن اليقين في زمن كثرت فيه الشبهات، ويا من تريد أن تفهم سر بقاء الأمم وفنائها، تعالَ بقلبك المستبصر وعقلك المتفتح، لنجلس معًا في رحاب آية كريمة، تفتح لنا أبواب المعرفة اليقينية، وتدلنا على منهج البحث والتحقق، وتجمع لنا بين العلم النظري الذي يأتي من الوحي، والعلم العملي الذي يأتي من السير في الأرض والنظر في آثار الأمم .إنها آية تعلمنا كيف ندرس التاريخ، وكيف نستخرج منه السنن الإلهية التي تحكم مسيرة البشرية.

بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى أن سنته في المكذبين ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، تأتي هذه الآية لتفتح أمامنا المختبر العملي لدراسة هذه السنن، والمتحف التاريخي الذي نرى فيه آثارها .إنها دعوة صريحة إلى السياحة التأملية، وإلى البحث التاريخي العلمي، وإلى الاستدلال بالواقع على صدق ما جاء في الوحي .إنها آية تربط بين الإيمان والعلم، وبين النقل والعقل، وبين الكتاب المسطور والكتاب المنظور.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى:

·{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}·] فاطر:[44

*الرابط المحكم بين الآيات: من تقرير ثبات السنن إلى دعوة التحقق العملي

تأمل معي هذا الربط القرآني العجيب:

.1الآية(43) : خُتمت بتقرير مبدأ عظيم: "فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا" . هذا هو الإعلان النظري عن ثبات السنن الإلهية.
.2الآية(44) : تأتي لتقول: إن كنتم تريدون التحقق العملي من هذه الحقيقة، فهذا هو الطريق: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" .إنها دعوة إلى الاستدلال التجريبي، وإلى ملاحظة الواقع لاستخراج السنن.

وكأن السياق يقول: لقد أخبرتكم في الوحي أن سنتي في المكذبين ثابتة .فإن كنتم في شك من ذلك ، أو أردتم أن تزدادوا يقينًا، فسيروا في الأرض، وانظروا بأعينكم آثار الأمم المكذبة، وقارنوا بين قوتهم وضعفكم، وستجدون أن سنتي لا تتبدل ولا تتحول .فالوحي هو مصدر العلم بالسنن، والسير في الأرض هو وسيلة التحقق من اطرادها وفاعليتها.

**تفصيل دلالات الآية وألفاظها: منهج البحث في السنن الإلهية

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية العظيمة، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

·{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ}·

· "أَوَلَمْ": الهمزة للاستفهام التوبيخي والتعجيبي .أي ألم يفعلوا ذلك؟ كيف يغفلون عن هذا الأمر الواضح؟ "الواو" للعطف على محذوف ."لم" للنفي .فالمعنى: أكذبوا ولم يسيروا في الأرض؟!
· "يَسِيرُوا": السير هو المشي والانتقال من مكان إلى مكان .والمراد به هنا السير الجسدي) السياحة و الترحال (والسير العقلي) القراءة والبحث والتأمل في التاريخ .(فكلاهما مطلوب.
· "فِي الْأَرْضِ": الأرض كلها مسرح للتاريخ، ومتحف مفتوح للسنن الإلهية .في كل بقعة منها آثار لأمم سابقة، وقصص لأنبياء ومكذبين .فالأرض كتاب مفتوح لمن أراد أن يقرأ.

·{فَيَنظُرُوا}·

· "فَيَنظُرُوا": الفاء للسببية .أي ليسيروا في الأرض لأجل أن ينظروا .والنظر هنا ليس مجرد النظر البصري السطحي، بل هو النظر العقلي التأملي، الذي يبحث عن العلل والأسباب والنتائج .إنه التحليل والاستنتاج .كم من سائح في الأرض يمر على الآثار فلا ينظر إليها نظر اعتبار، بل نظر تفرج ولهو . هؤلاء لم يحققوا الهدف من السير.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

· "كَيْفَ": استفهام عن الحال والكيفية .أي انظروا كيف كانت نهايتهم، وما هو شكل العذاب الذي نزل بهم، وكيف تبدلت قصورهم خرابًا، وجناتهم صحراء جرداء.
· "عَاقِبَةُ": العاقبة هي النهاية والمآل .والقرآن يهتم دائمًا بالعواقب والنهايات، لأنها هي التي تكشف حقيقة الأمور .البدايات قد تخدع، لكن العواقب هي الفيصل.
· "الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ": الأمم السابقة: عاد، ثمود، قوم نوح، قوم لوط، فرعون وجنوده ...كلهم مروا من هنا، وتركوا آثارهم شاهدة عليهم.

﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

· "وَكَانُوا": الواو للحال .أي انظروا إلى آثارهم، والحال أنهم كانوا أشد منكم قوة.
· "أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً": قوة في الأبدان، وقوة في الأموال، وقوة في العمران، وقوة في السلطان .لقد كانوا أضخم أجسامًا، وأكثر أموالا ً، وأعظم حضارة مادية .ومع ذلك، لم تنفعهم قوتهم شيئًا عندما جاء أمر الله .هذا تذكير لكفار قريش بأن قوتهم التي يغترون بها لا تساوي شيئًا أمام قدرة الله .فإذا كان الله قد أهلك من هو أشد منهم، فكيف يأمنون هم؟

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

· "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ": أي لم يكن الله أبدًا ليعجزه أو يفوته أو يصعب عليه.
· "مِن شَيْءٍ": "من" زائدة لتأكيد العموم .أي أي شيء كان، صغيرًا أو كبيرًا.
· "فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ": شمول لجميع المخلوقات في كل العوالم .لا أحد يستطيع أن يهرب من قبضته، ولا شيء يعجزه.
· الربط: هذا هو السر في أن قوة المكذبين لم تنفعهم .لأن قوتهم مهما عظمت، فهي محدودة، بينما قدرة الله مطلقة، لا يعجزها شيء .فكيف تقاوم قوة محدودة قدرة مطلقة؟

﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾

· "إِنَّهُ": توكيد .أي إن الله.
· "كَانَ عَلِيمًا": "كان" هنا تفيد الدوام والاستمرار .أي أنه سبحانه لم يزل عليمًا بكل شيء .يعلم أعمال المكذبين، ويعلم مكرهم، ويعلم الوقت المناسب لعقابهم.
· "قَدِيرًا": لم يزل قديرًا على كل شيء .لا يعجزه الانتقام منهم، ولا إهلاكهم، ولا الإتيان بخلق جديد.
· الختام: الجمع بين "عليم" و"قدير" هو الختام المناسب .فعلمه يحيط بكل استحقاقاتهم، وقدرته تنفذ فيهم ما يستحقون.

**منهجية البحث في السنن الإلهية: ثلاثية الوحي والعقل والتاريخ

هذه الآية الكريمة تؤسس لـ منهج علمي متكامل في دراسة السنن الإلهية التي تحكم التاريخ و المجتمعات:

.1مصدر العلم بالسنن: الوحي الإلهي) القرآن الكريم.(
· الآية السابقة (43) هي التي أخبرتنا بوجود السنن وثباتها ."فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا" .هذا هو ا لأصل النظري الذي ننطلق منه .الوحي يعطينا المبادئ العامة والقوانين الكلية التي تحكم التاريخ . بدون هذا الأصل، قد يضل الباحث في متاهات التاريخ، ويفسره تفسيرات مادية أو عنصرية خاطئة.
.2التحقق من فاعلية السنن واطرادها: السير في الأرض والتأمل في التاريخ.
· "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا" .هذا هو المنهج التجريبي العملي .بعد أن نأخذ المبدأ من الوحي، نذهب إلى المختبر) الأرض والتاريخ (لنرى تطبيقاته العملية .ندرس تاريخ الأمم السابقة، ونلا حظ كيف أن سنة الإهلاك حلت بالمكذبين، وكيف أن سنة النصر حلت بالمؤمنين .هذا المنهج يجعل إيماننا بالسنن إيمانًا علميًا قائمًا على الدليل والبرهان، لا مجرد إيمان تقليدي.

.3أهمية التوغل في تاريخ الشعوب والأمم وتاريخ النبوة:
· "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" .هذا يدعونا إلى دراسة التاريخ دراسة متعمقة، ليس فقط تاريخنا الإسلامي، بل تاريخ كل الأمم والشعوب .ندرس تاريخ النبوة) قصص الأنبياء مع أقوامهم (لنرى سنة الله في الدعوة والتكذيب والنصر .وندرس تاريخ الحضارات) الروم، الفرس، اليونان (...لنرى قوانين النهوض والسقوط .هذا التوغل في التاريخ هو الذي يعطينا رؤية شاملة، ويجعلنا نستفيد من أخطاء السابقين.
.4ملاحظة قوانين سقوط ونهوض الحضارات:
· من خلال السير في الأرض ودراسة التاريخ، نستطيع أن نستنبط السنن التفصيلية لنهوض الحضارات وسقوطها .لماذا سقطت الأندلس؟ لماذا انهارت الدولة العثمانية؟ لماذا تقوم حضارة الغرب اليوم؟ الجواب ليس في المؤامرات فقط، بل في السنن الإلهية .دراسة هذه السنن هي واجب حضاري على الأمة التي تريد أن تنهض.

**أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الطالب والمختبر العلمي:
أستاذ الفيزياء يشرح لطلابه قانون الجاذبية) الوحي يخبرنا بالسنة .(ثم يأخذهم إلى المختبر ليروا بأعينهم كيف تسقط الأجسام، ويتحققوا من صحة القانون) السير في الأرض .(هذا المزج بين النظرية والتجربة هو ما يرسخ العلم في القلب والعقل.
· مثال المهندس والمواصفات:
مهندس يريد بناء ناطحة سحاب .هو يعرف قوانين الهندسة والفيزياء) السنن الإلهية (من الكتب . لكنه أيضًا يذهب لمعاينة الأرض ودراسة المباني القديمة التي صمدت أو انهارت، ليتعلم من أخطاء غيره) السير في الأرض .(هذا هو المهندس الناجح.
· مثال الطبيب والتاريخ المرضي:
طبيب يفحص مريضًا .هو يعرف نظريًا أعراض الأمراض) العلم بالسنن .(لكنه يسأل المريض عن تاريخه المرضي وعن أمراض عائلته) دراسة التاريخ .(هذا التاريخ يعطيه مفاتيح لفهم الحالة الراهنة وتوقع مسارها .وكذلك دراسة تاريخ الأمم تعطينا مفاتيح لفهم حاضرنا واستشراف مستقبلنا.

💬 لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· الاستفهام "أَوَلَمْ يَسِيرُوا": يثير في النفس التساؤل والمراجعة .كيف يغفلون عن هذا الطريق الواضح للمعرفة؟
· استخدام "يَسِيرُوا" و"يَنظُرُوا": فعلان يدلان على الحركة والتأمل .إنها دعوة إلى ديناميكية الفكر و الجسد معًا.
· "كَيْفَ كَانَ": سؤال مفتوح، يدعو إلى التأمل العميق في التفاصيل، لا مجرد معرفة مجمل العاقبة.
· المقابلة الضمنية بين "أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً" و "عَاقِبَةُ الَّذِينَ": هذه المقابلة تظهر أن القوة المادية ليست معيار النجاة .فالقوة الحقيقية هي قوة الإيمان والتقوى.
· التوكيد بـ "إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا": يرسخ في القلب أن هذا الجزاء العادل صادر عن علم مطلق وقدرة مطلقة، فلا يظن ظان أنهم أفلتوا أو أن أحدًا ظلمهم.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نبني عقلية الباحث عن السنن؟

· الرسالة الفكرية: تأسيس العقلية العلمية الاستقرائية.
الآية تعلمنا المنهج الاستقرائي: ننطلق من المبدأ النظري) الوحي(، ثم نتتبع جزئياته في الواقع)التاريخ (للتحقق منه وزيادة اليقين به .هذه العقلية هي أساس النهضة العلمية والحضارية.
· الرسالة التربوية: التربية على الاعتبار بالتاريخ.
"فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" .هذا توجيه تربوي عظيم .يجب أن نربي أبناءنا على قراءة التاريخ ليس للتسلية، بل للاعتبار واستخراج الدروس .التاريخ هو معمل التربية الكبير ."لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ"] يوسف:.[111
· الرسالة النفسية: التحرر من الغرور بالقوة المادية.
رؤية آثار الأمم الأشد قوة، وقد صارت أثرًا بعد عين، يحرر النفس من الاغترار بالقوة المادية) مال، سلاح، تكنولوجيا .(فكل هذه القوى فانية إذا لم تقترن بالإيمان والتقوى .هذا يمنح المؤمن ثقة باللّه لا بالعدد والعدة.
· الرسالة العملية: السياحة الإيمانية والتاريخية.
الآية تدعو إلى نوع راقٍ من السياحة، ليس سياحة اللّهو والترفيه، بل سياحة التأمل والاعتبار .

زيارة الآثار والمتاحف التاريخية بنية التفكر في سنن الله، والاعتبار بمصير الأمم .هذه السياحة تزكي النفس وتزيد الإيمان.

**تفعيل الآية في حياتنا العملية: من منهج الدراسة إلى منهج الحياة

· في مجال البحث العلمي والتاريخي:
· شجع على دراسة التاريخ الإسلامي والعالمي دراسة سننية .لا تكتفِ بسرد الأحداث، بل ابحث عن الأسباب العميقة وراء النهوض والسقوط وفق المنظور القرآني.
· أنشئ مراكز بحثية متخصصة في فقه السنن الإلهية وتطبيقاتها على الواقع المعاصر.
· في التربية والتعليم:
· عند تدريس التاريخ للأبناء، اربط الأحداث دائمًا بالسنن الإلهية .قل لهم: لماذا انتصر المسلمون في بدر؟ لأنهم أخذوا بسنة النصر .ولماذا هُزموا في أحد؟ لأنهم خالفوا بعض سنن النصر.
· اصطحب أبناءك في رحلات إلى المناطق الأثرية، واجعلها رحلات تدبر وتأمل، لا مجرد نزهة.
· في التخطيط الاستراتيجي للأمة:
· أي مشروع نهضوي يجب أن ينطلق من معرفة السنن الإلهية .لا يمكن أن نبني حضارة بدون أن ندرس قوانين النهوض التي أودعها الله في الكون والتاريخ.
· قبل أن نلوم الآخرين على تخلفنا، يجب أن نراجع أنفسنا ونسأل: أي سنة إلهية خالفناها؟ ما هي الأسباب الكامنة فينا والتي أدت إلى هذا الواقع؟

**عرض النفس على الآية: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال السير والنظر: هل لي نصيب من "السير في الأرض" بنية الاعتبار والتأمل؟ أم أن أسفاري كلها للهو والترفيه فقط؟
· سؤال قراءة التاريخ: هل أقرأ التاريخ بعين الاعتبار؟ هل أبحث فيه عن السنن الإلهية؟ أم أني أقرؤه كقصص مسلية؟
· سؤال القوة والاغترار: هل أعتمد في شعوري بالأمان على قوتي المادية) مالي، صحتي، منصبي(، أم على قوة الله وعونه؟ هل أعتبر بمن هم أشد مني قوة فأصبحوا أثرًا بعد عين؟
· سؤال العلم والقدرة: هل أستحضر دائمًا أن الله عليم بي، قدير عليّ، فيمنعني ذلك من معصيته ويدفعني إلى طاعته؟

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية منهجًا لك في المعرفة والتفكر:

· عندما تقرأ الوحي: استحضر أنه يعطيك أصول السنن وقوانينها الكلية.
· عندما تسير في الأرض وتسافر: اجعل عينك عينًا تأملية، تبحث عن آثار الأمم وعواقب المكذبين، لتزداد يقينًا بصدق الوحي.
· عندما تدرس التاريخ: ادرسه بمنظور سنني، لتفهم حاضر أمتك، وتستشرف مستقبلها.

أيها الباحث عن الحق:
إن الله قد فتح لك أبواب المعرفة المزدوجة: معرفة الوحي التي تمنحك اليقين النظري، ومعرفة الآ فاق والأنفس والتاريخ التي تمنحك اليقين العملي .فلا تهمل واحدة منهما .اقرأ كتاب الله المسطور)القرآن (لتعرف السنن، واقرأ كتاب الله المنظور) الأرض والتاريخ (لتتحقق من هذه السنن وتزداد بها إيمانًا .فباجتماع العلمين: علم الوحي وعلم الواقع، يكتمل إيمانك، وتستقيم رؤيتك، وتنجح مسيرتك في مهمة الاستخلاف.

سادسا
أيها العبد الضعيف، ويا من تثقل كاهله الذنوب والخطايا، ويا من يخاف من عدل الله ويخشى عقابه، تعالَ بقلبك الخائف وعقلك الموقن، لنجلس معًا في رحاب خاتمة عظيمة من خواتم سورة فاطر .إنها ا لآية التي تختم بها السورة الكريمة، فتجمع بين العدل والفضل، وبين التخويف والتطمين، وتكشف لك عن كنز من كنوز رحمة الله وحلمه الذي لولاه لما بقي على ظهر الأرض من دابة.

بعد أن سارت بنا السورة في رحلة إيمانية طويلة، من تعريفنا بالفاطر، إلى بيان سننه في المكذبين، إلى وصف مشاهد الجنة والنار، إلى تذكيرنا بالاستخلاف والسنن التاريخية، ها نحن نصل إلى الختام الجامع .ختام يذكرنا أننا - رغم كل ذنوبنا وتقصيرنا - نعيش في كنف رحمة الله وحلمه .إنه ختام

يزرع في القلب رجاءً لا يخيب، وخوفًا لا يغيب، ويجعلنا نعيش بين يدي الله في حالة دائمة من الشكر والاستغفار.

هيا بنا نتدبر قول الله تعالى، خاتمة سورة فاطر:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فاطر:[45

*الرابط المحكم بين الآيات: من مشاهد العذاب إلى رحمة الإمهال

تأمل معي هذا الربط القرآني البديع بين هذه الخاتمة ومجمل السورة:

.1السورة بدأت بتعريفنا باللّه الفاطر، المبدع، مالك الملك، الذي يفتح أبواب الرحمة.
.2في وسط السورة رأينا مشاهد العذاب التي حلت بالمكذبين: "ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ") آية(26 ، ورأينا مصيرهم في نار جهنم: "لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا") آية.(36
.3في آخر السورة رأينا تأكيد ثبات سنن الله في إهلاك المكذبين: "فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ") آية 43).

بعد هذا كله، قد يظن ظان أن الله يعاجل الناس بالعقوبة على كل ذنب، أو أن رحمته قد ضاقت . فتأتي هذه الخاتمة لتمحو هذا الظن، وتعلن أن رحمة الله وحلمه هما الأصل ."وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا..." .إنها تذكرنا أننا جميعًا - حتى المؤمنين - نعيش تحت مظلة العفو والإمهال الإلهي.

وكأن السياق يقول: رأيتم ما حل بالمكذبين من عذاب .لكن اعلموا أن هذا العذاب لم يأتهم إلا بعد إمهال طويل، وبعد أن استحقوه بكفرهم وعنادهم .ولو أن الله آخذ كل الناس بكل ذنوبهم، لأهلك كل من على الأرض .ولكن رحمته سبقت غضبه، فأخرهم إلى أجل مسمى .فاحمدوا الله على حلمه، وارجوا رحمته، وخافوا عدله.

"" تفصيل دلالات الآية وألفاظها: بين عدل الله وفضله

لنقف مع كل لفظة من لفظات هذه الآية الخاتمة، لنستخرج كنوزها ودلالاتها العميقة:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾

· "لَوْ": حرف امتناع لامتناع .أي أن المؤاخذة لم تقع، وامتنع وقوعها بسبب رحمة الله وحلمه .إنها تفترض وقوع شيء لم يقع، لتبين عظيم أثره.
· "يُؤَاخِذُ": من المؤاخذة، وهي المحاسبة والمعاقبة على الذنب .أي لو أن الله حاسب الناس وعاقبهم فورًا على كل ذنب يرتكبونه.
· "النَّاسَ": عام يشمل كل البشر: المؤمنين والكافرين، المطيعين والعاصين .فالجميع واقع في الذنوب و التقصير.
· "بِمَا كَسَبُوا": "ما" موصولة، أي بالذي كسبوه من الذنوب والآثام .والكسب يشمل أعمال القلوب و الجوارح.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾

· "مَا تَرَكَ": نفي قاطع .أي لم يُبقِ ولم يذر.
· "عَلَىٰ ظَهْرِهَا": الضمير يعود على الأرض .و"ظهرها" هو سطحها .فالأرض كأنها دابة لها ظهر .وهذا من التصوير البديع.
· "مِن دَابَّةٍ": "من" زائدة للتوكيد .و"دابة" هي كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطير . أي أن الهلاك ليشمل كل كائن حي على سطح الأرض.
· السبب في شمول الهلاك للجميع: لأن شؤم الذنوب وآثار المعاصي لا تقتصر على مرتكبيها، بل تعم البيئة والكون .فلو نزل العذاب بسبب ذنوب البشر، لعم الهلاك كل من على الأرض من إنسان وحيوان . وفي الحديث: "إن الحبارى لتموت في وكرها هزالا ً بظلم الظالم") أخرجه ابن ماجه.(

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

· "وَلَٰكِن": استدراك .أي أن المؤاخذة الفورية لم تقع، ولكن الله يؤخرهم.
· "يُؤَخِّرُهُمْ": فعل مضارع يدل على الاستمرار .فهو سبحانه دائمًا يؤخر العقوبة ولا يعاجل بها .هذا هو الحلم الإلهي.
· "إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى": الأجل المسمى هو يوم القيامة، أو وقت الموت لكل فرد، أو الوقت الذي تقتضي حكمته سبحانه إنزال العذاب فيه .فالتأخير ليس إهمالا ً، بل إمهال ليتوب التائب، وليعتبر الغافل، ولتقوم الحجة ."وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا"]آل عمران:.[178

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾

· "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ": أي إذا حان وقت الجزاء المحدد، وحل الأجل المسمى.
· "فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا": "بصيرًا" أي عليمًا بأعمالهم، خبيرًا بظواهرهم وبواطنهم .فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها بالعدل التام.
· لطيفة: التعبير بـ "كانَ" يدل على أن صفة البصيرة هذه ثابتة دائمة لله .فهو لم يزل ولا يزال بصيرًا بعباده.
· دلالة الختم بـ "بصيرًا": فيه إشارة إلى أن التأخير إلى أجل مسمى ليس عن غفلة أو جهل، بل مع كمال العلم والبصيرة .فهو يرى أعمالهم ويحصيها، وسيحاسبهم عليها في الوقت المناسب .وهذا يبعث على الخوف والمراقبة.

*"دلالة الختم بهذه الآية: الجامعة بين أطراف السورة

هذه الآية تمثل خاتمة جامعة رائعة لسورة فاطر، فهي تلتقي مع مطلعها في معان عظيمة:

.1الربط مع مطلع السورة) الحمد لله فاطر السماوات والأرض(:
· في المطلع، عرفنا الله بأنه "فاطر" السماوات والأرض، أي مبدعهما بقدرته.
· في الخاتمة، عرفنا بأن هذه القدرة الإلهية مقرونة بالرحمة والحلم .فالفاطر الذي خلق بقدرته، لم يعاجل خلقه بالعقوبة مع كمال قدرته، بل يؤخرهم رحمة بهم .فالحمد لله على هذا الحلم والفضل.
.2الربط مع آيات العذاب في السورة:
· السورة حذرت من عذاب الله للمكذبين، ووصفت مشاهد من عذاب الأمم السابقة وعذاب الآخرة.
· الخاتمة تبين أن هذه العقوبات لم تنزل إلا بعد إمهال طويل، وبعد استحقاق تام .فالله ليس بظ لام للعبيد، بل يمهل ويؤخر، حتى إذا جاء الأجل، وقع العدل.
.3التوازن بين الخوف والرجاء:
· السورة كلها ملأى بمشاهد الترهيب) النار، العذاب، الإهلاك (والترغيب) الجنة، النعيم، الفضل الكبير.(
· الخاتمة تجمع هذا التوازن في آية واحدة: الترهيب في قوله: "فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا"، و الترغيب والرجاء في قوله: "وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى" .إنها تربية على أن المؤمن يعيش بين الخوف من عدل الله والرجاء في رحمته.

*"أمثلة تقريبية تلامس حياتنا اليومية

· مثال الأب الحليم مع أبنائه:
أب لديه أبناء يخطئون كثيرًا .لو كان هذا الأب يعاقبهم فورًا على كل خطأ صغير، لدمّر حياتهم ونفسياتهم .لكنه أب حليم، يؤخر العقوبة، وينصح ويرشد، ويعطي فرصة بعد فرصة، حتى إذا تكرر الخطأ واستحق الابن العقاب حقًا، أوقعه عليه بحكمة .هذا هو حال الله مع عباده، ولكن الله أرحم وأحلم من كل أب.
· مثال سائق السيارة والمخالفات:
تخيل أن شرطة المرور تضع كاميرات في كل مكان، وتحرر مخالفة فورية وحبسًا لكل من يتجاوز السرعة ولو بكيلومتر واحد، أو لكل من يخطئ في الركن .هل كان سيبقى على الطريق سائق واحد؟ الكل سيكون في السجن! ولكن النظام يسمح بهامش من الخطأ، ويؤخر المخالفات، ويعطي فرصًا .هذا الهامش من رحمة الله وحلمه علينا.
· مثال المعلم وتصحيح الأوراق:
معلم يصحح أوراق الامتحان .لو كان يحاسب على كل خطأ صغير وكل نسيان، لرسب الطلاب جميعًا .لكنه يتجاوز عن الهفوات، ويقدر ظروف الطالب، ويمنح درجات للاجتهاد .هذا من رحمة المعلم، فكيف برحمة أرحم الراحمين؟! "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ".

**لمسات بيانية وبلاغية تهز الوجدان

· أسلوب "لوْ" الامتناعية: يرسم صورة ذهنية مخيفة لما كان سيحدث، مما يملأ القلب شكرًا لله أن هذا لم يحدث .إنه أسلوب يبرز النعمة في ثوب التحذير.
· المقابلة بين "مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ" و "يُؤَخِّرُهُمْ": مقابلة بين الهلاك الشامل والإبقاء والإمهال . هذا يظهر عظم فضل الله.
· استعمال "النَّاسَ" ثم "بِعِبَادِهِ": بدأ بـ "الناس" وهم الجنس البشري، وختم بـ "عباده" وفيه إضافة تشريف وتذكير بالعبودية، فكأنه يقول: هم عبادي، وأنا أرحم بهم من أنفسهم.
· الختام باسم "بَصِيرًا": دون غيره من الأسماء) مثل: قدير، عليم .(فـ "البصير" يشمل العلم بأعمال الظاهر والباطن، وهو المناسب للسياق الذي يتحدث عن المؤاخذة على "ما كسبوا" من أعمال .فهو بصير بكل ما كسبوا، وسيجازيهم عليه.

**رسائل تربوية ونفسية وفكرية: كيف نعيش في ظل هذه الخاتمة؟

· الرسالة الفكرية: فهم حقيقة عدل الله ورحمته.
الله عادل، لا يظلم مثقال ذرة .لكن عدله لا ينافي رحمة واسعة وحلمًا عظيمًا .هذه الآية ترسم لنا الصورة المتوازنة: الله قادر على أن يهلكنا، لكنه حليم يؤخرنا .وهو بصير بأعمالنا، وسيحاسبنا .هذا الفهم يبني عقيدة سليمة.
· الرسالة التربوية: التربية على الشكر والاستغفار.
عندما تستشعر أن بقاءك على قيد الحياة، وأن كل نفس تتنفسه، هو بسبب حلم الله عليك، فإنك تشكره ولا تكفر نعمته .وعندما تعلم أنه بصير بأعمالك، فإنك تستغفره وتتوب إليه .فتجمع بين شكر النعمة والتوبة من الذنب.
· الرسالة النفسية: الأمل والطمأنينة.
هذه الآية تفتح باب الأمل على مصراعيه .فمهما عظمت ذنوبك، لا تيأس من رحمة الله .فهو الذي لم يؤاخذ الناس بكل ذنوبهم، فكيف لا يرحم من تاب وأناب؟ "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ"] الزمر: .[53 هذا الأمل يمنح النفس طمأنينة وسكينة.
· الرسالة العملية: المبادرة بالتوبة قبل فوات الأجل.
قوله "إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى" يذكرنا بأن التأخير ليس أبديًا .الأجل آتٍ لا محالة .فلا تغتر بحلم الله وتؤجل التوبة .بادر اليوم قبل أن يأتي الغد الذي لا ينفع فيه الندم.

*"تفعيل الآية في حياتنا العملية: بين الشكر والخوف

· في الصباح والمساء:
استشعر أن يومك الجديد هو هدية من الله بسبب حلمه عليك .فاحمده على ذلك، وابدأ يومك بطاعته، لا بمعصيته.
· عند الذنب:
إذا وقعت في ذنب، لا تيأس .تذكر أن الله يؤخر ولم يعاجل بالعقوبة .فسارع بالتوبة والاستغفار . "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ"] آل عمران:.[135
· عند رؤية المذنبين:
إذا رأيت من يغرق في المعاصي، فلا تقل: "لِمَ لا يعاقبه الله؟" .تذكر أنه يؤخرهم إلى أجل مسمى، وأنه بصير بما يصنعون .فادعُ لهم بالهداية، واشكر الله أن سترك وحلم عليك.
· في التعامل مع الآخرين:
تعلم من حلم الله أن تكون حليمًا على من يخطئ في حقك .لا تعاجل بالعقوبة، بل اعفُ واصفح . "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ"] النور:.[22

*عرض النفس على الآية: أسئلة للقلب والعقل

· سؤال الحلم: هل أستشعر حلم الله عليّ في كل لحظة؟ هل هذا الاستشعار يدفعني إلى شكره وطاعته، أم إلى الغرور والغفلة؟
· سؤال الأجل: هل أنا مستعد للأجل المسمى؟ ماذا لو جاءني الأجل اليوم؟ هل أنا على حال يرضاها الله؟
· سؤال البصير: هل أستحي من الله وهو بصير بي في سري وعلانيتي؟ هل مراقبتي له تمنعني من معصيته؟

· سؤال الرحمة: هل أرجو رحمة الله وأطمع فيها؟ أم أن اليأس قد تسرب إلى قلبي بسبب كثرة ذنوبي؟

**خلاصة: كيف نعيش الآية؟

اجعل هذه الآية الخاتمة زادًا يوميًا لقلبك:

· كلما تنفست: تذكر أن هذا النفس هو بحلم الله عليك، فاحمده.
· كلما أذنبت: تذكر أنه يؤخرك، فتب إليه.
· كلما رأيت مظاهر القوة والغنى: تذكر أنها لا تغني من الله شيئًا، فهو البصير الذي لا تخفى عليه خافية.

أيها العبد الفقير إلى رحمة ربه:
إن ربك قد ختم سورة فاطر بهذه الآية الجامعة، ليذكرك بأنك تعيش في كنف رحمة واسعة وحلم عظيم .لولا هذا الحلم، لما بقيت على وجه الأرض .فلا تغتر بحلمه فتتمادَ في غفلتك، ولا تيأس من رحمته فتقنط من مغفرته .وكن بين الخوف والرجاء، بين الشكر والاستغفار .وأعد العدة للأجل المسمى ، فإن الله كان بعباده بصيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مذكرة بالمصادر والمراجع التي يمكن اعتمادها في الدراسة التحليلية لسورة فاطر، وهي مقسمة حسب التخصصات:

أولاً: المصادر الأساسية للتفسير

أمهات كتب التفسير بالمأثور:

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تفسير الطبري (– الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت 310هـ .(وهو عمدة التفاسير بالمأثور، جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين في معاني الآيات، واعتمدنا عليه في بيان دلالات الألفاظ وأسباب النزول.
- تفسير القرآن العظيم) تفسير ابن كثير (– الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي) ت774 هـ .(تميز بالعناية بتفسير القرآن بالقرآن وبالسنة، مع تخريج الأحاديث والحكم عليها، واعتمدنا عليه في ربط الآيات بالأحاديث النبوية.
- الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي (– الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) ت 671هـ .(يركز على استنباط الأحكام الفقهية مع الجوانب اللغوية والتربوية، واعتمدنا عليه في استخراج الأحكام واللطائف.

كتب التفسير اللغوي والبلاغي:

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري) ت538 هـ .(مرجع أساسي في إبراز أوجه الإعجاز البلاغي والبياني، واعتمدنا عليه في تحليل الأساليب البلاغية والاستعارات القرآنية.
- مفاتيح الغيب) التفسير الكبير (– الإمام فخر الدين الرازي) ت606 هـ .(موسوعة عقلية وفلسفية، يستنبط الحكم والمعاني الدقيقة، واعتمدنا عليه في ربط الآيات بالقضايا العقلية والكونية.
- التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور) ت1393 هـ .(تميز بالتحليل اللغوي العميق وبيان مقاصد السور ومناسبات الآيات، واعتمدنا عليه في فهم دلالات المفردات وأسرار النظم.

كتب التفسير المعاصرة:

- في ظلال القرآن – الأستاذ سيد قطب) ت1386 هـ .(تفسير أدبي حركي، يبرز الجوانب التربوية و الواقعية، واعتمدنا عليه في استخراج الرسائل التربوية والنفسية المعاصرة.

ثانياً: المصادر اللغوية والمعجمية

- لسان العرب – العلامة ابن منظور) ت711 هـ .(المرجع الأساسي في شرح الألفاظ القرآنية، واعتمدنا عليه في بيان معنى "فاطر" و"القطمير" و"النشور" و"يبور" وغيرها.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني) ت502 هـ .(متخصص في شرح دلالات الألفاظ القرآنية بدقة، ويفيد في فهم الفروق بين المصطلحات القرآنية.
- القاموس المحيط – الفيروزآبادي) ت817 هـ .(مرجع مهم في شرح الألفاظ العربية.

ثالثاً: المصادر البلاغية

- دلائل الإعجاز في علم المعاني – الإمام عبد القاهر الجرجاني) ت471 هـ .(المرجع المؤسس لعلم المعاني ونظرية النظم، واعتمدنا عليه في فهم أسرار التركيب القرآني.
- أسرار البلاغة في علم البيان – للإمام عبد القاهر الجرجاني أيضاً .عمدة في علم البيان) التشبيه، الا ستعارة، الكناية(، واعتمدنا عليه في تحليل الصور البيانية في السورة.

رابعاً: المصادر الحديثية

- صحيح البخاري – الإمام محمد بن إسماعيل البخاري) ت256 هـ .(اعتمدنا عليه في تخريج الأ حاديث الواردة في فضائل الأعمال .وفيه كتاب التفسير) سورة الملائكة / فاطر.(
- صحيح مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري) ت261 هـ.(
- سنن الترمذي – الإمام أبو عيسى الترمذي) ت279 هـ .(ورد فيه ذكر سورة فاطر، واعتمدنا عليه في أحاديث الترغيب والترهيب.

خامساً: كتب أصول الفقه والمقاصد

- الموافقات في أصول الشريعة – الإمام أبو إسحاق الشاطبي) ت790 هـ .(مرجع أساسي في فهم

مقاصد الشريعة والسنن الإلهية، واعتمدنا عليه في استنباط حكم التشريع وربطها بالسنن.
سادساً: كتب السيرة النبوية

· السيرة النبوية – عبد الملك بن هشام) ت213 هـ .(عمدة كتب السيرة، واعتمدنا عليه في فهم السياق التاريخي للمعارضة والتكذيب الذي تعرض له النبي ﷺ.
سابعاً: كتب التزكية والسلوك والرقائق

· مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – الإمام ابن قيم الجوزية) ت751 هـ .(مرجع أساسي في تزكية النفس وتهذيب الأخلاق، واعتمدنا عليه في استنباط معاني التزكية والتطوير الذاتي.
· إحياء علوم الدين – الإمام أبو حامد الغزالي) ت505 هـ .(جامع لأعمال القلوب وأسرار العبادات، واعتمدنا عليه في تحليل الجوانب النفسية والروحية في العبادات.
· مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة – ابن قيم الجوزية .يربط بين العلم والإرادة و السعادة، واعتمدنا عليه في مفهوم الاستثمار الأخروي وربط العلم بالخشية.
ثامناً: كتب السنن الإلهية والتاريخ

· المصادر المتخصصة في مفهوم السنن الإلهية في القرآن الكريم – وهي دراسات معاصرة تعنى باستخراج القوانين الثابتة التي تحكم مسيرة الأمم والمجتمعات، واعتمدنا عليها في فهم قوانين النهوض والسقوط.
· تاريخ الأمم والملوك – الطبري .يفيد في معرفة أخبار الأمم السابقة المذكورة في القرآن.

تاسعاً: كتب الإعجاز العلمي

· دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – مثل أعمال الدكتور زغلول النجار وغيره، التي تربط بين النص القرآني والحقائق العلمية الحديثة) مثل: إرسال الرياح، اختلاف ألوان الثمرات، الجبال الجدد ، نظام الجاذبية.(
عاشراً: كتب التنمية البشرية والتطوير الذاتي) من منظور إسلامي(

· التنمية الذاتية في الإسلام – كتاب يطرح منهجية في تنمية الذات قائمة على التزكية وتستند للموروث الإسلامي.
· المنظور الإسلامي للتنمية البشرية – كتاب يربط بين مفاهيم التنمية المعاصرة والأصول الإسلامية.
حادي عشر: كتب التربية وعلم النفس

· التربية الإسلامية: أصولها وتطبيقاتها – مراجع عامة في أصول التربية المستمدة من القرآن والسنة.
· علم النفس في التراث الإسلامي – دراسات تحلل النفس البشرية من منظور قرآني، مثل مفهوم "الخشية" و"التزكية" و"المراقبة الذاتية".
ثاني عشر: كتب إعراب القرآن

· موسوعة إعراب القرآن الكريم – مراجع متخصصة في إعراب الآيات، تفيد في فهم الدلالات النحوية للألفاظ والتراكيب.
ثالث عشر: كتب التهذيب والسلوك

· الوابل الصيب من الكلم الطيب – ابن قيم الجوزية .في فضل الذكر والكلم الطيب.
· الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – ابن قيم الجوزية .في علاج أمراض القلوب.
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش.